

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

جامعة مؤتة

أبو العباس القلقشندي أديباً

الطالب

أحمد عبد الرحمن الذنيبات

المشرف

الأستاذ الدكتور سمير الدروبي

## المحتويات

رقم الصفحة	الموضوع
١	المقدمة
٤	التمهيد
٥	الحياة الاجتماعية
٩	الحياة العلمية
١٣	الحياة السياسية
١٧	الفصل الأول
١٨	اسمه
٢٤	كنيته
٢٦	ألقابه ونعوته
٣٧	مولده ونشأته

٣٩	ثقافته
٤٩	آثاره
٦٠	إجازاته
٦٤	شيوخه
٦٨	جلوسه للتدريس
٧٢	من نبغ من أبنائه
٧٤	وفاته
٧٦	<b>الفصل الثاني</b>
٧٧	الدراسة المضمونية لنثر أبي العباس القلقشندي
٧٨	الرسائل الديوانية
٧٩	البيعات
٩٨	العهود
١١٣	الأخبار

١١٧	التقاليد
١٢٧	التواقيع
١٤١	التصادير
١٤٦	الاطلاقات
١٥١	التفاويض
١٥٦	المربعات الحيشية
١٥٩	الإجابة على الكتب السلطانية
١٦٥	الرسائل الإخوانية
١٦٨	المدح
١٧٢	خطب الصدقات
١٧٥	الأدعية
١٨٩	التهنئة
١٩٦	الاستماحات

٢٠٢	رسائل المفخرات و المناظرات
٢١٤	الإجازات
٢١٩	تقريض القصائد
٢٢٣	اسجلات العدالة
٢٢٧	المقامات
٢٤٨	الفصل الثالث
٢٤٩	الدراسة الفنية لأبي العباس القلقشندي
٢٤٩	التناص
٢٥٣	التناص الديني
٢٥٣	القرآن الكريم
٢٥٣	الاستشهاد
٢٥٦	الاقتباس أو التضمين
٢٥٨	التاميح

٢٦٦	التناص مع الحديث النبوي الشريف
٢٧٠	التناص الأدبي
٢٧٠	التناص الشعري
٢٧٠	الاستشهاد
٢٧٣	التضمين
٢٧٥	حل المنظوم
٢٨٠	الأمثال
٢٨٦	التناص التاريخي
٢٩٠	الفنون البديعية
٢٩١	السجع
٣٠٠	الجناس
٣٠٨	الطباق
٣١٣	التورية

٣٢٠

العنفس

٣٢٣

اللغة و الأسلوب

٣٣٣

الخيال و الصورة

٣٣٨

الخاتمة

٣٤٣

المصادر و المراجع

## المقدمة :

يهدف هذا البحث دراسة أدب أبي العباس الفلقشندي ( ٧٥٦ - ٨٢١ هـ ) ومعرفة الموضوعات التي عالجها ، ودراسة هذا الأدب دراسة مضمونية وفنية ، والوقوف على أهم مميزات ذلك الرجل في الكتابة ، لاسيما وأنه من أهم أعلام عصره في الكتابة ، وصاحب أكبر موسوعة في النثر العربي القديم ، اشتهر الأديب من خلالها .

ويلاحظ الباحث جهل كثير من طلبة العلم بالفلقشندي ، ولعل مرد ذلك لعدم توافر دراسة متخصصة في أدبه ، على الرغم من الاهتمام الكبير الذي حظي به من مؤرخي الأدب ونقادهم ، حيث إنهم ترجموا له في مؤلفاتهم عنه أو عن حياته إلا أنها جاءت مقتضبة ، ولم يطلع الباحث على بحث متخصص في أدبه سوى بعض الدراسات التي جاءت تحقيقاً لمؤلفاته ، أما الدراسات التي أخذت الجانب العلمي في دراسة حياته وآثاره فهي كتاب " الفلقشندي في كتابه صبح الأعشى " لعبد اللطيف حمزة ، وآخر بعنوان " أبو العباس وكتابه صبح الأعشى " لنخبة من الأساتذة ، وهذان الكتابان لم يتتبعا إبداع الفلقشندي بمقدار كونهما دراسة لما احتواه كتاب صبح الأعشى .

على أن الباحث وجد عدداً من الدراسات الحديثة حول أدب هذا العصر ، مثل كتاب عمر موسى باشا ، " تاريخ الأدب العربي ، العصر



المملوكي " وجاءت فيه دراسة لأدب القلقشندي وإن كانت مختصره ، إلا أنها من أطول الدراسات الأخرى التي تناولت أدبه ، وقريب من ذلك عند محمود رزق سليم في كتابة : " عصر السلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي " تعرض فيه لدراسة مقامة " الكواكب الدرية في المناقب البدرية " ، وإن كانت كما يصفها : بأنها وجيزة وقصيرة، و أيضا نجد في كتاب " الأدب في العصر المملوكي " لمحمد زغلول سلام ، ولعل أكثر هذه الدراسات عمقا \_ على ما اتسمت به من إيجاز \_ ما أورده شوقي ضيف في كتابه : " عصر الدول والإمارات مصر والشام " فقد تطرق للناحية الفنية لمقامة القلقشندي المذكورة ، وقد جاءت هذه الدراسات عامة لأدب ذلك العصر ، ولم تخصص لأديب أو لجانب من الجوانب الفنية .

ويعتبر كتاب القلقشندي : " صبح الأعشى في كتابة الانشا " المصدر الرئيس لهذا البحث لاحتوائه على جل إبداع الأديب نثره ونظمه . ويسلك هذا البحث المنهج التكاملي ، الذي يقوم على الوصف والتحليل والنقد ، مع الإفادة من الناهج الحديثة في دراسة التفاصيل في الجوانب الفنية في أدب القلقشندي . ويتكون البحث من ثلاثة فصول وخاتمة يسبقهما تمهيد ، يريد به الباحث إلقاء الضوء على ظروف العصر المختلفة ؛ السياسية والثقافية والاجتماعية التي عاشها الأديب ، وذلك لإيمان الباحث

بالعلاقة المتينة بين الفن والمجتمع ، وأن الأدب وليد الظروف التي تحيط  
بالأديب .

أما الفصل الأول فتتناول فيه الدراسة حياة القلقشندي ، اسمه ولقبه  
وكنيته ومولده ونشأته ، وثقافته وجلوسه للتدريس و آثاره وآراء العلماء فيه  
ومن نجب من أبنائه ، ووفاته .

ويختص الفصل الثاني في الدراسة المضمونية لأدب القلقشندي حيث  
قسم للرسائل الديوانية ؛ مثل : البيعات والعهود والأخبار والنقايد والتواقيع  
وغيرها ، وكذلك الرسائل الأخوانية ، مثل : المدح والتنهاني وخطب  
الصدقات والأدعية ، ثم الرسائل العلمية مثل : الإجازات و عراضة الكتب  
، وتقريض القصائد ، ثم الحواريات والمناظرات وكذلك المقامات .

وأما الفصل الثالث ، فيقدم فيه الباحث الخصائص الفنية واللغوية  
لأدب القلقشندي ، وتأتي الخاتمة تحمل أهم النتائج التي توصل إليها البحث .  
وثمة صعوبات واجهت الباحث كان على رأسها قلة المصادر .

التحصيل

التمهيد :

## الحياة الاجتماعية :

يرى علماء الاجتماع ، أن المجتمع هو : " مجموعة من الكائنات البشرية تتميز بقدر ملحوظ من الاكتفاء الذاتي ، والقدرة على الاستمرار في البقاء لمدة أطول من حياة الفرد "<sup>(١)</sup> ويرى عمر موسى باشا : أن المرء وأفكاره تتأثر بمختلف نواحي النشاط الإنساني ، من الدين والعمل والأسرة ، والتعليم وكذلك بمختلف المناسبات ، وشتى الأمراض الاجتماعية وعلها <sup>(٢)</sup> وقد عاش المجتمع المملوكي ، كمجتمع طبقي ، لم ينظر فيه إلى حقوق الفرد إلا من خلال انتمائه الطبقي ، وطبقات المجتمع المملوكي كانت متفاوتة من حيث الدخل ، والطمأنينة والاستقرار والمراكز الإدارية والسياسية ، ويقسم البيلوني الكريتي \_ الذي عاش في أواخر القرن الرابع عشر الميلادي في مصر \_ المجتمع المصري ، إلى ثلاث طوائف : الأولى ، الشعب المصري ؛ بمختلف فئاته الخاضعة لحكم السلطات السياسية ، ونفوذ الخليفة دينياً ، والثانية ، طائفة المماليك ؛ وهي عسكرية ، شعارها

---

<sup>١</sup> السيد الحسيني : مفاهيم علم الاجتماع ، دار قطري بن فجاه ، قطر ، ط ١ ، ١٩٨٥ ، ٤٧ .  
<sup>٢</sup> عمر موسى باشا : أدب الدول المتتابعة ، دار الفكر الحديث ، ط ١ ، ١٩٦٧ ، ص ١١ .

الأطماع والدسائس والانقلابات ، ثم طائفة البدو أو الأعراب ، الذين لا يتركون فرصة تمر دون أن يخلقوا للحكومة والأهالي متاعب متنوعة (١) على أن أكثر الطبقات تأثرا بالظروف والكوارث التي تحل بالمجتمع ، هي طبقة الشعب ، وهي على وجه الخصوص ، الفلاحون في الأرياف ، فكانوا يتحملون القدر الأكبر من الضرائب والعمل بالسخرة ، وفي سنه الجذب يتعرضون للمجاعات ؛ حتى أكلوا الميتات وأكل بعضهم لحم بعض ، وكثير الموت " وحسر عدد من مات في شهر واحد \_ ممن قدر على معرفته \_ فبلغ العد مائة وسبعة وعشرين ألف إنسان ...حتى خلت القرى " (٢) ، ومن العوامل التي واجهت الشعب ؛ إقدام بعض الصيارفة على تزييف النقد ، حيث ترتب عليه ارتفاع الأسعار وإغلاق الأسواق (٣) ، وكذلك انعدام الأمن على الطرقات بين الأقاليم ، بسبب قطاع الطرق والمشاحنات بين قبائل العربان (٤) ، وهكذا لم تلبث الأوقاف أن تعرضت للحل والإقطاع ، رغم محاولة رجال الدين مقاومة ذلك (٥) ، وأمام هذه الضغوطات على

(١) سعيد عاشور : المجتمع المصري في عصر السلاطين المماليك ، ص ١٠ - ١١

(٢) حياة المحمي ( ١٠٦٧ هـ - ١٦٥٦ م ) : أحوال العامة في حكم المماليك ، شركة كاظمه للنشر والترجمة والتوزيع ، الكويت

ط ١٦٨٤ ص ١٨١ .

(٣) المرجع نفسه ص ١٩٢ .

(٤) المرجع نفسه ص ٢٠٣ .

(٥) محمد محمد أمين : الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر ( ٦٤٨ - ٩٢٣ هـ ) دار النهضة العربية ، القاهرة ، ط ١٩٨٠ ،

ص ٣٢٦ - ٣٣٤ .

الشعب فقد عبر عن سخطه بصورتين : إحداهما سلمية ، والأخرى صاخبة . وتتمثل الأولى في إحتجاجات رجال القلم ، ومعارضتهم لولي الأمر ، وكذلك في إحتجاج العوام وخروجهم في مظاهرات سلمية للتعبير عن شعورهم ، وربما تعرضوا لمواكب السلطان بشوارع القاهرة ، أما الصورة الصاخبة فتمثلت في اشتراكهم في الفتن القائمة بين المماليك ، لنهب ما تصل إليه أيديهم ، وكذلك القيام بثورات علنية لطرد الحكام أو النواب ، وكذلك ثورات العربان ضد المماليك ، وانضمامهم لكل ثار ضدهم (١) .

وعلى الرغم من هذه الظروف القاسية التي تعرض لها الشعب ، إلا أنه لم يفقد روح المرح والدعابة ، فعندما انتشر الوباء وتوقفت زيادة النيل ، وغلت الأسعار سنة ( ٧٠٩ هـ ) ، كان العامة يغنون في شوارع القاهرة : " سلطاننا ركين \_ ركن الدين بيبرس \_ ونائبنا " دقين \_ يقصدون الأمير سلار " ولم يكن في لحيته سوى شعيرات قليلة \_ بجينا الماء منين ، جيبو لنا الأعرج \_ الناصر محمد \_ يجيب الميه ويدحرج " (٢) .

كما وجدوا في الشعر سبيلا ، للخروج من هذه الضغوط التي واجهوها كأفراد في المجتمع ، وذلك بالتوجه للخمر والتغني بها من ذلك قول سيف الدين المشد :

(١) علي ابراهيم طرخان : تاريخ المماليك البحرية ، مكتبة النهضة المصرية \_ القاهرة ص ٢٦٦ - ٢٦٧ .

(٢) سعيد عاشور : المجتمع المصري في عصر السلاطين المماليك ص ١٠٠ - ١٠١ .

أحب المُدام لأن المُدام      تفرحني في زمان المحن  
وكل امرئ عاقل في الورى      يحب السرور وينسى الحزن (١)

أما حول وضع المرأة ، فقد بقي متأرجحاً في العصر المملوكي بين التحور والتقييد ، يخضع لرغبة السلطان أو الوالي إذا شاء ، أمر بالقيود ، وإذا شاء تغاضى ، فتحررت النساء وأسرفن ، حتى يعود آخر إلى فرض القيود والحجر على حريتهن .

---

(١) فوزي محمد أمين : أدب العصر المملوكي الأول ، قضايا المجتمع والفن ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٩٣ ، ص

## الحياة العلمية :

فطن المماليك لأهمية العلم ، وطبقت مجانية التعلم، وجعلوه حق مشروع للجميع دون أن يتكلف شيئاً، بل على العكس، كانت الدولة فضلاً عن أهل الخير من الأغنياء ، تعين الطالب على التفرغ للتحصيل، فتوفر له المسكن والمأكل والمشرب، وتفيض عليه بالخير في المناسبات المختلفة، فتصل إليه الهدايا بين مأكلاً وملبس فتدخل عليه السرور، وتزيد من رغبته في التوفر على الدراسة والتفاني في تحصيل الثقافة .<sup>(١)</sup> ولم يقتصر اهتمام الناس بالعلم على الانتظام بالمدارس والجوامع، بل شغفوا بالكتب واقتنائها فراجت تجارتها ، وقرأ طلاب العلم كل ما كان يقع تحت أيديهم من الكتب الدينية، والأدبية واللغوية والطبيعية والفلكية .<sup>(٢)</sup> ولم يتوقف طلب العلم عند هذه الفئات، فقد تعلق السلاطين بطلب العلم والميل له؛ فالظاهر ببيرس كان يميل إلى التاريخ وأهله ميلاً زائداً ويقول : " سماع التاريخ أعظم من التجارب " <sup>(٣)</sup> . وتلقى السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، علوم الفقه والقانون في دمشق ونال شهادة فيها ، ولذلك كان يشارك العلماء في كل أمر يقضون فيه <sup>(٤)</sup> .

<sup>١</sup> محمد عبدالعزيز مرزوق ، الناصر محمد بن قلاوون . المؤسسة المصرية العامة ص ٤٠

<sup>٢</sup> محمد زغلول سلام ، الأدب في العصر المملوكي الدولة الأولى . دار المعارف ج ١ ص ١٢٠

<sup>٣</sup> سعيد عاشور ، العصر المملوكي في مصر والشام - دار النهضة العربية القاهرة ط ٢ ١٩٧٦ ، ص ٣٤١

<sup>٤</sup> السير وليام موير ، تاريخ دولة المماليك في مصر ، مكتبة مديولي ، القاهرة ط ١ ١٩٨٥ ص ١٠١



وقد كان " المؤيد شيخ الحموي يحدث بصحيح البخاري عن السراح البلقيني ،  
بإجازة كان يصحبها معه في أسفاره لا يفارقها " (١) . كما نجد السلطان الظاهر  
برقوق وقد اهتم اهتماما خاصا بأهل الخير ، ومن ينتسب إلى الصلاح . وكان يقو  
لمن يدخل عليه منهم . حتى أنه عفى عن أفتى بقتله من الفقهاء ، ولم يترك  
إكرامهم مع شدة حنقه عليهم . وكان يصدق كل سنة في أهل العلم والصلاح ،  
مائتي ألف درهم للواحد إلى مائة دينار ذهباً (٢) . ولم يتوقف دعم السلاطين على  
الناحية المعنوية ، بل تعدى ذلك للدعم المادي ؛ فقد حظي الفقهاء برعاية السلاطين  
والأمراء المماليك ، فكان لهم نصيب من الصدقات والمساعدات المالية ، تعينهم  
على مواصلة العيش ، دون الحاجة للجوء إلى الآخرين طلباً للمؤونة والطعام (٣)

---

(١) السخاوي ، شمس الدين محمد بن عبدالرحمن (٩٠٢هـ - ١٤٩٤م) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع منشورات  
مكتبة الحياض بيروت بلا طبعه ج ٣ ص ٣٠٩

(٢) المقرئ ، أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ - ١٤٤١م) السلوك لمعرفة دول الملوك تحقيق محمد مصطفى ، لجنة النشر والترجمة ، القاهرة  
١٩٥٦ ، ط ٢ . ج ٣ ق ٢ ص ٩٤٤

(٣) حياة ناصر الحجي . أحوال العامة في حكم المماليك ٦٧٨-٧٨٤هـ - ١٢٧٩-١٣٨٢م شركة كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع  
الكويت ط ١ (١٩٩٤م) ص ٢٢٧



المعروفة في عصرنا من حيث نظام الدراسة وهيئة التدريس<sup>(١)</sup> ولعل هذا ما يفسره قول ابن خلدون " واختص العلم بالأمصار الموفورة الحضارة ولا أوفر اليوم في الحضارة من مصر<sup>(٢)</sup>. وفي ذروة الازدهار والقاهرة تغص بأكابر العلماء و الكتاب في كل فن من الشرق والغرب برزت ظاهرة الموسوعات العلمية والأدبية الكبرى ، ولعل من أهمها " نهاية الأرب في فنون الأدب " لأحمد بن عبد الوهاب الغويري ت(٨٢١هـ - ١٣٣٣م) ، وكتاب " مسالك الأبصار في محالك الامصار " لأحمد بن فضل الله العمري (ت ٧٤٩هـ - ١٣٤٨م) ، " وصبح الأعشى في كتابة الإنشا " لأبي العباس القلقشندي ( ت ٨٢١ - ١٤١٨م ) ، وأنه من التجاوز أن نسمي هذه المؤلفات المدهشة كتباً ؛ فهي في الواقع موسوعات ضخمة شاسعة ، لا تدل أسماؤها على حقيقة محتوياتها<sup>(٣)</sup> .

(١) عمر موسى باشا أدب الدول المتناحرة. دار الفكر الحديث ط ١، (١٣٨٦هـ - ١٩٦٧م) ص ١٣١

(٢) محمد رسول السلام، الأدب في عصر النبوة، ج ١ ص ١٠٦ نقلاً عن ابن خلدون  
(٣) نسخة من الأستاذة تقدم د. احمد عدت عبد الكريم ( ابو العباس القلقشندي وكتابه صبح الأعشى ) الهيئة المصرية العامة للكتاب .

## الحياة السياسية : بدأ حكم المماليك بمصر بموت توران شاه ،

حيث أخذت البيعة " لشجرة الدر " سنة ( ٦٤٨ هـ ) <sup>(١)</sup> ، ولكنها واجهت المعارضة على أيدي رجال الدين ، كونها امرأة <sup>(٢)</sup> ، وأمام هذه المعارضة لم تجد وسيلة إلا الزواج من الاتابك أيبك التركماني ، وتتنازل له عن العرش ويتلقب " بالملك المعز " ، ولكن الود لم يدم مع شجرة الدر فدبرت لقتله <sup>(٣)</sup> ، ويتولى الحكم بعده ابنه علي ، ويلقب بالمنصور ، وكان صبياً لم يتجاوز الخامسة عشرة ، يمضي سحابة نهاره باللعب <sup>(٤)</sup> ، وهكذا لم يكن مدركاً للدسائس الداخلية و الأخطار الخارجية ؛ المتمثلة بالنتار الذين استولوا على بغداد معقل الاسلام ودمروها <sup>(٥)</sup> ، حيث كان آخر خلفاء العباسيين فيها المستعصم الذي غرق و حاشيته بالنعم و اللذات ، ولم يفتن لما حذرت الرعية منه <sup>(٦)</sup> ، وفي ظل هذه الظروف يتتبع قطز \_ والذي ولاه علي المنصور نيابة السلطنة بمصر \_ فيقبض على السلطان المنصور ، ويعلن نفسه سلطاناً على مصر ( ٦٥٧ هـ ) ، ويحشد الجيوش ويتوجه

<sup>(١)</sup> ابو شامة القدسي ، نهاب الدين ابو محمد عبدالرحمن بن اسماعيل ( ٦٦٥ هـ \_ ١٢٦٦ م ) : الذيل على الروضتين ، عني

بنشره محمد الكوثري ، دار الجليل بيروت ، ١٩٧٤ ، ط ٢ ، ص ١٩٦

<sup>(٢)</sup> السيوطي ، جلال الدين عبدالرحمن ( ٩١١ هـ \_ ١٥٠٥ م ) : حسن الماضرة في أخبار مصر و القاهرة ، تحقيق محمد أبي

الفضل ابراهيم ، دار احياء الكتب العربية ، ط ١ ، ١٩٦٨ ، ج ٢ ، ص ٣٦

<sup>(٣)</sup> المقرئبي : السلوك ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٤٠٣

<sup>(٤)</sup> الحنبلي ، عبد الحمي بن عماد ، شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، بلا تاريخ ، ج ٥ ،

ص ٢٧١

<sup>(٥)</sup> السيوطي : تاريخ الخلفاء ، تحقيق احمد ابي الفضل ابراهيم ، دار النهضة ، مصر ، القاهرة ، ١٩٧٦ ، ص ٣٠٩

<sup>(٦)</sup> ابن طقاطق محمد بن علي ، بن طباطبا ، الفخري في الآداب السلطانية ، دار صادر ، بيروت ، بلا تاريخ ، بلا طبعة ، ص

للشام و ينتصر على التتار في معركة عين جالوت ( ٦٥٨ هـ ) ، ثم في بيسان نفسها وقتل من التتار نحو النصف <sup>(١)</sup> ، وفي طريق العودة يتفق بيبرس \_ أحد قادة المعركة \_ مع عدد من الأمراء على قتل قطز ، فقتلوه سنة ( ٦٥٨ هـ ) وتركوه ملقى على الارض ، فدفنه بعض من كان في خدمته <sup>(٢)</sup> ، و أجمع المتآمرون على سلطنة بيبرس وبدخوله قلعة الجبل ( ٦٥٨ هـ ) بدأ صفحة جديدة في تاريخ المماليك في مصر و الشام ، إذ سنّ ولاية العهد في دولة المماليك البحرية ، ووراثه العرش ، ليحول بذلك دون الدسائس و المؤامرات التي يحوكمها كبار الأمراء حول عرش السلطان ، كما عرف سلطاناً قائداً ، وحاكماً عادلاً يجلس للمظالم ، ويعطف على الفقراء و أصدر عدة قوانين لتهديب الأخلاق فأمر سنة ( ٦٦٤ هـ ) بمنع بيع الخمر و أفقال الحانات بانقاهرة ، وبناء مسجده المعروف بإسمه سنة ( ٦٦٥ هـ ) وأصلح منارة الاسكندرية ، وردم فروع دمياط حتى لا يتمكن الافرنج من العبور اذا أرادوا الاغارة على مصر <sup>(٣)</sup> ، ولعل من أهم الاعمال التي قام بها الظاهر بيبرس ، هو إعادة الخلافة العباسية لمكانتها بعد أن قضى عليها هو لأكو ببغداد <sup>(٤)</sup> ، توفي الظاهر بيبرس أثناء عودته من موقعة قيسارية ودفن في دمشق ( ٦٧٦ هـ ) ، ومن أشهر سلاطين

<sup>(١)</sup> المقرئبي : الخطط ، ج ٢ ، ص ٢٣٨

<sup>(٢)</sup> علي ابراهيم حسن : تاريخ المماليك البحرية ، مكتبة النهضة المصرية ، ط ٣ ، ص ٤٥

<sup>(٣)</sup> علي ابراهيم حسن ، تاريخ المماليك البحرية ، ص ٥١

<sup>(٤)</sup> ابن أياس ، بدائع الزهور في وقائع الدهور ، ج ١ ، ق ١ ، ص ٣١٣-٣١٤

المماليك، الأشرف خليل بن قلاوون ، ولم يكن يستقر على العرش ،  
حتى بادر للخروج الى الشام لإتمام ما أراده أبوه ، فطرد الصليبيين من عكا  
سنة ( ٦٩٠ هـ ) وكانت خاتمة الحروب الصليبية <sup>(١)</sup> ، ويصف شهاب  
الدين الحلبي هذه المعركة بقصيدة طويلة مطلعها :

الحمد لله ذلك دولة الصلب وعز بالترك دين المصطفى العربي <sup>(٢)</sup>

ولكن حكم الأشرف خليل لم يتجاوز الثلاث سنوات ، بسبب  
خطرسته التي أوغرت قلوب الأمراء عليه فقتلوه ، وبوصول برقوق سنة  
( ٧٨٣ هـ ) الى الحكم زال الحكم عن بيت قلاوون ، وينتقل الحكم من  
دولة المماليك الأولى " البحرية " ، إلى دولة المماليك الثانية " البرجية " <sup>(٣)</sup> ،  
و عدد سلاطينها اثنان وعشرون سلطانا ، كان أولهم الظاهر سيف الدين  
برقوق الذي أتمم بالحنكة والحلم ، ومثال ذلك عفوه عن الخليفة المتوكل  
حين حاول اغتياله و الجلوس مكانه فاكتفى بخلعه و تعيين الوثائق بالله خليفة  
مكانه <sup>(٤)</sup> ، وتوفي برقوق سنة ( ٨٠١ هـ ) ليخلفه ابنه فرج بن برقوق ،  
وليس في عهده ما يثير الاهتمام ، سواء مواجهة تيمورلنك قرب دمشق التي  
هزم فيها ، ثم عقد صلحا مع تيمورلنك في السنة التي تليها ( ٨٠٨ هـ ) ،

<sup>(١)</sup> محمد عبدالعزيز مرزوق ، الناصر محمد بن قلاوون ، المؤسسة المصرية العامة ، ط ١ ، ١٩٦٤ ، ص ٩٦ .

<sup>(٢)</sup> ابن شاکر محمد بن شاکر الکنی ( ٧٦٤ هـ - ١٣٦٢ م ) ، فوات الوفيات و الذیل علیها ، تحقیق احسان عباس ، دار

صادر بیروت ، ١٩٧٣ ، ج ١ ، ص ٤١٠ - ٤١١

<sup>(٣)</sup> علي حسن : تاريخ المماليك البحرية ، ص ٣٧

<sup>(٤)</sup> السير ولیم مولر : تاريخ دولة المماليك في مصر ، ترجمة محمد عابدين وسليم حسن ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ط ١ ،

وقد كثرت الفتن وسوء تدبير الحكم في عهده ، وحين خرج لقمع الثورة في الشام ( ٨١٥ هـ ) أسر وقتل (١) ، وتولى السلطنة بعده الخليفة المستعين بالله العباسي و لم يدم حكمه أكثر من سبعة أشهر (٢) ليتولى بعده السلطان المؤيد شيخ الحموي ( ٨١٥ - ٨٢٤ هـ ) واشهر ما عرف له بناء المدرسة المؤيدية (٣) ، ومن خلال الاطلاع على فترة الحكم وطريقة انتقاله من سلطان لآخر ، يظهر للدارس مدى الفوضى و الاضطراب الذين كانا سائدين ، ومما ساعد على الأسراع في القضاء على حكم المماليك العوامل الخارجية ، كان أهمها ؛ اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح على يد فاسكوديجاما ( ٩٠١ هـ - ١٤٩٧ م ) ، ففقدت مصر مكانتها التجارية كوسيط بين الشرق و الغرب ، وكذلك هجوم العثمانيين على الدولة المملوكية في " مرج دابق " ( ١٥١٦ م ) ، ومات فيها قانصوه الغوري فكانت نهاية الدولة المملوكية (٤).

(١) سعيد عاشور : العصر المماليكي في مصر و الشام ، ص ١٦٦ - ١٦٨

(٢) عبدالباسط خليل بن شاهين الملطي ( ٩٢٠ هـ - ١٥١٥ م ) : نزهة الاساطين فيما ولي مصر من السلاطين ، تحقيق محمد

كمال الدين ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٨٧ ، ص ١٢٤

(٣) المرجع نفسه ، ص ١٢٦

(٤) سعيد عاشور : العصر المماليكي في مصر و الشام ، ص ١٩٢ - ١٩٨

# الفصل الأول



اسمه ، لقبه ، كنيته :

اسمه : أبو العباس أحمد بن عبد الله الشهاب بن الجمال أبي اليمن الفزاري

القلقشندي ثم القاهري الشافعي (١) .

وهناك اختلاف في تسمية آبائه فقد ورد في " إنباء الغمر بأبناء العمر "

" والمجمع المؤسس للمعجم المفهرس " لابن حجر العسقلاني " ٨٥٢هـ " ، أن اسمه

أحمد بن علي بن أحمد القلقشندي الشافعي شهاب الدين (٢) ، ويتابعه السخاوي في

" الضوء اللامع لأهل القرن التاسع " " ٩٠٢هـ " بأن اسمه أحمد بن علي بن أحمد بن

عبد الله الشهاب بن الجمال " أبو اليمن الفزاري القلقشندي ثم القاهري الشافعي (٣) "

(١) العيني ، بدر الدين محمود ( ٨٥٥ هـ - ١٤٥١ م ) عقد الجمان ( حوادث ٨١٥-٨٢٤هـ ) في تاريخ أهل الزمان ، ( حوادث ٨١٥-٨٢٤هـ ) تحقيق وتقديم عبد الرزاق الطنطاوي القرموط ، مطبعة علاء ، ٣ ، حزيران ، بدران القاهرة ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م ، ص ٣٣٨ - ٣٣٩ .

المقريزي ، أحمد بن علي ( ٨٤٥ هـ - ١٤٤٢ م ) ، درر العقود في تراجم الأعيان المفيدة ، تحقيق عدنان درويش ، محمد المصري ، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، مكتبة الأسد ، دمشق ، ١٩٩٥ ، ص ٧٥ - ٧٦ . وكتاب السلوك لمعرفة دول الملوك ج ٤ ، ق ٢ ، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور ، مطبعة دار الكتب ، جمهورية مصر العربية ، وزارة الإعلام ، مركز تحقيق التراث ، ١٩٧٢ م ، ص ٤٧٣ - ٤٧٤ .

ابن تغري بردي ( ٨٧٤ هـ - ١٤٧٠ م ) / النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، تحقيق : محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط ١ ، ١٩٩٢ م ، ج ١٣ ، ص ٢٨٨ . المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي ، تحقيق ، محمد أمين ، تقديم : سعد الدين عاشور ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٤ م ، ج ٢ ، ص ٣٥١ ، ٣٥٢ .

الصيرفي علي بن داود الخطيب الجوهري ( ٩٠٠ هـ ) ، نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان ، تحقيق : حسين حبشي ، مطبعة دار الكتب ، ١٩٧١ ، ج ١ ، ص ٤٣٢ .

(٢) العسقلاني ، ابن حجر ( ٨٥٢ هـ - ١٤٤٩ م ) : إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ط ١ ، ١٩٨٦ م ، ج ٧ ، ص ٣٣٠ - ٣٣١ . المجمع المؤسس للمعجم المفهرس ، تحقيق محمد شكور ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٦ ، ص ٤٥٠ .

(٣) السخاوي ، شمس الدين محمد عبد الرحمن ( ٩٠٢ هـ ) ، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، منشورات دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، بلا تاريخ ، المجلد الأول ، ج ٢ ، ص ٨ .

في حين يورد اسماعيل باشا البغدادي اسمه قائلاً: "أحمد بن علي بن أحمد بن أحمد القلقشندي شهاب الدين أبو العباس المصري الشافعي (١). ومما يجلب انتباه الباحث ، ذلك الاختصار لترجمته ، فما هي إلا كلمات تورده موجزة ، وربما كانت أطولها ترجمة السخاوي له ، وفيها يتهم العيني والمقريزي بالوهم ، حين أسما والده "عبد الله" ، ولعله أخذ عن شيخه ابن حجر العسقلاني "٨٥٢هـ" ومع أن سنتي وفاة العيني "٨٢٥هـ" والمقريزي "٨٤٥هـ" أقرب لوفاة القلقشندي "٨٢١هـ" ، إذ يقول: "وسمى العيني والمقريزي والده عبد الله وهو وهم" (٢) ، "والسخاوي يرجح غير مشير إلى مأخذ ، ويخطئ غير كاشف عن مصدر هذا الخطأ ، والمؤلفان اللذان رد قولهما ، يعاصران شيخه ، أحدهما وهو المقريزي يسبقه وفاة ، والثاني وهو العيني تتأخر وفاته عن وفاة شيخه بأعوام ثلاثة (٣) " ولكن السخاوي يعود لما قاله المقريزي والعيني ، حين يترجم لنجم الدين محمد بن أبي العباس القلقشندي ، حيث يقول: "محمد بن أحمد بن عبد الله بن اسماعيل النجم أبو الفضل الشهاب أبي اليمن القلقشندي الفاهري الشافعي" (٤). "وشيء آخر يسعنا في الرد على السخاوي ، أنه شارك الابن الحياة أعواماً لا ندري عدتها ولكن لا نراها قليلة ، فهو حين يكتب عن

(١) اسماعيل باشا البغدادي هدية العارفين باسماء المؤلفين و آثار المصنفين من كشف الظنون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٢ ، المجلد الخامس ، ص ١٢٢ .

(٢) السخاوي : الضوء اللامع ، المجلد الأول ، ج ٢ ، ص ٨ .

(٣) عبد اللطيف حمزة : القلقشندي في كتابه صبح الأعشى ، عرض وتحليل ، المؤسسة المصرية للتأليف والطباعة والنشر ، ط ١ ، ١٩٦١ ، ص ٣٦ .

(٤) السخاوي : الضوء اللامع ، المجلد ٣ ، ج ٦ ، ص ٣٢٢ .

الابن غيره حين يكتب عن الأب ، فهو هناك ناقل لم يشهد ولم يسمع وهو هنا ناقل قد سمع وقد شاهد " (١) . ومما يدفعنا إلى التوقف أمام رواية السخاوي ، إشارته إلى كتاب "صبح الأعشى في كتابة الإنشا " فيقول : أنه يقع في أربع مجلدات ، والواقع أنها لا تقل عن سبع مجلدات ، ما زالت محفوظة في دار الكتب المصرية إلى اليوم " (٢) . وعبد اللطيف حمزة إذ يناقش القضية ، ويشكك في مقولة السخاوي إلا أنه لم يعرض لنا رأيه بل اكتفى بذلك ، وعنوان كتابه "القلقشندي في كتابه صبح الأعشى " دون ذكر اسمه كاملا ، فهو يذكر هذه الإشكالية ليبين مدى الظلم الذي وقع على أبي العباس القلقشندي من جانب التاريخ (٣) . وثمة من تبع السخاوي في هذه الترجمة ، دون طرح هذه الإشكالية فمحمود رزق سليم (٤) يوثق لرواية السخاوي ولا يتعرض لاسم القلقشندي في طرحه لمقامة القلقشندي ، ويكتفي بعنوان "مقامة لشهاب الدين القلقشندي " . وكذلك يورد محمد زغلول سلام (٥) ترجمة القلقشندي

---

(١) ابراهيم ، الابياري : في تحقيقه لكتاب نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب لأبي العباس القلقشندي ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط ٢ ، ١٩٨٠ ، ج ١ ، ص ( ك ) .

(٢) عبد اللطيف حمزة : القلقشندي في كتابه صبح الاعشى ، ص ٣٧

(٣) المرجع نفسه ص ٣٧

(٤) محمود رزق سليم : عصر السلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي ، مكتبة الآداب بالجماميز ، المطبعة النموذجية ، ج ٥ ، ص ٤١٢

(٥) محمد زغلول سلام : الأدب في العصر المملوكي ، دار المعارف ، بلا تاريخ ، ج ٣ ، ص ١٨١

تحت اسم القاضي شهاب الدين أحمد بن علي بن أحمد القلقشندي ، وإن لم يشر لرواية السخاوي مباشرة ، ونجد خير الدين الزركلي <sup>(١)</sup> يورد ترجمة القلقشندي تحت اسم أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ويميل إلى السخاوي أيضا . وآخرون غير هؤلاء من أخذ بهذه الرواية <sup>(٢)</sup> أما جرجي زيدان فيذكر أنه رأى اسمه في صدر كتابه : " فلائد الجمان في التعريف بقبائل العربان ، هكذا : شهاب الدين أبو العباس ، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن سليمان بن اسماعيل القلقشندي ، المصري ، الشافعي الشهير بابن أبي غدة " <sup>(٣)</sup> . وإلى هذا ذهب عبد الستار أحمد فراج حين حقق كتاب " الأنافة في معالم الخلافة " للقلقشندي حيث وجد اسمه هكذا في المخطوطة ويعتقد أن تسمية "أحمد بن عبد الله" هي الصحيحة لما في المخطوطة التي حققها من مزايا تجعل الباحث يطمئن إليها <sup>(٤)</sup> . والشيء نفسه وقع في تسمية كتابه " صبح الأعشى في كتابة الإنشا " <sup>(٥)</sup> مع أنه من أهم كتبه وأفضل تصانيفه <sup>(٦)</sup>

---

(١) الزركلي ، خير الدين : الأعلام قاموس تراجم أشهر الرجال ، دار الملايين ، بيروت ، ط ٤ ، ١٩٧٩ ، ج ١ ، ص ١٧٧

(٢) عمر كحالة : المستدرك على معجم مصنفى الكتب العربية في التاريخ ، ص ٦٧ .  
مصطفى الشكعة : الأصول الأدبية في صبح الأعشى ، دار الأمل ( البحري إخوان ) ، بيروت ، بدون تاريخ ص ٧٥

(٣) جرجي زيدان : تاريخ اداب اللغة العربية ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان ١٩٨٣ ، ج ٣ ، ص ١٤٠  
(٤) الأبياري : في تحقيقه صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ط ١ ، ١٩٨٧ م ، ج ١ ، ص ٧

(٥) القلقشندي ، أحمد بن عبد الله : صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، مصورة عن الطبعة الأميرية ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والطباعة والنشر ، ج ١ ، ص ١٠  
(٦) الزركلي ، خير الدين : الأعلام ، قاموس تراجم أشهر الرجال ، دار الملايين ، بيروت ، ط ٤ ، ١٩٧٩ م ، ج ١ ، ص ١٧٧

ويقول فيه طه حسين: " لو لم يكن له إلا ذلك لكفاه " (١) ، ففي هذا الكتاب اشتهر القلقشندي وعرف، ومع ذلك يورده ابن حجر العسقلاني مرة " صبح الأعشى في فن الإنشا " (٢). وأخرى "صبح الأعشى في معرفة الإنشا " (٣) ويثبته ابن تغري بردي "صبح الأعشى في صناعة الإنشا" (٤) وأما المقرئزي فيورده تارة "صبح الأعشى في قوانين الإنشا " (٥) وتارة "صبح الأعشى في صناعة الإنشا" (٦) . السخاوي يشير له "بصبح الأعشى في صناعة الإنشا " (٧) ويأتي العيني (٨) والصيرفي (٩)

- 
- (١) عمر موسى باشا : تاريخ الأدب العربي ( العصر المملوكي ) ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، لبنان ، دار الفكر ، دمشق ، سوريا ط١، ١٩٨٩، ص٥٤٩ و جرجي زيدان : المرجع السابق ج٣ ص١٤١
- (٢) العسقلاني ، ابن حجر : المجمع المؤسس للمعجم المفهرس ، ص٤٥٠
- (٣) ابن حجر العسقلاني : إنباء الغمر في أبناء العمر ، ج٧ ص ٣٣٠-٣٣١
- (٤) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة في معرفة ملوك مصر والقاهرة ج١٣ ص٢٨٨ ابن تغري بردي المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي ج١ ص٣٥١-٣٥٢
- (٥) المقرئزي ، أحمد بن علي . ندر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة ، القسم الثاني ، ٧٦-٧٧
- (٦) المقرئزي : السلوك في معرفة دول الملوك ج٢، ٤٧٣-٤٧٤
- (٧) السخاوي ، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن : الضوء اللامع ، ج٢ ص٨
- (٨) العيني ، بدر الدين محمود : عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان . (حوادث ٨١٥-٨٢٤هـ) ج٣ ص٣٣٨-٣٣٩
- (٩) الصيرفي ، علي بن داوود الجوهري : نزهة النفوس والأبدان في تواريخ أهل الزمان ، ج٢، ص٤٣٢

بتسمية أخرى : "صبح الأعشى في كتاب الإنشا " مع أن القلقشندي ذكر اسم كتابه مرتين باسم "صبح الأعشى في كتابة الإنشا"<sup>(١)</sup> ، فإذا كانت المعاني الواردة في تسمية الكتاب تؤدي المعنى نفسه تقريبا ، يستدرجنا للاعتقاد باهتمامهم بالمضمون مع أنه عصر الاهتمام بالصنعة اللفظية ، فإن اسم والد المؤلف ، لا يبرره الاعتقاد السابق ، وليس ثمة قرب بين علي وعبد الله لنسبه للتصنيف ، وبغض النظر عن أسباب الاختلاف ، فإنه دفعنا للاعتقاد بما ذهب إليه كل من العيني "٨٢٥هـ" والمقريزي "٨٤٥هـ" لاتفاقهما في الرواية وقرب وفاتهما من وفاة القلقشندي "٨٢١هـ" مقارنة مع وفاة ابن حجر "٨٥٢هـ" المخالف لهما .

ولترجمة السخاوي لابن القلقشندي وهو معاش له سنين عدة وموافقتهما لرواية العيني والمقريزي وكذلك ما أورده جرجي زيدان من أنه رأى اسمه موافقا لمقولة العيني والمقريزي في صدر كتابه قلاند الجمان وعبد الستار أحمد فراج أنه ورد في المخطوطة التي حققها من مآثر الأنافة كتب عليها : "كتاب الأنافة في معالم الخلافة ، تأليف الفقير إلى الله أحمد بن عبد الله القلقشندي الشافعي . وبهذا نقدم اسمه أحمد بن عبد الله القلقشندي .

---

(١) القلقشندي ، أحمد بن عبد الله : مقدمة صبح الأعشى ج ١ ص ١٠  
القلقشندي : مآثر الأنافة في معالم الخلافة ، مصورة ، ط ٢ ، مطبعة حكومة الكويت ، ج ٣ ، ص ٩٨

كنيته :

الكنية عند النحاة ، أحد أقسام العَلَم ، والمراد بها ما صدرّ بأب أو أم ، مثل : أبي القاسم وأم كلثوم ، وقد كان للعرب بالكنية أتم العناية ، حتى أنهم كتّوا جملة من الحيوان ، بكنى مختلفة : فكّوا الأسد بأبي الحارث والثعلب بأبي الحصين (١) . أما حول جواز الكنى ، واستحباب مخاطبة أهل الفضل بها فيقول الإمام النووي : " هذا الباب أشهر من أن نذكر فيه شيئاً منقولاً ، فإن دلالته يشترك فيها الخواص والعوام . والأدب أن يخاطب أهل الفضل ومن قاربهم بالكنية ، وكذلك أن كتب إليه رسالة ، وكذا أن رويت عنه رواية" (٢) . وقد كُتّي القلقشندي " بأبي العباس" (٣) وبحسب المصادر التي بين يدي لم أطلع على ولد له بهذا الاسم - وإن ذكر له ولد باسم "محمد" سيأتي ذكره - وقد يكنى الرجل بغير أولاده حتى قيل هذا باب واسع ، لا يحصى من يتصف به ولا بأس في ذلك (٤) . وليس هذا بغريب ، حين نعلم أنه كني من ليس له ولد ، فمن ذلك ما ورد في الأسانيد الصحيحة عن عائشة \_ رضي الله عنها \_ قالت : " يا رسول الله : صواحبي لهن كنى ، فقال : فاكتني بابنك عبد الله -

(١) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٣٠

(٢) النووي ، يحيى بن شرف الدين : الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار ، دار القلم ، بيروت ، لبنان ، ط ١٩٨٣ ، ص ٢٦٠

(٣) اسماعيل باشا البغدادي : هدية العارفين من كشف الظنون ، ص ١٢٢

عمر موسى باشا : تاريخ الأدب العربي "العصر المملوكي" ص ٥٤٠

عمر كحاله : المستدرک علی معجم مصنفی الكتب العربية في التاريخ ، ص ٤٧ ، معجم مؤلفي الكتب ص ٦٧

ناظم رشيد : في أدب العصور المتأخرة ، ص ١٤٠

القلقشندي : فلانذ الجمال في التعريف بقبائل العربان

الابيارى : في تحقيقه لكتاب، صبح الأعشى ج ١ ص ٣

(٤) النووي : الأذكار ص ٢١١

يعني عبد الله بن الزبير - وهو ابن أختها أسماء ، وكانت عائشة \_ رضي الله عنها  
\_ تكنى بأم عبد الله " (١) ، وكذلك جاز تكنية الصغير ، يقول النووي : " روينا في  
صحيح البخاري ومسلم عن أنس \_ رضي الله عنه \_ قال : كان النبي \_ صلى الله  
عليه وسلم \_ أحسن الناس خلقا ، وكان لي أخ يقال له أبو عمير - قال الراوي :  
أحسبه قال فطيم - وكان النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ إذا جاءه يقول : يا أبا  
عمير ، ما فعل النقيير نقيير كان يلعب به " (٢) ، وقد يكون للرجل أكثر من كنية ،  
فقد كان لأمير المؤمنين عثمان بن عفان \_ رضي الله عنه \_ ثلاث كنى : أبو عمرو  
، وأبو عبد الله ، وأبو ليلي (٣) .

(١) الفلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٣٥

(٢) النووي : الأذكار ، ص ٢٦١

(٣) الفلقشندي : صبح الأعشى ج ٥ ، ص ٤٣٥



## ألقابه ونعوته

الألقاب والنعوت يستعملان في المدح والذم جميعا، وعرّفت النحاة اللقب بأنه: ما أدى إلى مدح أو ذم ، فالمدح كأمر المؤمنين ، وزين العابدين ، والذم : كأنف الناقة ، والنعوت تارة يكون صفة مدح وتارة يكون صفة ذم ، ولا شك أن المراد هنا من النعت واللقب صفة المدح (١). ولا نزاع في إطلاق اللقب والنعوت ، فمن حيث أنها صفات مؤدية إلى المدح يطلق عليها اسم اللقب ، ومن حيث أنها صفات لذوات قائمه ، يطلق عليها اسم النعت (٢) . وقد لقب القلقشندي بالألقاب ونعوت كثيرة ، منها شهاب الدين(٣) . والشهاب في اللغة : الشعلة الساطعة وفي التنزيل العزيز: ﴿أَوِ اتَّيَكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ والنجم المضيء اللامع . ويقال للماضي الماهر في الأمور أو الحرب : هو شهاب علم أو شهاب حرب ونحوها(٤). ويذكر القلقشندي " أنه كان في الزمان الأول : لغالب أسمائهم ألقاب ، لا يتعدونها ، كقولهم في محمد "شمس الدين " وفي أحمد:"شهاب الدين " (٥) ولما كان اسم القلقشندي

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ص ٤٣٨ - ٤٣٩

(٢) المصدر نفسه ج ٥ ص ٤٣٨ - ٤٣٩

(٣) ابن حجر العسقلاني : المجمع المؤسس ص ٤٥٠ ، المقرئزي : درر العقود الفريدة القسم ٢ ص ٧٥ ، السلوك ج ٤ ق ١ ص ٤٧٣

ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج ١٣ ص ٢٨٨ ، المنهل الصافي ج ١ ص ٣٥١ ، محمود رزق سليم : عصور السلاطين المماليك ج ٥ ص ٤١٢

(٤) إبراهيم مصطفى ، أحمد حسن الزيات ، حامد عبد القادر ، محمد النجار : " المعجم الوسيط ، دار الدعوة ، استنبول تركيا ، جمهورية مصر العربية ، مجمع اللغة العربية مادة "شهاب "

(٥) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ص ٤٨٩



ومعاذ بن جبل وأبي موسى الأشعري ، وهو مشتق من القضاء ، واختلف في معناه ، ف قيل في أحكام الشيء والفراغ منه ، وذلك في قوله تعالى : ﴿وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب﴾ أي أخبرناهم بذلك وفرغنا لهم منه ، ومثل معناه القطع ، يقال : قضى الشيء إذا قطعه ، ومنه قوله تعالى : ﴿فاقض ما أنت قاض﴾ وسمي القاضي بذلك لأنه يقطع الخصومة بين المتخاصمين بالحكم . واشتق منه القضائي والقاضي وأطلق على أرباب الأقسام في الجملة سواء كان صاحب اللقب يعمل في هذه الوظيفة أو غيرها ، كسائر العلماء والكتاب ومن في معناهم ، وعلى ذلك عرف العامة<sup>(١)</sup> . ونعت القلقشندي بالفقيه<sup>(٢)</sup> ، وهو من ألقاب العلماء ، ويخص به المجتهد دون المقلد ، وأطلق على فقهاء المكاتب ونحوهم على سبيل المجاز . وكان استعماله في مصر قليل ونادر ، واستصغره جهلة الكتاب وعدوه نقصا ، ويعظمه أهل المغرب ، والفقيهي نسبة إليه للمبالغة وهو مستعمل في ألقاب العلماء<sup>(٣)</sup> ، وقد حصل القلقشندي على إجازة<sup>(٤)</sup> من الشيخ ابن الملقن ، أذن له فيها بتدريس المذهب

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ص ٤٥١

(٢) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج ١٣ ، ص ٢٨٨ ، المنهل الصافي ج ١ ص ٣٥١ ، السخاوي : الضوء اللامع ج ٢ ص ٨  
ابن حجر العسقلاني : إنباء الغمر بأبناء العمر بالتاريخ ، ج ٧ ص ٣٣٠ ، المقرئزي : درر العقود ، القسم الثاني ٧٥-٧٦ ، السلوك ، ج ٤ ق ١ ص ٤٧٣

محمد زغلول سلام : الأدب في العصر المملوكي ، ج ٣ ص ١٨١ ، شوقي ضيفي : عصر الدول والإمارات "مصر والشام" ، دار المعارف القاهرة ، مصر ١٩٨٤ ص ، محمود رزق سليم : عصر السلاطين المماليك ، ج ٥ ص ٤١٢

(٣) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٦ ، ص ٢٢

(٤) القلقشندي : صبح الأعشى ج ١٤ ص ٣٢٢-٣٢٧

الشافعي ورواية مؤلفاته في الفقه والحديث ، وكل ما كان يرويه من الصحاح الستة ،  
ومسند الشافعي ومسند ابن حنبل ، وكذلك ألف شرحا في الفقه الشافعي ، على كتاب  
جامع مختصرات الجوامع سماه "الغيوث الهوامع " ولعل هذا ما كان وراء حمله لهذا  
اللقب .

ونعت أبو العباس القلقشندي بأنه بارع <sup>(١)</sup> وفي اللسان : " برع ببرع بروعا  
وبراعة ، فهو بارع : تم في كل فضيلة وجمال وفاق أصحابه في العلم وغيره ، فقد  
توصف به المرأة " <sup>(٢)</sup> " وهو من ألقاب أرباب الأقلام ، وفاعل من البراعة وهي  
النهضة بالشيء والتقدم به " <sup>(٣)</sup> .

وذكر معاصروه أنه برع في اللغة العربية والفقه والأدب ، وفي آثاره التي  
تركها لنا في الفقه واللغة والأدب والتاريخ والجغرافيا لدليل على أهليته لهذا اللقب .  
وكما أطلقوا على أبي العباس القلقشندي لقب " إمام " <sup>(٤)</sup> وهو من ألقاب الخلفاء  
كما يقال في المكاتبات عنهم : " من عبد الله ووليه الإمام الفلاني " وأول من  
تلقب به إبراهيم بن محمد <sup>(٥)</sup> أول من بويع له بالخلافة من بني عباس ، ويقع في

(١) المقرئزي : السلوك ج ٤ ق ١ ٤٧٣ ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج ٣ ، ص ٨٢١ ، المنهل الصافي

ج ١ ص ٣٥١ ، السخاوي : الضوء اللامع ج ٢ ص ٨

(٢) ابن منظور : لسان العرب مادة "برع"

(٣) القلقشندي : صبح الأعشى ج ٦ ص ١١

(٤) ان تغري بردي : المنهل الصافي ، ج ١ ، ص ٣٥١ ، السخاوي : الضوء اللامع ، ج ٢ ، ص ٨ ،

عمر كحالة : المستدرك على معجم مصنفى الكتب العربية في التاريخ ، ص ٦٧

(٥) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ص ٤٤٠

ألقاب أكابر العلماء ، وأصل الإمام في اللغة الذي يقتدى به ، ولذلك وقع على  
المجتهدين كالأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المشهورة ، وهم الشافعي ومالك وأبو  
حنيفة ، وأحمد بن حنبل<sup>(١)</sup> وفي اللسان : " أمت القوم في الصلاة إمامة . وأتم به  
أي : اقتدى به . والإمام المثال ، قال النابغة :

أبوه قبله ، وأبو أبيه                      بنوا مجد الحياة على إمام<sup>(٢)</sup>

ولعله لقب بذلك لسعة علمه ومعرفته وعمله بالفقه تدريسا وتصنيفا فيقول به  
صاحب المنهل الصافي : " كان إماما فقيها بارعا في العربية ومشاركا في الفقه  
والفرائض ، ناب في الحكم وصنف في الفقه وغيره ، وكان له فضل وأفضال "<sup>(٣)</sup>.

ونعته بعض الباحثين بالمؤرخ<sup>(٤)</sup> وذلك لعلمه في التاريخ ونجد في كتابه :

" صبح الأعشى في كتابة الإنشا " الشيء الكثير من التاريخ ، إضافة إلى كتب  
مستقلة بذاتها مثل " الأنافة في مسائل الخلافة " وأخرى في النسب مثل : " نهاية  
الأرب في معرفة أنساب العرب " و " قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان  
" ويصف الأبياري منهجه في كتابة التاريخ قائلا : " منهجه في الكتابة التاريخية  
متميز على جميع من سبقه في الكتابة عن تاريخ مصر في العصور الوسطى " <sup>(٥)</sup> .

(١) المصدر السابق نفسه : ج ٦ ص ١٠

(٢) ابن منظور : لسان العرب مادة أم

(٣) ابن نعري بردي : المنهل الصافي ، ج ١ ص ٣٥١

(٤) الزركلي : الأعلام، ج ١، ص ١٧٧

(٥) الأبياري : تحقيق كتاب صبح الأعشى ج ١، ص ١٧

ونعت بالأديب (١) : وهذا مأخوذ من الأدب وعنايته به، وما له من إبداعات أدبية من رسائل إخوانية وديوانية ومفاخرات ومناظرات ومقامة وغير ذلك وقد ذكره معاصروه بأن له نظم ونثر (٢). وقد وصف بأنه "فاضلا" فيقول السخاوي في ذلك : " وكان أحد الفضلاء ممن برع في الفقه والأدب " (٣) ويذكر صاحب المنهل الصافي بقوله : " وكان له فضل وأفضال " (٤) . ويصفه المقرئ في مثل ذلك بقوله : " وكان فاضلا ، يذاكر بالفقه والنحو والأدب ، ويقول الشعر (٥) وابن حجر بقوله : " أحمد بن علي بن أحمد... أحد الفضلاء " (٦). ومن أوصافه " ماهراً " يقول ابن تغري بردي : " وكتب في الإنشاء وكان ماهراً في ذلك (٧) ، وفي ترجمة ابن حجر العسقلاني له قوله : " تفقه وتمهر وتعانى الأدب " (٨)

---

(١) الزركلي : الأعلام ، ج ١ ، ١٧٧ ، محمود رزق سليم : عصر السلاطين المماليك ، ج ٥ ، ٤١٢  
(٢) المقرئ : السلوك ، ج ٤ ق ١ ص ٤٧٤-٤٧٥ ، السخاوي : الضوء اللامع ج ٢ ص ٨ ، ابن تغري بردي المنهل الصافي ج ١ ص ٣٥٢  
(٣) السخاوي : الضوء اللامع ، ج ٢ ، ص ٨  
(٤) ابن تغري بردي : المنهل الصافي ج ١ ص ٣٥٢  
(٥) المقرئ : العقود الفريدة ، ق ٢ ، ص ٧٥-٧٦  
(٦) ابن حجر العسقلاني : المجمع المؤسس ص ٤٥٠  
(٧) ابن تغري بردي المنهل الصافي ج ١ ص ٣٥٢  
(٨) ابن حجر العسقلاني : إنباء الغمر بأبناء العمر ، ج ٧ ، ص ٣٣٠

وكذلك يورد في المجمع المؤسس للمعجم المفهرس قوله : " مهر في الأدب ، وصنف صبح الأعشى في صناعة الإنشا " (١) ونعته الزركلي بالباحثة (٢) والمستعرض لكتاب صبح الأعشى في كتابة الإنشا، لأبي العباس القلقشندي كمثال من مؤلفاته ،

يدرك كم من المراجع عاد إليها المؤلف وبحث فيها . منها ما ذكرها ومنها ما اكتفى بذكر اسم مؤلفها ، ومنها ما لم يشر إليه بصراحة .

وأطلق عليه لقب كاتب (٣) من الكتابة ، مصدر كتب ، وتطلق الكتابة على العلم ومنه قوله تعالى : ﴿ أم عندهم الغيب فهم يكتبون ﴾ أي يعلمون ، وعلى حد ذلك قوله ﷺ في كتابه لأهل اليمن حيث بعث إليهم معاذًا وغيره : " أني بعثت إليكم كاتبًا " قال ابن الأثير في غريب الحديث : أراد عالما ، سمي بذلك لأن الغالب على من كان يعلم الكتابة أن عنده علما ومعرفة ، وكان الكاتب عندهم قليلا وفيهم عزيزا على أن الكتابة وإن كثرت أقسامها وتعددت أنواعها لا تخرج عن أصلين : هما كتابة الإنشا وكتابة الأموال ، ثم غلب في الديار المصرية اسم الكاتب على كاتب المال . وصار لصناعة الإنشاء ، اسمان : خاص ، يستعمله أهل الديوان ، وهو كتابة الإنشاء ، وعام يتلفظه العامة وهو التوقيع .

(١) ابن حجر العسقلاني : المجمع المؤسس ص ٤٥٠

(٢) الزركلي : الأعلام ، ج ١ ، ص ١٧٧

وأما التخصيص بالإضافة إلى الإنشاء ، الذي هو أصل موضوعها وهو مصدر أنشأ الشيء إذا ابتدأه أو اخترعه على غير مثال يحتذيه ، بمعنى أن الكاتب يخترع ما يؤلفه من كلام وبينكره من المعاني فيما يكتبه من المكاتبات والولايات وغيرها ، أو أن المكاتبات والولايات تنشأ عنه (١) .

وأرى أن محمود رزق سليم ما أراد بمقولته واصفا القلقشندي ، إلا كاتب الإنشاء والمبدع إذ يقول : " كاتب منشى أديب وبعبارة أخرى لقد كان كاتباً من كتاب الدرج المنشئين (٢) . ومما يدل على ما ذهبنا إليه قول معاصريه : " كتب في الإنشاء (٣) وكذلك قولهم : " وكان يعاني جميع ما يتعلق بصنعة الإنشاء (٤) . ويقول ابن حجر العسقلاني : " وباشر التوقيع " (٥) . والتوقيع التأثير الخفيف أو كل ما خف ، حكى أن أعرابية قالت لجارتها :

حديثك ترويع وزيارتك توقيع " تريد أن زيارتها خفيفة وله معاني كثيرة

يوردها القلقشندي (٦) .

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١ ص ٥١-٥٢

(٢) محمود رزق سليم : عصر السلاطين المماليك ج ٤ ص ٤١٢

(٣) ابن حجر العسقلاني : إنباء الغمر ، ج ٧ ، ص ٣٣٠ ، السخاوي : الضوء اللامع ج ٢ ص ٨ ، ابن تغري بردي : المنهل الصافي ج ١ ص ٢٥١ النجوم الزاهرة ج ١٣ ص ٢٨٩ ، المقرئ : السلوك ج ٤ ق ١ ص ٤٧٤-٤٧٥

(٤) العيني : عقد الجمان ( حوادث ٨١٥-٨٢٤هـ ) ، ص ٣٣٩ / الصيرفي : نزهة النفوس ج ٢ ص ٤٣٣

(٥) ابن حجر العسقلاني : المجمع المؤسس ٤٥٠

(٦) القلقشندي : صبح الأعشى ج ١ ص ٥٣



ووجه إطلاقه على كتابة الإنشاء ، أن التوقيع في الأصل اسم لما يكتب على القصص ، فإن ما يكتب في ديوان الإنشاء من مكاتبات وولايات إنما يبتنى على ما يخرج من الديوان من توقيع يخطه صاحب ديوان الإنشاء أو كاتب الدست ومن في معناهم ، فيكون التوقيع هو الأصل الذي يبني عليه المنشئ وقد يكون سمي بالأصل الذي نشأ عنه مجازاً (١) ويذكر المقرئزي أنه كتب في توقيع الدرج (٢) أما صاحب المنهل الصافي فيصفه بقوله " ... أحد موقعي الدست ... " (٣) أما حول قولهم الشافعي (٤) فإنه عرف في عصرهم نسبة العالم إلى المذهب الذي يتبعه أو يدرسه ويدرسه (٥) وقد مر بنا أن أبا العباس القلقشندي قد حصل على إجازة بتدريس المذهب الشافعي وأنه درس فيه .وقولهم "القاھري" (٦) فذلك لنزوله في القاهرة (٧) إذ استقر فيها عند عمله في ديوان الإنشاء وأكثر ما اشتهر به قولهم : " القلقشندي " إذ ينسبوه إلى بلدة القلقشندة ويقول القلقشندي في معرض حديثه عن القليوبية : وموقعها في

(١) المصدر السابق : ج ١ ص ٥٣

(٢) المقرئزي : درر العقود ، ق ٢ ، ص ٧٥

(٣) ابن تغري البردي : المنهل الصافي ، ج ١ ص ٣٥١-٣٥٢

(٤) المقرئزي : درر العقود ، ق ٢ ، ص ٧٥ ، السلوك ، ج ٤ ، ق ١ ، ص ٤٧٣-٤٧٤ ، ابن حجر : المجمع

المؤسس ٤٥٠ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج ١٣ ص ٢٨٩ المنهل الصافي ج ١ ص ٣٥٢ العيني : عقد

الجمان ( حوادث ٨١٥-٨٢٤هـ ) ، ص ٣٣٩ السخاوي : الضوء اللامع ج ٢ ص ٨

(٥) مصطفى الشكعة : الأصول الأدبية في صبح الأعشى ، دار الأحد 'بحتري أخوان' بيروت لبنان ، ص ٥٦

(٦) السخاوي : الضوء اللامع ، ج ٢ ص ٨

(٧) الصيرفي : نزمة النفوس ، ج ٢ ، ص ٤٣٣ ، العيني عقد الجمعان (حوادث ٨١٥-٨٢٤هـ) ، ص ٣٣٩ ،

ابن حجر إنباء الغمر ج ٧ ص ٣٣٠

الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة غير أنها من القاهرة في جهة الشمال على نحو فرسخ ونصف من القاهرة .

ومن بلادها بلدتنا " قلقشندة " وهي بلدة حسنة المنظر غزيرة الفواكه . أما ابن خلكان فيشكلها بفتح القاف وسكون اللام ، وفتح القاف الثانية والشين المعجمة وسكون النون وفتح الدال المهملة وبعدها ساكنه " قَلْقَشَنْدَة " وهكذا هي مكتوبة في دواوين الديار المصرية ، وأبدل ياقوت في "معجم البلدان " اللام راء (١) وهو الجاري على السُّنَّة الحامية .

وكذلك أوردها المقرئزي في "درر العقود " وكذلك في السلوك بالراء بدلا من اللام فينسبه بقوله "القرقشندي " . وقال ابن خلكان : " وهي على ثلاثة فراسخ من القاهرة وهي بلدة حسنة المنظر كثيرة البساتين غزيرة الفواكه . وذكرها غير هؤلاء المؤرخين باللام لا الراء (٢) أما حمزة عبد اللطيف فيقول : إنها المدينة التي يحق لها أن يتباهي المدن المصرية بنجابتها فهي التي أنجبت ثلاثة من الرجال العلماء أولهم الليث بن سعد من أعظم فقهاء مصر في القرن الثاني الهجري حتى قال فيه الإمام الشافعي : " والليث أفقه من مالك ، إلا أن أصحابه لم يقوموا به " وقال فيه ابن وهب : " ما رأينا قط أحدا أفقه من الليث "

---

(١) الحموي ، ابو عبدالله ياقوت بن عبدالله البغدادي : معجم البلدان ، دار صادر - دار بيروت للطباعة و النشر ، ١٩٨٤ ، ٣٢٧ .

(٢) ابن حجر العسقلاني : المجمع المؤسس ص ٤٥٠ ، إنباء الغمر، ج٧ ، ص ٣٣٠ ، العيني : عقد الجمان ( حوادث ٨١٥-٨٢٤هـ ) ص ٣٣٩ ، الصيرفي : نزهة النفوس ج ٢ ص ٤٣٣ ، السخاوي : الضوء اللامع ج ١ ص ٨ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج ١٣ ، ص ٣٨٩ ، المنهل الصافي ، ج ١ ، ص ٣٥٢

ومات الليث سنة خمس وسبعين ومائة وقيل في رثائه :

ذهب الليث فلا ليث لكم ومضى العلم قريبا وقبر

وفي القرن الثامن للهجرة أنجبت مدينة قفوشندة رجاها الثاني صاحب بحثنا

هذا ومن بعده أنجبت ابنه محمد شمس الدين الذي سنأتي عليه بالحديث (١) .

---

(١) حمزة عبد اللطيف : القلقشندي في كتابه صبح الأعشى ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر  
١٩٦٣ ص ٣٩-٤٠

مولده ونشأته :

ولد أبو العباس ، أحمد بن عبد الله القلقشندي سنة ست وخمسين وسبعمائة للهجرة الموافق خمس وخمسين وثلاثمائة و ألف لليلاد ، ذكر ذلك السخاوي (١) على أن هذا التاريخ لولادته متفق عليه ضمنا عند كل المؤرخين الذين ترجموا له ، وإن لم يذكروا سنة ولادته . ولعل ذلك عائد للاهتمام بسنة الوفاة ، إذ لا تعرف أهمية المولود إلا بعد نضجه وظهور عطائه ، فقد تكررت عبارة : " توفي يوم أو ليلة " السبت عاشر جمادى الآخرة سنة إحدى وعشرين وله خمس وستون سنة " (٢) ومن هذه العبارة نستخلص تاريخ ولادته التي أشرنا إليها عند السخاوي .

ويعود نسبه إلى بني بدر ، وفيهم كانت رئاسة بني فزارة في الجاهلية ، وكانوا يتأسون جميع غطفان ، وتدين لهم قيس وإخوانه من بني ثعلبة بن عدي ، ومنهم كان حذيفة بن بدر بن عمر بن حرب بن لوزان بن ثعلبة بن عدي ابن فزارة ، وهو صاحب الفرس الموسومة بالغبراء التي أجريت مع الفرس الموسومة بداحس ، وكان بسببها الحرب المعروفة بحرب داحس بين عبس وغطفان ، على ما هو مذكور في كتب السير .

(١) السخاوي : الضوء اللامع ج ٢ ص ٨

(٢) المقرئزي : درر العقود ، ص ٧٦ ، السلوك ج ٤ ق ١ ص ٤٧٣ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج ١٣

... ٢٨٨ ، المنهاج ، ص ١٠٠ ، السخاوي : الضوء اللامع ج ٢ ص ٨

و في ذلك يقول القلقشندي : " قلت وبنو بدر هؤلاء قبيلتنا التي إليها نعتز  
وفيها ننتسب ، ومنها جل عرب بلاد قليوبية من الدير المصرية ، ويجاورهم فيها  
بنو عمهم من بني مازن من فزاره ، ولكل منها بلاد تخصه ، ولا زالت بينهما  
العداوة و الشحناء ولبنو بدر منهم الرياسة والقوة والخلية " (١).

وكان مولده في قلقشندة من أعمال قليوبية وفيها نشأ نشأة علمية وتربى تربية  
صحيحة ، ونال قسطا وافرا من العلوم (٢) فكان صاحب تواضع ومروءة (٣) ولعلنا نلمس  
هذا التواضع في كتاباته ، إذ نجده مع ما حصل من علم وتمكن في التأليف ، يقول في  
خطبة كتابه "صبح الأعشى في كتابة الإنشا " مشيرا لمقامته : " وأشرت فيها إلى وجه  
تعلقي بحبال هذه الصنعة وإن لم أكن بمطلوبها مليا ، وانتسابي إلى أهلها ، وإن كنت في  
النسبة إليها دعيا

وليس دعي القوم في القوم كالذي حوى نسبا في الأكرمين عريقا (٤)

ويقصد صناعة الكتابة وليس غريبا أن نجد هذا التواضع وهو من نشأ يتعلم القرآن

الكريم ، ونال حظا وافرا من الثقافة على يد العلماء الأوائل ، وكان لهم أكبر الأثر في

(١) القلقشندي : نهاية الأرب في معرفة انساب العرب ، ج ١ ، ص ١٥٠  
(٢) ناظم رشيد : في أدب العصور المتأخرة ، مكتبة بسام ، الموصل - العراق ، ١٩٨٥ ، ص ١٤٧ عبد اللطيف  
حمزة : القلقشندي في كتابه صبح الأعشى ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف و الطباعة و النشر مطبعة مصر  
ص ٤١

(٣) السخاوي : الضوء اللامع ، ج ٢ ، ص ٨

(٤) القلقشندي : صبح الأعشى ج ١ ص ٩

تكوين شخصيته الأدبية والعلمية<sup>(١)</sup> وهذا التواضع والتأدب يدفعنا إلى عرض  
خاصية أخرى امتاز بها الفلقشندي وهي الجرأة الأدبية ، يتضح لنا ذلك من قوله :  
" الحمد لله الذي جعل للعرب جمالا ، تنهافت عليه سائر الأمم وخصهم من كثرة القبائل  
بما طلع في كل أفق نجم ، ورفع لهم في كل قطر علما ، وأنالهم من الشرف الباذج ما لا  
تمتد إلى مثله يد ، ولا تتخطى إلى نظيره قدم " <sup>(٢)</sup> هذا في عصر كان فيه السلاطين من  
غير العرب <sup>(٣)</sup> والقادة وكبار الساسة من غيرهم فلم يمنعه ذلك من الافتخار بأصله  
وعرويته من غير موارد أو مهادنة .

#### ثقافته:

يذكر السخاوي <sup>(٤)</sup> في ترجمته لأبي العباس الفلقشندي ، أهم العلوم التي اطلع  
عليها . فإضافة لبراعته في الأدب ، فقد كتب في الإنشاء ، وشرح جامع  
المختصرات - لكمال الدين أحمد بن عمر بن أحمد بن مهدي المتوفى ٧٥٧هـ -  
بل وعمل في نظمه . ومما يدل على قوة ذاكرته أنه كان يستحضر معظم ذلك . كما  
ويذكر أنه نظم سيرة المؤيد لابن ناهض مما يجعلنا نستشف من هذه الترجمة أن أبا  
العباس الفلقشندي قد كتب نثرا ونظم شعرا .

(١) عمر موسى باشا ، تاريخ الأدب العربي "العصر المملوكي " ص ٥٤٤

(٢) الفلقشندي : نهاية الأرب، ج ١ ، ص ١

(٣) عمر موسى باشا : المرجع السابق ٥٤٣

(٤) السخاوي : الضوء اللامع ، ج ٢ ص ٨

وهذا ما نجد الإشارة إليه واضحة عند ابن تغري بردي في قوله : "ونظم ونثر" (١) وهو بذلك مثل معظم علماء عصره ممن تعاني النظم مع النثر . وإن لم يكن له ديوان أفرد فيه شعره ، فقد وجدنا عددا من المقطوعات المنظومة في موسوعته "صبح الأعشى في كتابة الإنشا" جاءت في مجالات من الاستشهاد ، هذا مع كونه مناهضا للشعر منتصرا ومنحازا للنثر فيقول : " والنثر أرفع منه درجة وأعلى رتبة ، وأشرف مقاما ، وأحسن نظاما ، إذ الشعر محصور في الوزن والقافية يحتاج الشاعر معها إلى زيادة الألفاظ والتقديم والتأخير ... والكلام المنثور لا يحتاج إلى شيء من ذلك . فتكون ألفاظه تابعة لمعانيه ، ويؤيد ذلك إذا اعتبرت ما نقل من معاني النثر إلى النظم وجدته قد انحطت رتبته (٢) ، فقد كان باعه في النثر أطول ، إذ اهتم في الإنشاء ، وعمل موسوعته المذكورة : " وجمع فيها جمعا كبيرا مفيدا " (٣) ولعل ذلك عائد لعمله في ديوان الإنشاء في عهد السلطان الظاهر برقوق ، وتعود أهمية هذا الديوان في ذلك العصر خاصة ، أنه كان لا يعمل فيه سوى أقطاب النثر والبلاغة ، الذين تؤهلهم معارفهم الواسعة للوقوف على شؤون الحكم والسياسة الداخلية والخارجية ، وسير العلاقات الدبلوماسية بين الممالك وباقي الأمم ، ولديوان الإنشاء بمصر ... منذ أيام الدولة الفاطمية تاريخ حافل ، وقد لبث عصورا مدرسة أدبية زاهرة ، يجتمع فيها أقطاب الكتاب وأئمة النثر والبلاغة (٤) حتى وصف أبو

(١) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج ١٣ ص ٢٨٨

(٢) الفلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١ ص ٥٨

(٣) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج ١٣ ص ٢٨٨

(٤) نخبه من الأسانيد : أم العباس الفلقشندي كتابه صبح الأعشى ، ص ١٥٠

العباس القلقشندي علم الكاتب بقوله : " على أن كاتب الإنشاء في الحقيقة لا يستغني عن علم ، ولا يسعه الوقوف عند فن " (١) وينقل عن ابن الأثير قوله في المثل السلئر : " أن صاحب هذه الصناعة يحتاج إلى التشبث بكل فن من الفنون حتى أنه يحتاج إلى معرفة ما تقوله النادبة بين النساء والماشطة عند جلوة العروس ، وإلى ما يقوله المنادي في السوق على السلعة ؛ فما ظنك بما فوق هذا وذاك لأنه مؤهل أن يهيم في كل واد ، فيحتاج إلى أن يتعلق بكل فن " (٢) حتى أنهم لم يجيزوا تعريف صاحب الكتابة بالكاتب ، في حين جاز تعريف صاحب الفقه بالفقيه وصاحب الكلام بالمتكلم ، وصاحب النحو بالنحوي ، إلا صاحب الكتابة فلا يقال فلان الكاتب لما يفتقر إليه من الخوض في كل فن (٣) .

على أن المعرفة التي اشترطوها في كاتب الإنشاء لم يجعلوها على نفس الحد من الإلمام ، فمنها ما يحتاج إلى المعرفة الدقيقة كاللغة التي منها يستمد الألفاظ ، والنحو الذي به استقامة الكلام وعلوم البلاغة من المعاني والبيان والبديع التي بها يحصل التحسين والتقييح. ومنها ما يعرف بطريقة العرض كالطب والهندسة والهيئة "الفلك" وغيرها من العلوم. حتى أنه ربما يحتاج معرفة مصطلح سفل الناس ، لكتابة أمور هزلية: كمعرفة أحوال الطفيلية فيما يكتب به الطفيلي امتحانا للخاطر

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١ ص ١٤٥

(٢) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٤٥

(٣) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٤٦



أو ترويحاً عن النفس<sup>(١)</sup>.

كما كان للكاتب صفات وآداب منها ما هو واجب لا يسع إهمالها وهي عشر صفات : الإسلام ، والذكورة ، والحرية ، والتكليف ، والعدالة ، والبلاغة ، ووقور العقل ، وجزالة الرأي ، والعلم بمواد الأحكام الشرعية والفنون الأدبية ، وقوة العزم ، وعلو الهمة ، وشرف النفس ، والكفاية لما يتولاه . والصفات العرفية ؛ فيكون أديبا ، حاد الذهن ، قوي النفس ، حاضر الحس ، جيد الحدس ، حلو اللسان ، له جرأة ، وفيه تودة ، شريف الأنفة ، عظيم النزاهة ، كريم الأخلاق ، مأمون الغائلة، مؤدب الخدام ، معتدل القامة ، صغير الهامة ، صادق الحس ، لطيف المذهب ، نظيف المجلس ، ظاهر المروءة ، عطر الرائحة ، دقيق الذهن ، حسن البيان ، رقيق حواشي اللسان ، حلو الإشارة.

وأما في آدابهم فهي أن يكون حسن السيرة وشرف المذهب ، وحسن العشرة<sup>(٢)</sup> كما ويشير القلقشندي إلى عدد من الأنبياء \_عليهم السلام\_ الذين كتبوا لغيرهم : كيوسف \_عليه السلام\_ ، إذ كان يكتب للعزير ، وهارون ويوشع \_عليهما السلام\_ كانا يكتبان لموسى \_عليه السلام\_ وسحبان بن داود كان يكتب لأبيه ، ويحيى بن زكريا كان يكتب للمسيح \_عليه السلام\_<sup>(٣)</sup> .

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١ ، ص ١٤٦

(٢) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٦١-٧٠

(٣) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٣٩

وإذا كانت هذه الصفات من شروط العمل في ديوان الإنشاء ، فإننا نستدل على توافرها في أبي العباس أحمد بن عبد الله القلقشندي ، والذي عمل فيه ما بين عامي "٧٩١-٨١٦" هـ على أقل تقدير وربما حتى تاريخ وفاته .

وإذا لم يتمكن القلقشندي طوال هذه الفترة من أن يكون على رأس ديوان الإنشاء فإن ذلك لا يعني أنه لم يكن يمتلك المؤهلات الأدبية والعلمية لذلك ، بل ربما كان يربأ بنفسه عن أن يسلك إليه سبل التزلف والرشوة ، كما كان سائدا في ذلك العصر <sup>(١)</sup> وليس أدل على قدرته من شهادة المترجمين له مشيرين إلى قدرته في الإنشاء إذ يصفه العيني بقوله : "وكان يعاني جميع ما يتعلق بصناعة الإنشاء" <sup>(٢)</sup>.

وقول ابن تغري بردي " وكتب في الإنشاء وكان ماهرا في ذلك " <sup>(٣)</sup> وكذلك قول الصيرفي : " وكان يعاني صناعة الإنشاء ، وصنف فيه كتابا أسماه صبح الأعشى في كتابة الإنشاء " <sup>(٤)</sup> على أن ثقافة القلقشندي اتسعت لتشمل علوم الفقه والفرائض ، وفي ذلك يقول المقرئزي : " وشارك في الفقه وعرف الفرائض .. وكتب في الفقه وغيره " <sup>(٥)</sup> ومثل ذلك وصف ابن تغري بردي في كتابيه "النجوم الزاهرة" و "المنهل الصافي" فيقول " أحد موقعي الدست إماما فقيها بارعا في العربية ،

(١) الأبياري : تحقيق كتاب القلقشندي : صبح الأعشى التقديم ص ١٠ وانظر المقرئزي ، إغاثة الأمة بكشف الغمة ، دار الهلال ، ١٩٩٠ ، ص ٨٢ (٢) العيني : عقد الجمان ( حوادث ٨١٥-٨٢٤هـ ) ، ص ٢٣٩

(٣) ابن تغري بردي : المنهل الصافي ، ج ١ ، ص ٣٥١-٣٥٢

(٤) الصيرفي : نزهة النفوس والأبدان ج ٢ ، ص ٤٣٢ (٥) المقرئزي : السلوك ، ج ٤ ، ق ٢ ، ص ٤٧٣ - ٤٧٤

مشاركاً في الفقه والفرائض ، ناب في الحكم سنين ، كتب في الإنشاء ، وكان ماهراً في ذلك ، له نظم ونثر ، صنف في الفقه ، كان له فضل وأفضال وقورا في الدولة " (١) .

وكما لاحظنا خلال هذه الترجمات أنه شغل منصبا آخر في الدولة /ساعده في الإطلاع على أمور أخرى من مناحي الحياة والدولة ، وهو اشتغاله في ديوان الأعباس. ذكر ذلك العيني في "عقد الجمان" بقوله : "وكانت له مباشرة في ديوان الأعباس" (٢) وكذلك ما أورده صاحب "نزهة النفوس والأبدان" بقوله : "وكانت له مباشرة في ديوان الأعباس" (٣) .

ويحدثنا أبو العباس القلقشندي فيما ينقله عن ابن طوير حول ديوان الأعباس بقوله : "وهي أوكد الدواوين مباشرة ، ولا يخدم فيها إلا أعيان كتاب المسلمين من الشهود المعدلين" (٤) .

ولعل أكثر ما يهمننا في هذا الديوان من أنه أوكد الدواوين أي أدقها تنظيماً ، وكذلك أنه لا يقدم فيها إلا أعيان كتاب المسلمين ، من الشهود المعدلين ، وهذا ما يدلنا على أن هذه الصفات قد توافرت في أبي العباس من العدالة والدقة وعلو المكانة بين أعيان كتاب المسلمين ، فوصل إلى المباشرة في هذا الديوان .

(١) ابن تغري بردي : المنهل الصافي ، ج ١ ، ص ٣٥١ - ٣٥٢ / النجوم الزاهرة ج ١٣ ، ص ٢٨٨

(٢) العيني : عقد الجمان ( حوادث ٨١٥-٨٢٤هـ ) ، ص ٢٣٩

(٣) الصيرفي : نزهة النفوس والأبدان ج ٢ ، ص ٤٣٢

(٤) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٤٩٠

وتشي هذه الإشارات التي تشير بأن القلقشندي كان يمتلك ثقافة حسابية ، وأنه  
امتلك أدوات الحساب ، واستخراج الأموال في وجوهها ، واستيفاء الحقوق السلطانية  
فيها على أن القلقشندي الذي عمل في كلا المركزين - ديوان الأحباس وديوان  
الإنشاء- يفضل كتابة الإنشاء على سائر الكتابات ، إذ يرى أن كتابة الإنشاء  
مستلزمة للعلم بكل نوع من الكتابة ، فكاتب الإنشاء يحتاج فيما يكتبه من ولايته  
ومكاتبته فيما يتعلق بكتابة الأموال ، إلى أن يمثل لهم في وصايا من صناعتهم ما  
يعتمدونه . ويبين لهم ما يأتونه ويذرونه ، فلا بد أن يكون عالما بصناعة من يكتب  
له ، بخلاف كاتب الأموال ، فإنه يعتمد على رسوم مقررة وأنموذجات محررة لا  
يكاد يخرج منها ، ولا يحتاج فيها إلى تغيير ولا زيادة ولا نقص . وكذلك اشتمال  
كتابة الإنشاء على البيان الدال على لطائف المعاني ، التي هي زبد الأفكار ، جواهر  
الألفاظ فيها يتنافس أصحاب المناصب الخطيرة ، والمنازل الجليلة أكثر من تنافسهم  
في الدر والجوهر (١) .

وثمة عمل آخر باشره القلقشندي كان مدعاة للتوسع في ثقافته إذ خدم نائب

الإسكندرية (٢) صلاح الدين بن عرام (٣) مدة (٤)

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١ ، ص ٥٥

(٢) كانت الإسكندرية نيابة جلييلة في أيام المماليك تضاهي طرابلس وحماة وصفد ، من المملكة الشامية ، وبها  
كرسي سلطنة ، ونائبها من الأمراء المقدمين ، يركب المواكب السلطانية ، وكان ابتداء ترتيب هذه النيابة في  
سنة ٧٦٧هـ حيث أغار الفرنج عليها ، فتكوا بأهلها في زمن شعبان بن حنين وكانت قبل ولاية تعهد في جملة  
الولايات . انظر القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٢٤

(٣) هو الخليل بن علي بن عرام ( ٧٨٢ هـ - ١٣٨٠ م ) ابن حجر ، إنباء الغمر ، ج ١ ، ص ٢٢٣ -

٢٢٤ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج ١١ ، ص ١٨٣ - ١٨٤

(٤) المقرئزي : درر العقود ، ق ٢ ، ص ٧٥

ناب في الحكم<sup>(١)</sup> عن قاضي القضاة جلال الدين البلقيني<sup>(٢)</sup> في مقر القاهرة  
(٣) وموضوع قضاء القضاة التحدث في الأحكام الشرعية وتنفيذ قضاياها ، والقيام  
بالأوامر الشرعية، والفصل بين الخصوم ، ونصب النواب للتحدث فيما عسر عليه  
مباشرته بنفسه، وهي أرفع الوظائف الدينية ، وأعلاها قدرا وأجلها رتبة<sup>(٤)</sup> وهذا ما  
يوصلنا للاعتقاد بأن القلقشندي قد احتك بأمر الحياة السياسية في خدمته لنائب  
الإسكندرية وفي التعامل مع أمور العامة والخاصة في نيابته في الحكم عن القاضي  
البلقيني مما يجعله مطلعاً على ما كانت تعانيه طبقات المجتمع المختلفة ، وما يدور  
فيها من تدبير ، ودسائس وتغيير حقائق ، ويدفعه هذا لتحري الدقة فيما يكتب ونشير  
وعلى وجه الخصوص في تلك الفترة التي عاصرها .

وإذا كنا لا نستطيع القول بأن القلقشندي كان جغرافياً - وهو لا يدعي ذلك -  
وإنما رؤيته الموسوعية جعلته يرى في الجغرافيا ، أداة ضرورية لتكوين الكاتب  
المثالي ، إذ كان في عهده هو النموذج الطيب للرجل المثقف بلغة العصر ،

---

(١) المقرئزي : درر العقود ، ق ٢ ، ص ٧٥ ، السلوك ، ج ٤ ، ق ١ ، ص ٤٧٣ ، ابن حجر : المجموع  
المؤسس ، ص ٤٥٠ ، إنباء الغمر ، ج ٧ ، ص ٣٣٠ ، السخاوي : الضوء اللامع ، ج ٢ ، ص ٨ ، المنهل  
الصابي ، ج ١ ، ص ٣٥٢

(٢) العيني : عقد الجمان ( حوادث ٨١٥-٨٢٤هـ ) ، ص ٣٣٠ ، الصيرفي : نزهة النفوس ، ج ٢ ، ص ٤٣٢  
(٣) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج ١٣ ، ص ٢٨٨  
(٤) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٣٤ - ٣٥

ولذا لم يكن غريبا أن يفرد للجغرافيا المقالة اثنائية من المقالات العشر التي تضمنها كتابه صبح الأعشى في كتابة الإنشا (١).

وهو في ذلك يتحدث عن الجغرافيا السياسية ويتحدث عن الديار المصرية ، ثم ما يحيط بها من بلدان حتى يشتمل العالم الإسلامي في عصره ثم يتحدث في الجغرافيا الطبيعية .

فيذكر ما يكون في البلدان من بحار ويعكف على الأنهار ، فيصف النيل وما يكون فيه من فيضانات ، والمقاييس المقامة عليه وما له من خلجان وتفرعات ، ويذكر أنهارا أخرى مثل العاصي في الشام ، والفرات في العراق ، ثم يتحدث عن طبيعة الأرض ، ويخص بالتفصيل الأرض المصرية ومما تتصف بها من صفات وصلاحياتها للزراعة ، والمعوقات التي تواجهها ، فيدخل في الجغرافيا الاقتصادية فلم يقتصر في حديثه على مصر وأحوالها ، بل تحدث عن الغرب وخاصة تلك التي كانت على علاقة تجارية مع مصر ، كإيطاليا بمدنها التجارية المشهورة ؛ كالبنديقية وجنوة وبيزة ، ولم يكنف القلقشندي بإبراز طبيعة العلاقات بين مصر والمدن الإيطالية ، بل أوضح أيضا أن مصر كانت تكاتب صاحب البنديقية كلما دعت الحاجة إلى ذلك (٢).

(١) نخبة من الأساندة : أبو العباس القلقشندي وكتابه صبح الأعشى ، ص ٢٠٣

(٢) المرجع نفسه : ص ١٤٩ ، ص ١٦٥

و هذا يذكرنا بإطلاع الفلقشندي بالتاريخ واهتمامه به ، ومؤلفاته تدل على سعة ثقافته التاريخية ، إذ ألف في شؤون الخلافة ومتعلقاتها ، كما كتب في الأنساب و السير و لعل ذلك ما دفع سعيد عاشور للقول : " أن الفلقشندي يتمتع بحاسة تاريخية قوية ، فهو إلى جانب كونه أدبيا فقيها ، يبدو في كتاباته في صورة المؤرخ الواعي المحيط ببواطن الأمور ، القادر على الربط والاستنتاج ، المستوعب لكثير من كتب السير و التاريخ وهو عندما يتعرض للتاريخ يقول ما نصه : " اعلم أن التاريخ بحر لا ساحل له ، وقد أكثر الناس فيه من التصنيف على اختلاف فنونه ، ما بين مختصر ومبسوط ، من مقتصر على فن ومستوعب لفنون " (١). وفي الحديث حول ثقافة الفلقشندي يشير لإحدى رسائله تلك المناظرة التي يعقدها بين العلوم (٢) والتي تزيد على سبعين علما يظهر لنا من خلالها ، مدى معرفته بهذه العلوم ودرأيته بما اختص به كل علم منها ، فيصفها مبينا ما يزيد في مكانتها على غيرها ويعرض لها من مثالب قد ترفع غيرها درجة . و لعل الفلقشندي ما أراد من هذا العرض إلا إظهار ما أحاط به من علم وسعة إطلاع ودرأية بثتى العلوم التي كانت معروفة بعصره . أضف إلى ما تقدم فإن هناك العديد من العوامل التي ساهمت في اتساع ثقافة الفلقشندي لعل من أهمها ؛ تلك الجولات والأسفار العديدة في البلاد الخاضعة لحكم المماليك (٣) .

(١) المرجع السابق ، ص ٢٩ ، وانظر الفلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١ ، ص ٤١٢

(٢) الفلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١٤ ، ص ٢٠٦

(٣) نخبة من الأساندة : الفلقشندي وكتابه صبح الأعشى ، ص ١٤٧

أثاره :

و أنتجت هذه الثقافة الواسعة لأبي العباس القلقشندي ، العديد من المؤلفات التي ساهمت في إغناء المكتبة العربية ، وقد طبع قسم منها ، وينتظر القسم الآخر التحقيق والنشر وهي :-

١. "الغيوث الهوامع في شرح المختصرات والمختصرات الجوامع" وهو شرح لجامع المختصرات المنسوب للشيخ كمال الدين أحمد بن مهدي المدلجي المتوفى سنة "٧٥٧هـ". وقد اختبر في هذا الكتاب ضمن الإجازة التي منحها له ابن الملقن ، وأشار في تلك الإجازة لبراعة القلقشندي في ذلك الشرح وجلاء غامضه : " فاستحضر بحضرتي مواضع منه جمّة ، وأزال ببديع فصاحته جملة مدلهمه ، وأظهر من مشكلاته ما يعجز عنه اللبيب ومن أغاريبه ما يقف عنده البارع الأريب " (١) .

٢. " شرح الحاوي الصغير في الفروع " (٢) لنجم الدين عبد الغفار القزويني المتوفى سنة "٦٦٥هـ".

٣. " كنه المراد في شرح بانث سعاد " وهي قصيدة لكعب بن زهير في مدح النبي صلى الله عليه وسلم. أشار إليه القلقشندي في كتابه نهاية الأرب ص ٤٢٠ فيقول : "وقد وضعت على هذه القصيدة شرحا بديعا سميته " كنه المراد في شرح بانث

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١٤ ، ص ٣٢٦

(٢) السخاوي : الضوء اللامع ، ج ٢ ، ص ٨ ، عبد اللطيف حمزة : القلقشندي في كتابه صبح الأعشى ، ص

٤٣ ، ناظم رشيد : في أدب العصور المتأخرة ، ص ١٤٧



سعاد" فتح الله فيه بمعان لم أقف عليها في شرح لها من قبل " (١) .

وقد ذكر بروكلمان: أن للقصيدَة تسع نسخ من الشرح ، تحت العنوان نفسه ومنسوبة للسيوطي (٢) . ولعل عبد اللطيف حمزة أصاب في مقولته : أن لهذه القصيدة شروحا كثيرة ، من الجائز أن يكون شرح القلقشندي واحدا منها (٣) .

٤. " حلية الفضل وزينة الكرم ، في المفاخرة بين السيف والقلم " وهي رسالة أنشأها للمقر الزيني أبي زيد الدودار القاهري ، وقد أوردتها في كتابه صبح الأعشى (٤) .

٥. " الكواكب الندرية في المناقب البدرية " وهي المقامة ، التي أنشأها في مدح البدر بن فضل الله العمري رئيس ديوان الإنشاء ، وكانت البنية الأولى لتأليف موسوعته " صبح الأعشى في كتابة الإنشاء " ومن بعده مختصره " ضوء الصبح المسفر وجني الدوح المثمر " اللذان سنأتي عليهما ، ويقدم لهذه المقامة بقوله : "إني أنشأتها في حدود سنة إحدى وتسعين وسبعمئة ، عند استقراري في ديوان الإنشاء في الأبواب الشريفة وأنها اشتملت - مع الاختصار - على جملة جملة من صناعة الإنشاء " (٥) .

(١) انظر عبد اللطيف حمزة : القلقشندي في كتابه صبح الأعشى ، ص ٤٤

(٢) بروكلمان : تاريخ الأدب العربي ، نقله الى انجليزية عبدالحليم النجار ، دار المعارف القاهرة ، ط ٥ ، ١٩٨٣ ج ١ ، ص ١٥٨ - ١٥٩

(٣) عبد اللطيف حمزة : القلقشندي في كتابه صبح الأعشى ، ص ٤٤

(٤) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١٤ ، ص ٢٣١

(٥) المصدر نفسه ، ج ١٤ ، ص ١١١

وقد جاءت هذه المقامة بين المدح لرئيس الديوان ، وإظهار أهمية الكتابة  
وكتابة الإنشاء على وجه الخصوص ، ولغتها مكثمة لدرجة أنه أشار عليه أصحاب  
الرأي بشرحها وبسط معانيها .

٦ . " صبح الأعشى في كتابة الإنشا" وهي موسوعة مطبوعة وتعد أهم ما

كتب القلقشندي ذيوعا وانتشارا ، وأنها التي يعرف بها هذا الرجل<sup>(١)</sup> .

ويقول فيه الدكتور طه حسين " وهي خير ما أخرج للناس في هذا العصر ،  
عصر الموسوعات الكبرى ، ولو لم يكن له إلا ذلك لكفاه " <sup>(٢)</sup> ولما كانت هذه  
الموسوعة المرجع الرئيس للبحث فقد ارتأيت أن أعرضها بشيء من التفصيل ،  
فحول دوافع تأليفها يقول القلقشندي : " إلا أنه قد وقعت موقع الوحي والإشارة ،  
ومالت إلى الإيجاز ، فاكتفت بالتلويح عن واسع العبارة ، فعز بذلك مطلبها -  
الإشارة لمقامته سابقة الذكر - ..... فأشار من رأيه مقرون بالصواب ، ومشورته  
عرية عن الارتياب ، أن اتبعها بمصنف مبسوط ، يشتمل على أصولها وقواعدها  
... ناقلا للناظر في هذا المصنف عن رتبة أن يسأل فلا يجاب إلى رتبة أن يسأل  
فيجيب ..... فسميته " صبح الأعشى في كتابة الإنشا" راجياً من الله تعالى أن يكون  
المقصود وافية وللعليل شافيا " <sup>(٣)</sup> .

(١) عبد اللطيف حمزة : القلقشندي في كتابه صبح الأعشى ص ٥٠ / نخبة من الأساتذة : أبو العباس القلقشندي  
وكتابه صبح الأعشى ، ص ١٤٧

(٢) عمر موسى باشا : تاريخ الأدب العربي ( العصر المملوكي ) ص ٥٤٩

(٣) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١ ، ص ٩ - ١٠

وقد جاءت هذه الموسوعة في عشر مقالات ، تتوسط مقدمة وخاتمة . أما المقدمة فقد اشتملت على خمسة أبواب ، أولها يبين فضل الكتابة ، ورفعت مكانتها ، والباب الثاني يوضح مدلول الكتابة لغة واصطلاحاً ، ومعنى الإنشاء وعلاقته بالكتابة . أما الثالث : فيختص بصفات الكتاب وآدابهم ، والرابع : يتحدث حول حقيقة ديوان الإنشاء منذ وضعه الأول في الإسلام ، حتى عصر المؤلف . والخامس : يتناول قوانين ديوان الإنشاء وترتيب وأوضاع أهله ومكانتهم

والمقالة الأولى من المقالات العشر، تتحدث حول ثقافة الكاتب ،وما يحتاج إليه من المعارف والأدوات ،مقسماً إياها إلى قسمين كبيرين هما : الأمور العلمية ، والأمر العملية ، أما الأمور العلمية ،فهي ما يتعلق بعلم العربية ،والقرآن الكريم والحديث الشريف ،والخطب والمكاتبات ،ودواوين الشعراء والأمثال . والتاريخ والأنساب والفقهاء ، وكذلك الوصف للدواب بأنواعها ، والصيد والآلات المملوكية ، وإلى ذلك الإلمام باللغات الأعجمية ، وأما الأمور العملية : فهي فيما يحتاجه الكاتب من أمور الخط وتوابعه . وجعل المقالة الثانية : لتحديث عن المسالك والممالك .

وهي أربعة أبواب : يتحدث الأول منها عن الأرض ، من حيث الشكل والجهات ، وخطوط الطول ودوائر العرض ، والأقاليم والبحار والبلدان ، والثاني في الحديث عن الخلافة . والثالث: يخص به " الديار المصرية " منذ دخولها في الإسلام حتى عصره ، محاولاً إظهار فضل مصر على غيرها من البلدان ،وما فيها من آثار ومزروعات ، ونيلها بفيضانه وخلجانه ، وكذلك قواعدها القديمة، ثم يتبع ذلك الحديث عن المملكة الشامية والحجاز، من حيث الحدود والخواص، والعجائب

والعمائر ، والوحش والمواشي والطيور ، والزروع والرسوم ، ومن ملكها منذ القدم حتى عصر المؤلف .

أما الباب الرابع ، فيتحدث فيه عن الممالك المحيطة بالديار المصرية . أما المقالة الثالثة : فقد شملت أربعة أبواب . تحدث في الباب الأول: عن الأسماء والكنى . والألقاب والنعوت . وما يخص منها أهل الإسلام ، وما يخص اليهود والنصارى ، أما الباب الثاني : في بيان الورق ومقادير القطع ، وما يناسبها من الأقلام، والباب الثالث : بيان كتابة الملخصات ومقادير قطع الورق ، وأخيرا الباب الرابع : ويشمل الفواتح والخواتم ، واللواصق كالترتيب ، وما يترتب به وكذلك التاريخ العربي والعجمي، والمقابلة بين التاريخين .

#### المقالة الرابعة :-

تدور حول المكاتبات الصادرة عن ملوك مصر ، وتأتي هذه المقالة في بلبين: جاء الأول ، في الأمور العمومية للمكاتبات ، وهو في فصلين: الأول في المقدمات ، وما يناسبها ، والثاني: في أصول المكاتبات وترتيبها ، وما يخاطب به أهل الإسلام وغيرهم ، وكيفية طي الكتاب، وفتحه وفضه وقرأته وحفظه .

أما الباب الثاني: فيدرس مصطلح المكاتبات الدائرة بين كتاب الإسلام ، وهو في ثمانية فصول . الأول: في الكتب الصادرة عن الرسول، \_ صلى الله عليه وسلم \_ ، والثاني: الكتب الصادرة عن الخلفاء ، ابتداء وجوابا . والثالث: في الكتب الصادرة

عن الملوك ومن في معناهم . الرابع :في الكتب الصادرة عن ملوك الديار المصرية وأهل المملكة في مصر و الشام و الحجاز ومن لهم صلة بدولتهم . والخامس ،في الكتب الواردة إلى السلطان من مصر ، أما السادس : فهو في المكاتبات الإخوانية مما كان عليه المصطلح حتى استقر عليه الحال في عصر المؤلف . والفصل السابع : في مقاصد المكاتبات من الأمور الخاصة بالملوك والخلفاء ، كالبشارة بولاية الخلافة والدعاية للدين ، والفصل الثامن : في طريقة إخفاء ما كتب في الكتب، وله عدة طرق :أما بالترجمة أو بالمعالجة .

المقالة الخامسة :- في الولايات، وفيها أربعة أبواب .

الباب الأول :- في بيان طبقات الولايات ،وما على الكاتب مراعاته من الكتابة .

الباب الثاني :- في البيعات ، في معنى البيعات، وما يكتب للخلفاء فيها، واختلاف مذاهب الكتاب في ذلك .

الباب الثالث :- في العهود ، بيان معنى العهد ، وبيان أنواع العهود ،مما يكتب به للخلفاء عن الخلفاء، وما يكتب به للملوك عن الخلفاء ، ومذاهب الكتاب في ذلك ، وقد ذكر نسخ من ذلك .

الباب الرابع :- في الولايات الصادرة عن الخلفاء لأرباب المناصب من أصحاب السيوف والأقلام، وهو في ثلاثة فصول ، الأول : فيما يكتب عن الخلفاء ،من الصحابة وخلفاء بني أمية وبني العباس .... الثاني : فيما يكتب من الولايات عن

الملوك لأرباب السيوف والأقلام . والفصل الثالث: فيما يكتب عن نواب السلطنة في الممالك الشامية لأرباب السيوف والأقلام .

المقالة السادسة :- وفيها أربعة أبواب ، الباب الاول: في القضايا الدينية ، فيما كتبه القدماء ، ومن كتب في عصر المؤلف . و الباب الثاني: فيما يكتب في الاطلاقات والباب الثالث : في الطرخانيات ، أرباب السيوف والأقلام . الباب الرابع : في تحويل السنين ، وما يكتب في التوفيق بين السنين الشمسية والقمرية .

المقالة السابعة :-

وفيها بابان : الباب الأول في ذكر مقدمات الاقطاعات من أمور تتعلق بمعناها ، وأصل وصفها في الشرع ، وأول من وضع ديوان الجيش في الإسلام ، وفي بيان حكم الإقطاع ، وانقسامه إلى قطاع تملك واستغلال ، الباب الثاني : فيما يكتب في الإقطاعات في القديم والحديث . وفي أصل ذلك في الشرع وما أقطعه الرسول \_صلى الله عليه وسلم\_ .

المقالة الثامنة :- وهي في بابين . الأول : فيما يتعين على الكاتب معرفته من أقسام الأيمان ، وما يقع به القسم من الأقسام التي أقسم الله تعالى بها . و الباب الثاني : في نسخ الأيمان المتعلقة بالخلفاء ، والمتعلقة بالملوك ..

المقالة التاسعة :-

وهي في العقود والفسوخ وتقع في خمسة أبواب :-

الباب الأول : في عقد الأمان لأهل الإسلام وأهل الكفر ، و إيراد نسخ

من ذلك.

الباب الثاني : في الدفن وأصوله العربية ، وما يكتب في الدفن عن الملوك.

الباب الثالث : فيما يتعلق بأهل الذمة وما يكتب لهم ، وإلزامهم على ما يعقد

لهم به .

الباب الرابع : من الهدن بين ملوك الإسلام وملوك الكفر ، وما على الكاتب

معرفته ، من معاني وألفاظ ، واختلاف مذاهب الكتاب بين الشرق والغرب في ذلك ،

وإيراد نسخ من ذلك ، وما كان بالديار المصرية .

الباب الخامس : في عقود الصلح بين ملوك مسلمين ، وفيما يكتب في هذه

العقود ، وذكر أمثلة على ذلك .

المقالة العاشرة :-

وهي في المكاتبات الإبداعية ، الخارجة عن مجال الكتابة الديوانية ، وهي في

بابين الباب الأول : في الجديات مثل : المقامات والرسائل، والمناظرات والمغلفرات

ومقدمات البندق ، والصدقات والإجازات ، وعروضات الكتب والمرويات والقصائد .

الباب الثاني : في الهزليات فيما اعتنت به الملوك وغيرهم .

الخاتمة:

وهي في أربعة أبواب : الباب الأول : في البريد ، معرفة معنى البريد لغة

واصطلاحا ، وأول من وضعه في الجاهلية والإسلام ، وذكر مراكز البريد في الديار

المصرية والشامية . الباب الثاني : في الحمام الرسائلي ، وذكر أبراجه المصرية

والشامية ، واعتناء الملوك بشأنه في القديم والحديث ، الباب الثالث : فيتحدث في

مراكب الثلج ، الآتي من البلاد الشامية إلى مصر . الباب الرابع : في المناور  
والمحرقات ، فالمناور ، مواضع رفع النار ليلا والدخان نهارا ؛ للتنبية لحركة التتار  
على البلاد الشامية ، والمحرقات : هي إرسال الثعالب والكلاب المشتعلة ؛ لحرق  
زروع التتار .

٦. " ضوء الصبح المسفر وجني الدوح المثمر " وهو مختصر لكتابه " صبح  
الأعشى في كتابة الإنشا " ، ولم يطبع منه سوى الجزء الأول في مطبعة الواعظ في  
القاهرة سنة ١٣٢٤هـ ، ومنه نسخة في دار الكتب المصرية في ٤٨٤ صفحة " .<sup>(١)</sup>

٧. " نهاية الأرب في معرفة قبائل العرب " ألفه للمقر الجمالي يوسف  
الأموي<sup>(٢)</sup> ، كما ذكر ذلك القلقشندي في خطبته ، وذكر صاحب "كشف الظنون" أنه  
ألفه لأبي الجود بقر بن راشد أمير العربان في البلاد الشرقية والغربية ، وقد ناقش  
الأبياري هذا التضارب في مقدمة تحقيقه لهذا الكتاب ، وكانت النتيجة قوله : " أكاد  
أجزم بأن الابن ، أهدى مؤلف أبيه بعد وفاته إلى أبي الجود هذا وأنه أمضى - أي  
وَقَعَ - على الإهداء باسمه ولعله نسخ منه نسخة فرغ منها سنة ٨٦١هـ - ، وهي  
النسخة الأم لهذا الكتاب ، فمنها نقلت النسخ الأخرى<sup>(٣)</sup> وهو مؤلف في الأنساب  
وتاريخ العرب في الجاهلية .

(١) جرجي زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية ، ج ٣ ، ص ١٤٢

(٢) محمد عبد الرسول إبراهيم : تعريف بصبح الأعشى ، الطبعة الأميرية ، ج ١ ، ص ٢٤

(٣) الأبياري : مقدمة نهاية الأرب



٨. " قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان "

وهو أيضا كتاب في الأنساب ، ولعله استدرك فيه ما فاتته في كتابه السابق -  
نهاية الأرب في معرفة قبائل العرب- وقام بتعديل بعضه الآخر ، كما نلاحظ التداخل  
في المؤلفين ، يقول في المقدمة مشيرا إلى " نهاية الأرب" يحتوي على ذكر القبائل  
التي لا يستغني كاتب الإنشاء ، عن معرفتها والأخذ بتفاصيلها إنما هي ما يحتويه  
نطاق الديار المصرية من عربان الزمان إذ قد تدعو حال السلاطين إلى مكاتبها<sup>(١)</sup>

٩. " مآثر الأنافة في معالم الخلافة "

وقد ألفه للديوان " العزيزي العالي المولوي السيدي النبوي الامامي الأعظمي  
المعتضدي<sup>(٢)</sup> ، وقد أشار فيه إلى أهمية الخلافة ، وأنها رفعت من قدر الديار  
المصرية ، بعد أن حلت فيها بقوله : " أحمدته على أن رفع قدر الديار المصرية ،  
بنقل الخلافة إليها وقدمها على سائر الممالك ، فأمست ومدارها في المهمات عليها  
"<sup>(٣)</sup>

وأشار في حديثه عن الخليفة المعتضد بالله أبي الفتح داود ، وإلى أنه أراد  
من تأليف هذا الكتاب خدمة الخزانة العالية : فقال : " أحببت أن أخدم خزانته العالية

(١) الفلقشندي : قلائد الجمان في التعريف بقبائل العربان أ - ٤

(٢) عبد الستار أحمد : مقدمة تحقيقه لمآثر الإنافة في معالم الخلافة للفلقشندي ج ١ ، ص ( ب ) .

(٣) الفلقشندي : مآثر الأنافة في معالم الخلافة ، ج ١ ، ص ١

بتأليفه في معالم الخلافة ، يشتمل على دقائق حقائقها ، ويتكفل بذكر لوازمها المستطرفة ولواحقها ، محليا له من جواهر المناقب المعتضديه ، بما يعلو به قدره وتعلو به قيمته ، ويرتفع به ذكره ، سيسير هذا التأليف بانتسابه إليه في الآفاق سير المثل ، ويخلد بذكر مناقبه الشريفة ذكره على مر الدهور وتعاقب الدول ، وسميته "مآثر الأنافة في معالم الخلافة" (١) .

ومن خلال هذا التعداد والمطالعة في مؤلفات القلقشندي ، وإذا ما استثنينا شروحه في الفقه وشرحه " لبانت سعاد " فنجد أن " ضوء الصبح " جاء اختصارا لصبح الأعشى و أن " نهاية الأرب " جاء توسعا لما ورد في " الصبح " من مسائل الأنساب وجاء " قلائد الجمان " استدراكا عليه ليتمكن كاتب الإنشاء من الإحاطة بخبر العربان وحتى كتابه الأنافة في معالم الخلافة ما هو إلا توسعا في ما جاء من أمور وهي عمل إبداعي أدبي فأرى أن معظم كتابة القلقشندي تعود إلى هذا العمل المقامي الإبداعي وأنها أصل له ، وهي البنية الأولى في بنيات الإبداع عند القلقشندي .

---

(١) القلقشندي : مآثر الإنافة في معالم الخلافة ج ١ ، ص ١

إجازات القلقشندي :

أولها : إجازته بالفتا :

أما الإجازة بالفتيا ، فقد جرت العادة أنه إذا تأهل بعض أهل العلم للفتيا والتدريس ، أن يأذن له شيخه في أن يفتي ويدرس ويكتب له بذلك (١) .  
ولما كان القلقشندي ممن شارك (٢) ، وذاكر في الفقه (٣) وبرع (٤) ، وصنف فيه ، وكان إماما فقيها له ، بل وأضاف إلى ذلك براعته في العربية (٥) وعلوم البلاغة و الإنشاء (٦) فقد أجاز شيخه سراج الدين أبو حفص عمر بن أبي حسن ابن الملقن بالفتا والتدريس ، على مذهب الإمام الشافعي \_ "رضي الله عنه" \_ ، عند قدوم ابن الملقن ثغر الاسكندرية ، في سنة ثمان وسبعين وسبعمائة للهجرة . وكان سن أبي العباس أحمد بن عبد الله القلقشندي وقت ذلك : إحدى وعشرون سنة ويقول في ذلك وأن يفتي من قصد الاستغناء ، خطأ ولفظاً على مقتضى مذهبه الشريف المشار إليه ... لعلمه بديانته وأمانته ، ومعرفته ودرأيته وأهليته لذلك وكفايته" (٧)

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١٤ ، ص ٣٢٢

(٢) المقرئزي : السلوك ، ج ٤ ، ق ١ ، ص ٤٧٣

(٣) المقرئزي : درر العقود ، ق ٢ ، ص ٧٥ - ٧٦

(٤) السخاوي : الضوء اللامع ، ج ٢ ، ص ٨

(٥) ابن تغري بردي : المنهل الصافي ، ج ١ ، ص ٣٥٢

(٦) محمد زغلول سلام : الأدب في العصر المملوكي ، ج ٣ ، ص ١٨١

(٧) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١٤ ، ص ٣٢٥

ب ( الإجازة بالتدريس :-

وقد كتب تلك الإجازة القاضي تاج الدين بن غنوم ، موقع الحكم العزيز بالإسكندرية ، جاء فيها بعد التحميد ، وبيان فضل العلم ، وعلم الشريعة خاصة : " ولما كان فلان.... أدام الله تعالى تسديده وتوفيقه ، ويسر إلى الخيرات طريقه - ممن شب ونشأ في طلب العلم والفضيلة ، وتخلق بالأخلاق المرضية الجميلة الجليلة ، وصحب السادة من المشايخ والفقهاء ، والقادة من الأكابر والفضلاء ، واشتغل عليهم بالعلم الشريف اشتغالا يرضي وإلى نيل السعادة يفضي ، استخار الله تعالى ، سيدنا.... سراج الدين.... وأذن وأجاز لفلان المسمى فيه ، أدام الله معاليه أن يدرس مذهب الإمام المجتهد المطلق ، العالم الرباني ، أبي عبد الله محمد بن إدريس المطلبي الشافعي ، رضي الله عنه وأرضاه ، وجعل الجنة مثواه ، وأن يقرأ ما شاء من الكتب المصنفة فيه ، وأن يفيد ذلك لطالبيه حيث حل وأقام كيف شاء متى شاء وأين شاء <sup>(١)</sup> فهذه الإجازة في التدريس ، فبالإضافة إلى إشارتها لمصاحبة القلقشندي للعلماء ، والأخذ عنهم ، فإنها تشير إلى شيء آخر ، وهو الحرية التامة التي منحها "ابن الملقن" للقلقشندي في التدريس . ولعلنا نستشعر من ذلك مدى ثقة الأستاذ بالطالب ، الذي أجازته ، فلم يقيدته بمكان أو زمان كما لم يحدد له الكيفية التي يدرس فيها هذه الدروس ، وقد نتثبت من هذه الثقة بعد أن نورد الإجازة التالية .

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١٤ ، ص ٣٢٤

ج ( الإجازة بالرواية :-

ولعل "ابن الملقن" قد فطن لما تمتع به تلميذه القلقشندي من سعة إطلاع ،  
ومقدرة على الحفظ . وترجمة ابن حجر العسقلاني له توحى بذلك حيث يقول : ".....  
وكان يستحضر الحاوي ، وكتب شيئاً مع جامع المختصرات ، وصنف كتاباً حافلاً  
سماه "صبح الأعشى في معرفة الإنشاء" وكان مستحضراً لأكثر ذلك " (١).

فالعبارة الأخيرة من هذه الترجمة " وكان مستحضراً لأكثر ذلك " تدلنا على  
الحافظة القوية التي امتلكها القلقشندي ، وكانت وراء منحه الإجازات الثلاث . فبعد  
إجازته بالتدريس والفتوى نجد أن سراج الدين "ابن الملقن" يكتب بيده بعد حمد الله  
تعالى - ولعل ذلك يدل على إعجاب المدرس بالتلميذ واهتمامه به- .

وكتابته علامة على أن الإجازة السابقة صحيحة ، ويعلل ذلك بقوله : " فإنه  
ممن فاق أقران عصره بذكائه ، وبرع عليهم بالاستحضار ، وتحرير المنقول  
ووفائه" (٢) ثم يلي ذلك بوصايا ، يوصي تلميذه القلقشندي ، بها من تقوى الله ،  
وتحري الدقة والحذر من الزلل والخطأ والخلل .

وبعد ذلك يكتب له الإجازة بالرواية فيقول : ".....وأجزت له مع ذلك ، أن  
يروى عني مالي من التأليف ، منها " جامع الجوامع" أعان الله على إكماله ، وكذا  
شرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري .

(١) ابن حجر العسقلاني : إنباء الغمر بأبناء العمر ، ج ٧ ، ص ٣٣٠ - ٣٣١  
(٢) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١٤ ، ص ٣٢٦

ومنها " البدر المنير" ... (١)

كما أجاز له رواية الكتب الستة " البخاري " و " مسلم " و " أبو داود " و " الترمذي " و " النسائي " و " ابن ماجه " و " ومن المسانيد : " مسند أحمد " و مسند الشافعي " وغير ذلك .

وهذا ما يدل كذلك على أن القلقشندي لم يكن علمه فقط بالمذهب الشافعي الذي ينتسب إليه ، بل اطلع بالمذاهب الأخرى ، فلعلنا نستطيع القول أنه كان موسوعيا أيضا في علم الفقه .

أما حول ألقابه التي لم ترصد خلال هذه الإجازة ، فيفيدنا القلقشندي بذلك : " قلت : وتكون ألقاب المجاز على قدر مرتبته... وإنما أهملت ذكر الألقاب في هذه الإجازة من حيث أنه لا يليق بأحد أن يذكر ألقاب نفسه في مصنف له ، لأنه يصير كأنه أتى على نفسه" (٢) .

وكما نلمح اعتزاز القلقشندي بهذه الإجازة ، في هذه السن المبكرة من العمر ، حيث يذكر سنه ، ثم يذكر أن هذا " فضل من الله ونعمة " (٣) .

وأرى أنه أراد بهذا الفضل والنعمة : هو الحصول على هذه الإجازة العلمية في التدريس والإفتاء ، والرواية في هذه السن ، إضافة لذلك ، أن الذي كتب له هذه الاجازة هو ، القاضي تاج الدين بن غنوم ، مؤقّع الحكم العزيز بالإسكندرية ، وكذلك

(١) المصدر السابق ، ج ١٤ ، ص ٣٢١

(٢) المصدر السابق نفسه : ج ١٤ ، ص ٣٢٦

(٣) المصدر السابق نفسه : ج ١٤ ، ص ٣٢٢

جاء ورقها من القطع الشامي الكامل ، وهذا كله يدل على أهمية هذه الإجازة ،  
ومكانة التلميذ العلمية التي يحددها شيخه ، يقول : "... وكتب لي بذلك القاضي تاج  
الدين بن غنوم موقع حكم العزيز بالإسكندرية ، في درج ورق شامي ، في قطع  
شامي كامل . وسني يومئذ ، إحدى وعشرون سنه ، فضلا من الله ونعمه " .

شيوخه :

يبدو أن القلقشندي تلقى ثقافته الأولى في قرينته التي ولد فيها ، وانتهى نسبه  
إليها ، على أنني لم أجد فيما وصلت إليه يداي من المراجع أسماء العلماء الأوائل ،  
الذين أخذ عنهم ، كما أن القلقشندي نفسه لم يذكر شيئا عن هذه الفترة من تلقيه العلم  
، وهذا ما يذكرنا بعالم آخر أنتجته قلقشندة ، ولم يكن نصيبه وافر عند تلاميذه وهو  
"الليث بن سعد " حتى قال فيه الإمام الشافعي : " الليث أفقه من مالك ، إلا أن  
أصحابه لم يقوموا به " وقالوا في رثائه حين مات :

ذهب الليث فلا ليث لكم ومضى العلم قريبا وقبر (١)

وهكذا بقي أبو العباس في بلدته قلقشندة حتى سن الخامسة عشرة من عمره  
على وجه التقريب ، إذ لا نعرف سنة انتقاله إلى الإسكندرية ، ويبدو أنه شعر بأن  
بلده ضاقت عن آماله ورغبته في العلم ؛ فارتحل عنها طلبا للاستزادة من التفقه في  
الدين والأخذ عن مشاهير العلماء (٢) .

(١) عبد اللطيف حمزة : القلقشندي في كتابه صبح الأعشى ، ص ٤٠

(٢) عمر موسى باشا : تاريخ الأدب العربي في العصر المملوكي ، ص ٥٤٤

ولعل ما أورده صاحب " إنباء الغمر " ، من ذكائه وقدرته على الحفظ ،  
والاستظهار والاستحضار ، كان دافعا للقلقشندي للسفر للإسكندرية ، حيث يلتقي  
هناك العلماء ، ويتلمذ على يد الشيخ العلامة : سراج الدين ، أبو حفص عمر بن  
أبي حسن الشهير بابن الملقن (١) .

وتذكر لنا المصادر التي ترجمت له ، أنه أخذ عن شيخ آخر هو ابن شيخة  
وغيره من الشيوخ ، فيقول صاحب المجمع المؤسس " وسمع من ابن الشيخة وغيره  
من شيوخنا " (٢) ونقل السخاوي هذا عن ابن حجر .

كما يورد المقرئ في "درر العقود " أنه تردد إليه مرارا وكتب عنه ،  
ويذكر أنه كان مكثرا مهذرا (٣) ، ولعل المقرئ أراد بمقولته هذه أنه كان يكثر  
الأسئلة في الدرس ، ويلح ويكثر في طلب الاستزادة من العلم ، حيث ذكر أنه كان  
يكثر التردد عليه ويكتب عنه .

ونستدل من الإجازة التي كتبها الشيخ سراج الدين ابن الملقن ، أن أبا العباس  
القلقشندي ، قد أمضى جل عمره في صحبة العلماء والفقهاء ، ورجال العلم  
ومشايعهم طلبا للعلم منهم ، والتفقه على أيديهم فيقول : " ولما كان فلان - أدام الله  
تسديده وتوفيقه ويسر إلى الخيرات طريقه - ممن شبّ ونشأ في طلب العلم والفضيلة  
، وتخلّق بالأخلاق المرضية الجليلة ، وصحب السادة من المشايخ والفقهاء ،

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١٤ ، ص ٣٢٢

(٢) ابن حجر العسقلاني ، المجمع المؤسس ، ص ٤٥٠ ، السخاوي ، الضوء اللامع ، ج ٢ ، ص ٨

(٣) المقرئ : درر العقود ، ق ٢ ، ص ٧٦



و القادة من الأكابر والفضلاء ، واشتغل عليهم بالعلم الشريف اشتغالا  
يرضي " (١) .

بالإضافة لهؤلاء الشيوخ الذين عرفنا أسماءهم ، أولئك الذين لم نصل لهم ،  
وأدركنا كثرتهم من خلال الإشارات التي - رصدناها - فتحت طريق أخرى سلكها  
أبو العباس القلقشندي في سبيل تعلمه ، والحصول على المعلومة ، وهي تلك  
المصادر التي ساعدته على بناء مؤلفاته العديدة ، ولعل المنتبِع لموسوعته " صبح  
الأعشى في كتابة الإنشا " مثلا ، يكتشف تنوع هذه المصادر التي أخذ عنها كما  
تشير إلى العقلية التي امتلكها ، حيث أنه لم يكن في دور المتلقي السلبي ، أو المُلقن  
بل كان في كثير من الأحيان ذو دور فاعل ، في التعامل مع هذه المصادر .

ومن أنواع المصادر التي اعتمدها (٢) :-

أ. المشاهدة ةونه : " ورأيت درهما من هذه الدراهم الأموية ، التي ضربها  
الحجاج بن يوسف الثقفي ، أرانيه بعض أعيان حلب " (٣) ، وقوله : في الظواهر

---

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١٤ ، ص ٣٢٤

(٢) في هذا الخصوص ، انظر محمد كمال الدين عز الدين علي ، الحركة العلمية في مصر في دولة المماليك

والجراكسة ، دراسة عن التاريخ والمؤرخين ، رسالة دكتوراه . المجلد الثاني ، ص ١٩٣

(٣) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١ ، ص ٤٢٤

الطبيعية "....وقد رأيت مثل هذه الآية العظيمة بمصر ، سنة اثنتي عشرة وثمانمائة ، وهو أنه ظهرت حمرة عظيمة من جهة الغرب فوق حمرة النار..."<sup>(١)</sup> .

ب.المساءلة ؛ قوله : في شأن انحراف محراب جامع عمرو بن العاص رحمه

الله :- وقد سألت بعض علماء هذا الشأن عن ذلك ، فأخبرني عن الشيخ تقي الدين

أبي ظاهر - رأس علماء الميقات في زماننا ، أنه كان يقول : من الدلالة

على صحة عملنا في استخراج القبلة ، موافقته لمحراب الجامع العتيق <sup>(٢)</sup> .

ج."المشافهة : قوله : " وقد أخبرني أمير المؤمنين المستعين بالله أبو الفضل ،

العباس- المشار إليه- أن تسميته العباس ، كانت برؤيا رآها الشيخ بدر الدين البهني

بمكة المشرفة " رأى العباس بن عبد المطلب \_ رضي الله عنه \_ في النوم ، وهو

يقول له :- قل لولدي محمد ، \_ " يعني المتوكل على الله \_ " إذا ولد ، له ولد يسميه

العباس <sup>(٣)</sup> .

د ( الوثائق والمخطوطات :-

ومثال ذلك كثير في صبح الأعشى ، وهي متنوعة بين عهود وعقود والتواريخ

، والتهاني والتعازي والإجازات ، والعمدات....مما تعتبر وثائق دقيقة ، معبره عن

العصر الذي كتبت فيه ، حيث أن ديوان الإنشاء كان من أدق آليات الحفظ لهذه

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١ ، ص ٤٥٨ ، محمد كمال الدين ، الحركة العلمية في مصر ، المجلد الثاني ، ص ١٩٢

(٢) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٣٤٠

(٣) المصدر نفسه : ج ١ ، ص ٤٤٣

الوثائق ، والتي انتقلت لنا عن طريق القلقشندي ، في كتابه صبح الأعشى

(١).

هـ ( المؤلفات السابقة :

لقد تعددت مصادر القلقشندي ، وتنوعت تنوعا يعسر معه ضبطها ، أو إحصاءها فقد صرح أحيانا باسم الكتاب ، دون الإشارة لمؤلفه . أو باسم المؤلف ، أو لقبه دون ذكر مؤلفه ، كما أسند إلى المصدر المباشر حيناً ، وإلى مصدر المصدر حيناً آخر ، مما لا سبيل إلى القطع في أكثرها ، بتحديد نوع صلة القلقشندي بها لتعدد موضوعاتها . وفقدان أو عدم الكشف عن مظان الكثير منها<sup>(٢)</sup> .

وفي محاولاته لإحصاء هذه المؤلفات ، وجدت أنها تجاوزت السبعين مصدراً اعتمدها القلقشندي في كتابه مما يدل على كثرة أولئك الذين أفاد منهم ، وكذلك تنوع طرق هذه الإفادة.

جلوسه للتدريس :-

وتأتي المرحلة الثانية ، بعد تلقي العلم وحصوله على الإجازة ، فيما يقارب الثامنة والسبعين والسبعمئة ، جلس أبو العباس القلقشندي للتدريس ، فانتفع كثيرون بمواهبه وحسن أسلوبه . وقوة العرض التي يهيمن فيها على عقلية التلميذ<sup>(٣)</sup> وبدأ للناس فقيهاً ، يميل إلى الاجتهاد ، ويحاول أن يضع لعلم الفقه أصولاً وقواعد<sup>(٤)</sup> .

(١) انظر نخبة من الأساتذة ، أبو العباس القلقشندي وكتابه صبح الأعشى ، ص ١١٩ - ١٤٤

(٢) محمد كمال الدين ، الحركة العلمية في مصر في دولة المماليك والجراسية ، مجلد ٢ ، ص ١٩٦

(٣) الأبياري : التعريف بالقلقشندي في تحقيقه لكتاب نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، ج ١ ، ص ٤

(٤) عبد اللطيف حمزة : القلقشندي في كتابه صبح الأعشى ، ص ٤٢

ولعل القلقشندي كان في تدريسه يعتمد كتبه التي قام بتأليفها، وهو بذلك يملئ ما أنتجت قريحته، أو ما بناه على ما أنتجه سابقيه، وقد تهافت الطلاب على تسجيل واستنساخ كتبه، التي يؤلفها ويورد لنا ما أورده المسعودي في كتابه "التنبيه والإشراف" فيما يحكيه عن الجاحظ، \_ على جلاله قدره \_ أنه قال: "كنت أولف الكتاب الكثير المعاني، الحسن النظم وأنسبه إلى نفسي فلا أرى الاسماع تصغي إليه ولا الإيرادات تتيمم نحوه. ثم أولف ما هو أنقص منه رتبة وأقل فائدة. وأنطه عبد الله بن المقفع أو سهل بن هارون، أو غيرهما من المتقدمين، فيقبلون على كتبها. ويسارعون إلى نسخها. لا لشيء إلا لنسبتها للمتقدمين. ولما يداخل أهل هذا العصر من حسرم هو في عصرهم، ومنافته على المناقب التي عني بتشبيدها".

قال: وهذه طائفة لا يعبا بها كبار الناس، وإنما العمل على أهل النظر والتأمل الذين أعطوا كل شيء حقه من القول، ووقوه قسطه من الحق فلم يدفعوا المتقدم إذا كان ناقصا، ولم ينقصوا المتأخر إذا كان زائدا، فلمثل هؤلاء تصنف العلوم، وتدون الكتب، وإذا كان هذا نقل المسعودي عن الجاحظ الذي هو رأس المصنفين وعين أعيانهم. فما ظنك بغيره؟ " (1) ونلاحظ مما سبق أن الناس يأخذون من القديم، وممن اشتهر من السابقين على أن هذا الأمر لم ينطبق على أبي العباس

---

(1) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ١٤، ص ٤٠٣

القلقشندي ، فقد تراحم الطلاب على الأخذ منه والتسجيل عنه ، واستنساخ كتبه ، يقول في ذلك : " لكني أحمد الله تعالى على رواج سوق تألفي . ونفاق سلعته ، والمسارة إلى استنساخه قبل أنقضاء تأليفه حتى أن قلّمي التأليف والنسخ يتسابقان في ميدان الطّرس إلى اكتتابه ، ومرتقب نجاهه للاستنساخ يساهمان في ارتقابه فضلا من الله ونعمة . " ذلك فضل الله يأتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم " (١) .

وثمة شيء آخر أفاده الطلبة من أبي العباس القلقشندي ، وهو عرض محفوظاتهم عليه ، فقد كانوا يعرضون عليه ما حفظوه ، من كتب الأصول والفقه وعلوم اللغة العربية ، فأقرهم على ذلك وأجازهم بما حفظوه منها (٢) .

ومن ذلك ، ما يورده أبو العباس القلقشندي في "صبحه" ، حيث عرض عليه أحد أبناء إخوانه العلماء - وهو لم يتجاوز العاشرة من العمر - ومعرضاته هي " الأربعين حديثا " للشيخ محي الدين النووي ، و " الورقات " في الأصول لإمام الحرمين ، و " اللحة البدرية " في النحو للشيخ أثير الدين أبي حيان .

فيقول : بعد التحميد ، والعبارات المدحية على الطالب : " وبعد ، فقد عرض علي فلان مواضع من كتاب كذا وكتاب كذا ، فمر بها مرور الصبا ، وجرى في ميدانها جري الجواد ، فما حاد عن سنن الطريق ولا كبا " (٣) .

(١) المصدر السابق ، ج ١٤ ، ص ٤٠٣

(٢) عمر موسى باشا ، تاريخ الأدب العربي ، ( العصر المملوكي ) ص ٥٤٦ / محمد عبد الرسول في التعريف بكتاب صبح الأعشى ( صبح الأعشى ) ج ١ ، ص ٢٢

(٣) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١٤ ، ص ٣٣١ ، يقول صاحب التحقيق ( يظهر أن بقية هذه النسخة سقطت من قلم الناسخ ) .

تشير هذه الإجازة ، والتقديم لها بأنها كانت في علوم الفقه والحديث ، وفي الأصول ، وكذلك في النحو ، وهذا يدل على ما أشرنا إليه من أنواع العلوم ، التي قام أبو العباس القلقشندي بتدريسها ، كما تشير بأن الطالب نفسه يعتني بالعلوم المختلفة ، وينتفع فيها ومما يدل على طرق أبواب المدارس في سنن مبكرة ، إذ يحصل على الإجازة في عرض هذه الكتب قبل سن العاشرة ويرى عبد اللطيف حمزة ، أن أبا العباس القلقشندي ، كان يأمل من وراء جهوده في تدريس علم الفقه ، والتأليف والتصنيف فيه ، أن ينتقل ذات يوم من التدريس إلى القضاء<sup>(١)</sup> .

ويضيف أن أسلاف القلقشندي كانوا في الأزمنة المتقدمة ، يتخرجون من القضاء ويفضلون عليها دائما وظائف التدريس ، ويتناقلون فيما بينهم ، قولاً مأثوراً نصه : " قاض في الجنة ، وقاضيان في النار " وأما المعلمون ؛ فهم ورثة الأنبياء والمرسلين<sup>(٢)</sup> .

ولعل ما أوردناه سابقاً ، حول نيابة القلقشندي عن القاضي جلال الدين البلقيني بسفارة الشيخ بدر الدين محمود العيني<sup>(٣)</sup> يؤيد ما ذهب إليه عبد اللطيف حمزة ، من تطلع القلقشندي للقضاء ، وكذلك انتقاله لديوان الإنشاء عام ١٧٩١ .

---

(١) عبد اللطيف حمزة ، القلقشندي في كتابه صبح الأعشى ، ص ٤٢

(٢) المرجع نفسه

(٣) الصيرفي : نزهة النفوس والأبدان ، ج ٢ ، ص ٤٣٢

من نبغ من أبنائه :

مما وصف القلقشندي نفسه بأنه كان في الإنشاء " : عصاميا لا عظاميا ،  
ومتهما لا تهاميا ، غير أنني تعلقت منها بحبال القمر ، واستوقدتنارها من أصغر  
الشرر" (١) ، فلعله ما أورد ذلك إلا إظهارا للتواضع من جهة ، واثبات الذات ، دون  
اعتماده على غيره من آبائه لأن ذلك ادعى بالعجب من جهة أخرى ، وربما أورد  
ذلك تماشيا مع سير مقامته ، التي احتوت هذه المقولة .

وعلى الرغم من ذلك ، فقد وصفته المصادر بأنه : " من دار علم وفي أبنائه  
وأجداده علماء أجلاء " (٢) . على أنني لم أجد فيما وصلت إليه يدي من المصادر ما  
يذكر من آبائه من اشتهر بالعلم ونبغ فيه ، غير أنه ظهر من أبنائه من اشتغل بالعلم  
، وعانى صنوفه وسار على درب أبيه ذلك هو : شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد  
الله بن إسماعيل بن سليمان النجم أبو الفضل بن الشهاب بن الجمال أبي اليمن ،  
القلقشندي ، القاهري ، الشافعي (٣) الذي وصف بالهمة والفتنة الذكيّة ، والفترة  
الزكيّة ، ولقد كان فقيها حافظا ، عرض كتاب "المنهاج" في الفقه النووي ، على  
الشيخ شمس الدين محمد بن عبد الدايم ، فأقر حفظه بالكتاب ، وأشار أنه حفظ  
غيره من الكتب ، وأورد القلقشندي هذه العراضة ، التي يقول فيها الشيخ شمس

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١٤ ، ص ١٢٧

(٢) الزركلي ، الأعلام ، ج ١ ، ص ١٧٧

(٣) السخاوي ، الضوء اللامع ، ج ٦ ، ص ٣٢٢

الدين محمد بن عبد الدايم ، بعد الحمد والثناء على نجم الدين محمد بن القلقشندي : " ... وبعد ، فقد عرض علي الفقيه الفاضل ، نجل الأفاضل ، وسليل الأماثل ، ذو الهمة العلية والفتنة الذكية ، والفترة الزكية ، نجم الدين أبو عبد الله محمد بن فلان ، نفع الله به كما نفع بوالده ، وجمع له بين طارف العلم وتالده - مواضع متعددة من " المنهاج" في فقه الإمام الشافعي ، المطلبي \_ رضي الله عنه \_ وعنا به ، تأليف الحبر العلامة ، ولي الله ، أبي زكريا بن شرف بن مري النووي \_ طيب الله تعالى ثراه \_ وجعل الجنة مأواه ، دل على حفظه لها على حفظ الكتاب ، كما فتح الله له مناهج الخير دقه وجئه ، وكان العرض في يوم كذا " (١) وكانت هذه العراضة في سنة ثلاث عشرة وثمانمائة للهجرة . ويشير السخاوي بأنه حفظ القرآن الكريم ، وأنفية ابن مالك ، وقرأ الفرائض والنحو ، وأنه تعالى النظم ، وأنه حدث وسمع عليه ، وناب في القضاء عن جلال البلقيني ، وباشر في ديوان الأعباس التوقيع للأمرء ، وأنه تتلمذ على مشاهير علماء عصره ، منهم والده أبي العباس ، أحمد بن عبد الله القلقشندي ، والمحتسب الشنطوفي كما عرض على آخرين منهم جلال البلقيني ، والولي العراقي ، وابن النقاش ، وأحضر قبل ذلك الصحيح على ابن أبي المجد ، وختمه على التنوقي والعراقي ، والهيتمي وحج في سنة أربعة وأربعين وثمانمائة، وسافر قبل ذلك إلى أمد في عسكر الإشراف ودخل الإسكندرية (٢) .

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١٤ ، ص ٣٣٠

(٢) السخاوي : الضوء اللامع ، ج ٦ ، ص ٣٢٢ - ٣٢٣



ومن نظمه في الحلاوي المحتسب :

لما غدا الناس في غلاء      واعوزوا الخبز للتداوي

وعالجوا منه مر صبر      أتاهم الله بالحلاوي

ومات غريقا ببحر النيل سنة ست وسبعين وثمانمائة رحمه الله (١).

وفاة القلقشندي :-

يجمع مترجمو القلقشندي ، على أن وفاة أبي العباس القلقشندي كانت في جمادى الآخرة من سنة إحدى وعشرين وثمانمائة ، وإن كان هناك اختلاف بسيط في تحديد الوفاة ، بين يوم وئيلة السبت العاشر من جمادى الآخرة من السنة المذكورة ، حتى أن المقرئزي يذكر وفاته في كتابه " درر العقود " بقوله : توفي يوم السبت العاشر من جمادى الآخرة سنة إحدى وعشرين وثمانمائة ، عن خمس وستين (٢) سنة في حين يذكرها في كتابه " السلوك " في ليلة السبت العاشر من جمادى الآخرة ، عن خمس وستين سنة (٣) .

(١) المرجع السابق ، ج ٦ ، ص ٣٢٣

(٢) المقرئزي : درر العقود ، ق ٢ ، ص ٧٦

(٣) المقرئزي ، السلوك ، ج ٤ ، ق ١ ، ص ٤٧٣

على أنه ثابت في جميع المصادر التي بين يدي الباحث ، أنه في العاشر من جمادى الآخرة سنة إحدى وعشرين وثمانمائة للهجرة ، غير أن صاحب " هدية العارفين " يذكر وفاته بحدود تسعين وسبعمائة للهجرة <sup>(١)</sup> ، وهذا من الخطأ الواضح ، لأن القلقشندي نفسه ، يذكر أنه في سنة إحدى وتسعين وسبعمائة باشر العمل في ديوان الإنشا ، وكتب مقامته "الكواكب الدرية " ، أي بعد التاريخ الذي أثبتته صاحب " هدية العارفين " بسنه .

(١) اسماعيل باشا البغدادي : هدية العارفين ، المجلد الخامس ، ص ٧٢٦

# الفصل الثاني

## الدراسة المضمونية لنثر أبي العباس القلقشندي

عُرِفَ القلقشندي ، كاتباً منشئاً يصفه صاحب المنهل الصافي بقوله —  
: " وكتب في الإنشاء ، وكان ماهراً في ذلك ، وله نظم ونثر " (١) ، وقريب  
من ذلك وصفه معاصروه (٢) ، ومن المحدثين ، ترجم له محمود رزق  
سليم قائلاً : " القلقشندي كاتب منشئ أديب ... " (٣) .

وأما القلقشندي نفسه فيصور إقبال الناس على كتبه بقوله : " حتى أن  
قلمي التأليف والنسخ يتسابقان في ميدان الطرس إلى اكتتابه ، ومُرْتَقِبَ نجاهه  
للاستساخ يساهمهما في ارتقابه " (٤) .

وقد كتب في كثير من أنواع الكتابة التي عرفت في عصره ، إذ قضى  
ما ينيف على العشرين عاماً في ديوان الإنشاء ، فكتب في الرسائل الديوانية ،  
ولما امتاز بعلاقات طيبة مع رؤسائه وأصدقائه ، فقد وجد له الكثير من  
الرسائل الإخوانية .

(١) ابن تغري بردي : المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي ، ج ١ ، ص ٣٥٢  
(٢) انظر ابن حجر العسقلاني ، المجمع المؤسس ، ص ٤٥٠ ، المقرئزي : كتاب السلوك ، ج ٤ ق ١ ، ص ٤٧٣ \_ ٤٧٤  
، السخاوي : الضوء اللامع ، ج ٢ ، ص ٨  
(٣) محمود رزق : عصر السلاطين الممالك ، ج ٥ ، ص ٤١٢  
(٤) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١٤ ، ص ٤٠٣

## الرسائل الديوانية :

وهي الرسائل التي يكتبها صاحب ديوان الإنشاء ، أو من ينيبه في ذلك ، بأمر من الخليفة أو السلطان ، لتنظيم أمور الدولة الداخلية ، وعلاقتها الخارجية مع الدول الأخرى .

وينتمي للضرب الأول أنواع عديدة : مثل البيعات والعهود والأخبار والتقاليد ، والتصاوير والإطلاقات والتفاويض والمربعات الجيشية .. ، أما الضرب الثاني فهو على قسمين : الأول يختص بما يكتب إلى ملوك وأكابر الدول الإسلامية الأخرى ، والثاني ما يكتب به إلى ( ملوك الكفر <sup>(١)</sup> ) في الابتداء والأجوبة .

وثمة من قدم تعريفاتٍ للرسائل الديوانية ولكنها جاءت مقتصرة على تنظيم الأمور الإدارية والداخلية للدولة <sup>(٢)</sup> ، وهذا ما لا يراه الباحث ، لما اطلع عليه من ورود نماذج من المراسلات الخارجية في صبح الأعشى <sup>(٣)</sup>

---

(١) المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ١١٣ - ١١٦

(٢) انظر فايز القيسي : أدب الرسائل في الأندلس ، دار البشير للنشر والتوزيع ط ١ ، ١٩٨٩ ، ص ١١١

(٣) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٧ ، ص ٢٣٥ - ٤١٢

## البيعات :

" البيعات جمع بيعة ، وهي مصدر بايع فلان الخليفة ، يبايعه مبايعة " .  
ومعناها المعاهدة والمعاهدة ، وهي مشبهة بالبيع الحقيقي (١) إذ أن كل واحد  
أعطى الآخر ، ما يملك من قوة الجوارح وصدق النية والنفوس ، وصفق يد  
الآخر ، كرمز لحصول البيع على عادة العرب (٢) .  
وثمة من يعرفها بأنها : " رسائل إعلامية توجهها الدولة إلى الرعية ،  
لتبايع الخليفة الجديد ، أو ولي عهد ، وهو ما اصطلح جمهور الفقهاء على  
تسميته ( البيعة العامة ) التي يتسنى للخليفة الحصول عليها بعد ( البيعة  
الخاصة ) ، التي يعطيها أصحاب الحل والعقد ، وهم العلماء على الأرجح (٣)  
وبذلك يتضح لنا أن موضوع البيعات على اختلافها محدد ، فهو عرض وطلب  
في آن واحد ، يكون الخليفة الطرف الأول العارض والطالب ، أما الرعية فهي  
الطرف الآخر . فما عليها إلا الموافقة وعن رضا وطيب خاطر .  
فجاءت البيعات متشابهة لدرجة التطابق تقريباً . مما يجعلها لا تمتاز  
بثراء في مضمونها (٤) .

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٩ ، ص ٢٧٣

(٢) المصدر نفسه ج ٣ ، ص ٢٧٣

(٣) محمد محمود الدروبي : الرسائل الفنية في العصر العباسي حتى نهاية القرن ٣ هـ . دار الفكر  
والنشر والتوزيع . ط ١ . عمان ١٩٩٩ ، ص ٣٠

(٤) المرجع نفسه ص ٣١

ومن هنا ، استطاع القلقشندي أن يبين الأمور التي يجب على الكاتب مراعاتها في كتابة البيعة ، ولعل القلقشندي ، استخلص هذه الأمور من خلال استقراره للبيعات المكتوبة حتى زمانه . فظهرت هذه الأمور كأنها قواعد لا يتعداها الكاتب إلى غيرها . إذ عليه التنبيه لبراعة الاستهلال ، من ذكر لاسم الخليفة ، أو لقبه أو الحال الموجب للبيعة ، من موت خليفة ، أو خلع ، أو ما إلى ذلك . كما عليه التنبيه على شرف الخلافة وعلو قدرها ، وكذلك الحاجة الماسة للإمام . وضرورة وجود الإمام في الأمة والموافقة عليه بالإجماع . كما أن صاحب البيعة قد استوعب شروط الإمامة ، وأنه يحمل من الصفات ما يعز وجوده عند غيره ، وأنه تقدم في الفضل واستيفاء الشروط على غيره ، وأن من اختاره من أهل الحل والعقد من العلماء والرؤساء ، وأن هذا الإمام الذي اختير قد قبل البيعة ، وأنها حصلت بوقوع الشهادة عليها، وأنها ليست بمقترنة ببيعة أخرى ، إذ لا يجوز أن يُنصَّبَ إمامان في وقت واحد ، على الكاتب ، أن ينبه بوجوب الطاعة التامة من الأمة وتفويض الأمور العامة للإمام ، وكما على الكاتب أن يشير إلى السلطان القائم بالبيعة ، إذا قام بها سلطان . وعليه أن يذكر من استحلف في البيعة من وجوه الدولة والأعيان ويذكر صفة حلفهم ، وما التزموه من الأيمان المؤكدة <sup>(١)</sup> على أن القلقشندي يحدد مواضع الخلافة التي تكتب بها البيعات في خمسة مواضع : \_

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ج ٩ . ص ٢٧٦ \_ ٢٧٩

أولها : موت خليفة ، دون عهد لخليفة بعده ، ولعله الموضوع الأصلي  
لكتابة المبايعة .

الثاني : موت الخليفة وقد عهد من بعده لخليفة ، فتؤخذ البيعة العامة  
على الرعية لإظهار الإجماع عليه .

الثالث : أن تؤخذ البيعة للخليفة في ولايته ، ثم تبعث الكتب للأعمال  
لأخذ البيعة على أهلها .

الرابع : أن يحدث اضطرابات في بعض الأعمال ، فيعمل على تجديد  
البيعة في تلك الأعمال (١) .

الخامس : خلع الخليفة المنتصب لموجب يقتضي الخلع ، فحتاج الأمة  
إلى مبايعة إمام يقوم بأمرها ، ويتحمل أعبائها (٢) .

وقد كانت أول بيعة في الإسلام تعقد لأبي بكر في سقيفة بني ساعدة بعد  
وفاة الرسول ﷺ ، حيث كاد أن يدب الخلاف بين المهاجرين والأنصار ، لولا  
أن تداركهم الله بأبي بكر وعمر \_ رضي الله عنهما \_ ولكن لم ينقل أن كتبت  
هذه البيعة ، ولعل ذلك عائد للثقة المتبادلة بين الصحابة ، بخلاف ما حدث بعد  
ذلك .

(١) المصدر السابق ج ٩ ص ٢٧٩

(٢) المصدر نفسه ج ٩ ص ٢٧٥



وأما أول بيعة كتبت في الإسلام كانت على يد الحجاج بن يوسف الثقفي ، أخذها لعبد الملك بن مروان ، حيث أقامه على إمارة العراق ، وقد رسمت هذه البيعة الخطوط العريضة لكل ما جاء بعدها من مبايعات حيث رتب الأيمان المغلظة ، تشمل الحلف بالله تعالى والطلاق والعناق حتى اشتهرت بين العلماء بأيمان البيعة ، وأصبحت نحو مصطلحٍ جارٍ في الدولة العباسية وما بعدها (١) . على أننا نجد أن الكتاب في كثير من مبايعاتهم قد اتخذوا من بيعة أبي بكر مرجعية ، يشار إليها في الخلافة وأهميتها ، في حين نجد الإشارة لأحقية علي بن أبي طالب \_ كرم الله وجهه \_ بالخلافة في البيعات التي كتبت في عهد الدولة الفاطمية ، من ذلك : " ... وعلى أبينا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أولى الناس بالنبي ﷺ ، أول من اتبعه من ذوي قرابة وأجنبي ، وابن عمه الذي اختصه بمؤاخاته ، وجعله خليفة على كافة الناس بعد وفاته ، وتحمل في أمر الله فيما ولاه وأولاه وخطب الناس في حجة الوداع فقال : " من كنت مولاه فعلي مولاه " (٢) .

وقد كتب القلقشندي في موضوعين من الواضع التي تكتب فيها

المبايعات : -

الموضوع الأول : البيعة المترتبة على موت خليفة .

(١) المصدر السابق ج ٩ ص ٢٨٠

(٢) السابق نفسه : صبيح الأعشى . ج ٩ ، ص ٢٩٣ ، من بيعة كتب بها عن الحافظ الدين الله الفاطمي بعد وفاة ابن عمه الأمر بأحكام الله ، وانظر ص ٢٨٩ ، ص ٢٩٤ ، ص ٢٩٥ من المصدر نفسه

والموضوع الآخر : البيعة المترتبة على خلع خليفة .

وفي البيعة المترتبة على موت خليفة ، نجده يستهلها بالحمد لله على ما ميز به الأمة المحمدية من شرف بين الأمم ، ليصل للتعريف برتبة الخليفة ، وأنها أعلى الرتب وما اختصت به قريش ، والأسرة العباسية بالتحديد من علاقة موصولة بالخلافة ثم يلتفت للمتلقي المبايع ، ويتكلم على لسانه ، بصيغة الجمع " ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة مخلص تمسك بعهدا فوفى وأعطاه صفقة يده للمبايعة فلا يبغى عنها مصرفا " (١) إذ أن المبايع هو الرعية بوجه عام ويشير لعادة معروفة لدى العرب عند البيع ، وهي فعل حسي ( صفقة اليد ) التي ترمز بوقوع المبايعة ، وجها لوجه بين كل فرد من الرعية والخليفة فيكون ذلك دافعا للوفاء بعهد المبايعة ، فيلَمَحُ للآية الكريمة ﴿ إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم ... ﴾ (٢) ليربط مبايعة الرعية للخليفة ببيعة الرضوان ، التي وقعت بين الصحابة ورسول الله عليه السلام ، ثم تكون هذه البيعة بين الرعية وبين الله-عز وجل \_ ومن هنا يكون الطرف الآخر للمبايعة ، والطرف المعنوي الروحي ، ويصبغها بالصبغة الدينية التي تربط الإنسان بخالقه ووجوب الوفاء

(١) المصدر السابق ج ٩ ص ٣٠٨

(٢) القرآن الكريم ، سورة الفتح آية ١٠

بذلك ، فيضرب مثلاً ببيعة أبي بكر الصديق يوم السقيفة ، وما قدم للأمة الإسلامية من حرص على مصالحها ، وغيره على دين الله فجمع الناس على صحيفة واحدة من القرآن الكريم ، ومحاربتة لأهل الردة ، ولعل بذلك إشارة لما سيقوم به الخليفة المبايع إذا ما وجد من سولت له نفسه بنقض البيعة .

ويقدم لنا شرعية الخلافة بأنها واجب بالإجماع يصعب معه حتى التفكير بالخروج عليها لما لها من مبررات تجعلها ضرورة من ضرورات الحياة الإنسانية للأمة : " إذ العباد مجبولون على التباين والتغاير ، مطبوعون على التحالف والتناصر ، مضطرون إلى التعاون والتجاور ، مفتقدون إلى التعاضد والتأزر " (١) .

من هنا تظهر أهمية الإمام ، الذي يجنبهم الأخطار الداخلية بين الرعية وفساد في الأخلاق ، وانتهاك للمحرمات ، حتى أن وجود الإمام الصالح أدهى لحفظ الإنسان عن الاختلاط والاشتراك ، كما ويحمي الإسلام والأمة من الأخطار الخارجية ، إذ يحمي الثغور من أن تخترق ، ويبادر لتجهيز الجيوش لمبادرة الأعداء في بلادهم ، فتمنعهم من الاستقرار والتدبير للمسلمين ، فتتعم بلاد المسلمين في الأمن والطمأنينة التي تسهل معها الحياة عليهم ، فيأخذ أموال الزكاة والصدقات في وجهها الحق ، ليتكامل نماء المجتمع .

(١) الفلقشندي : صبح الأعشى ج ٩ ص ٣٠٩

بعد هذه المبررات والمسوغات للخلافة ، ووجود الخليفة ينتقل الكاتب  
لمحور آخر في المبايعة ، إذ يحاول تقديم الخليفة المبايع ، كإنسان اكتملت فيه  
الشروط التي تساعد على القيام بالمهام السابقة ، والتي قدمها كدافع لاختيار  
خليفة .

ولكن براعة القلقشندي في الكتابة تجعله يقدم لنا الصورة بطريقة مغايرة  
، إذ يصور لنا الإمامة فتاة تمنعت على خطابها ، لقلة أكفائها ، فلم تجد منهم  
من يستحق الاقتران بها ولا من هو كفؤ لها ، فاحتجبت وتحصنت ، وتصل  
الصورة قمة جمالياتها ، عندما يُظهر لنا الكاتب : أن هذه المتمنعة المتحصنة  
عن الخطاب ، هي التي تختار وتخطب هذا الإمام المبايع بل ، هي التي  
تعترض طريقه ، قبل أن يطرق بابها ! فيوظف في ذلك قوله تعالى  
: ﴿ فراودته التي هو في بيتها عن نفسه ﴾ (١) .

وهنا تبرز المفارقة إذ أن الإمام يقبل هذه الخطبية ؟ ويقبل عليها ، لا  
كيوسف \_ عليه السلام \_ الذي تمنع ، إذ كانت تلك طريق الإثم ، أما هنا فهي  
من الطاعة ، بل الواجب قبولها ! حيث يعود الكاتب يسبغ على الإمام المبايع  
من الصفات ، ما يجعل المتلقي يستشعر بتفرد الإمام بأحقية الخلافة ، وأنه أصبح  
على كلا الطرفين المبايع والمبايع القبول بها ، لما توفر فيه من شروطها ، فهو  
أسدها الهصور ، ومعقلها الأمانع الحصين ، كرموز للقوة وعقدها الأنفس الثمين

(١) القرآن الكريم ، سورة يوسف الآية ٢٣

، كرمز لمكانته بين المسلمين وهو عالمها المتفنن في أفنانها ، وطبيبها العارف بطبها ، كرموز لسعة و غزارة علمه، في أمور الخلافة دينها ودنياها (١) .

ويتعرض الكاتب لمحور آخر في البيعة ، وإن حاول تقديمه من خلال الصورة السابقة ، إذ يرى أنه لا بد من ولي يعقد هذه البيعة ، ويقوم عليها فيصوره كولي أمر لتلك الفتاة " الخلافة " فيوافقها سؤالها ، ويعدُّ الشهود لحفظ عهدها ، والوالي هنا السلطان ، ويقدمه بألقابه السلطانية كاملة ، فيجمع السلطان أهل الحل والعقد من علماء وفقهاء ، وأهل رأي لتعقد " البيعة الخاصة " ويكون ذلك بمحضر من الشهود والفقهاء .

ويدخل هنا محور جديد في البيعة ، إذ تقترن البيعة العامة للخليفة ببيعة أخرى للسلطان ، قد لا تكون واردة في الزمن الأول ، إذ كانت البيعة للخليفة وحده دون من يعينهم من ولاة ، ما يلفت نظر الباحث هو : أن بيعة السلطان تأخذ النسق نفسه الذي اتخذته بيعة الخليفة ، عند الكاتب ، فعلى الرغم من إشارته في البيعة بأن السلطان هو الذي يطلب أن تؤخذ له البيعة مع الخليفة ، إلا أن الكاتب يظهرها وكأن الخليفة هو الذي أراده ! بقوله " ... وأجابه اجابة مطلوب ، وإن كان هو الطالب " (٢) . ويشترك معه في حلف الرعية على الوفاء لهما بما عاهدوا ، ويعهد إليه في كل أمور الإمامه والأمة ، ويفوض له التصرف في شؤون السلطنة دون قيد ، فهو وصي في عهد الخلافة ، وأصبح

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ج ٩ ص ٣١٠

(٢) القلقشندي : صبح الأعشى ج ٩ ص ٣١١

سيف الخليفة ويلبسه الخلعة السوداء رمز السلطنة ، حتى طالب أهل البيعة بالتوثيق على البيعتين معاً ، ثم يحاول الكاتب إظهار مدى التزام أهل البيعة ببيعتهم ، ولكن القارئ سيشعر أن السلطان يقودهم لهذه البيعة ويقيدهم بالوفاء لها بالأيمان المغلظة ، وليضمن ما هو محسوس ، وما هو معنوي ، وما هو ظاهر وما هو باطن ، بأن يجعلهم يشهدون الله عليها في أسرارهم وإعلانهم ، إذ إن البيعة لا تصلح حال الأمة ولا تقضي لمرادها ، إذا بنيت على نية غير الظاهرة ، ولا تقي الأمة شر أعدائها إذا ما اختلبت العلاقة والثقة بين الخليفة والرعية ، ولكننا نلمس التحول الذي يحدثه الكاتب في هذا المحور من البيعة ، إذ تنتقل من سعة الأفق والاختيار ، إلى ضيق القيد والجبر ، حين نكتشف أن هذه الأيمان المغلظة ، والمواثيق المشددة ، يترتب على نقضها أموراً لا طاقة للإنسان بها ، فهو بريء من حول الله وقوته إلى حول نفسه، وقوته، وخارج من ذمته الحصينة إلى ذمته ، وكل امرأة في نكاحه ، أو يتزوجها في المستقبل فهي طالق ثلاثاً بتاتا ، وكلما راجعها فهي طالق طلاقاً لا يقتضي إقامة ولا ثبات ، وكل مملوك في ملكه أو يملكه في المستقبل ، حر لاحق بأحرار المسلمين ، وكل ما يملكه من جواد وحيوان ، صدقة عليه للفقراء والمساكين ، وعليه الحج إلى بيت الله الحرام والوقوف بعرفة وسائر المشاعر العظام محرماً من دويرة أهله ماشياً حاسراً عن رأسه ومن كان به أذى حافياً يأتي بذلك في ثلاثين حجة متتابعة على التمام لا تجزئه واحدة منها عن حجة الإسلام ،

وإهدائه مائة بدنه للبيت العتيق كل سنة على الدوام وعليه صوم جميع الدهر ،  
إلا المنهي عنه من الأيام ، وأن يفك ألف رقبة مؤمنة من أسرى الكفر في كل  
عام ... (١) فتصبح هذه الأيمان أغللاً تقيده ؛ فهي مع صعوبتها وتعجزها ،  
لا تخلو من تضارب في قيمها ، إذ كيف يمكن لمن جرد من كل شيء تحرير  
الرقاب ، وأهداء البدن ، ويحاول الكاتب أن يوشىها بألوان دينية ، يخفي ما  
خرجت فيه عن الدين ، واستلاب حرية الرعية ففي حديث النبي عليه السلام "  
اني أصوم وأفطر " (٢) وهو يريد له صيام الدهر ويؤتي ذلك بقوله " إلا ما  
نهى عن صيامه " على أنه يتابع ذلك فنستظهر ذلك الخوف الكامن في قلب  
ال خليفة ، مما قد تخفيه الرعية في قلوبها اتجاه الخليفة والسلطان ، وكأنهما  
يشعران بعدم رضى الرعية عليهما ، وليخلفا في أذهان الرعية صورة مرعبة  
للمخالف للبيعة ، الناكث لعهدا ، فما هذه الأيمان ، وهذه المقتضيات المنتابعة  
في البيعة إلا صورة من الترهيب والوعيد ، بأن الخليفة والسلطان ، ستمتد  
أيديهما بأشد من ذلك بطشاً بالناكثين ، فهذه أيمان لا ينفع معها تقية ، أو تلويل  
أو استفتاء، فهي تؤخذ على نية أمير المؤمنين ، وسلطان المسلمين ، وهي على  
أشد المذاهب : " ولا يقبل الله صرفاً ولا عدلاً ولا تجزئ عنها كفارة أصلاً "

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٩ ص ٣١٢

(٢) البخاري ، محمد بن اسماعيل : صحيح البخاري بشرح الكرياتي ، دار إحياء التراث ، بيروت لبنان ، ط ٢ ، ١٩٨١ ،  
ج ١٩ ، ص ٥٥

(١) فكان الكتاب هنا دخلوا في علم الله ، إذ إن هذا ليس في تقدير البشر ، وأن الله يقبل التوبة ممن يشاء ولكنها الطريقة التي يجد الخليفة فيها وسيلة ، لحشر الرعية للمبايعة ، ليظهرها الكاتب بأنها: مبايعة ميمونه باليمن ، مبتدأة بالنجح مقرونة (٢) ولكنه يعود للقيود من جديد بالشهود من أئمة الأعلام ، والشهود والحكام ، والصبغة الدينية بالاستشهاد بالقرآن الكريم ، ليبقيه أمام ناظري المبايع دافعاً للوفاء وملزماً بالعهد... وأوفو بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنتقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً ﴿ ويصور الرعية ، بأنها راغبة إلى الله في هذه البيعة ، التي ينالهم منها أجر النية الحسنة .

وأما الموضع الآخر من مواضع كتابة البيعة التي كتب فيها القلقشندي ، فهو البيعة المترتبة على خلع خليفة ، وهي لا تختلف عن سابقتها إلا في التركيز على بعض المحاور ، من جهة ، والتعميق في إيراد المرجعية للخلافة من جهة أخرى ، كما يلمح الباحث فرقا آخر ، وهو أن القلقشندي لم يتطرق إلى موت الخليفة في البيعة الأولى ، ولعل ذلك عائد إلى طبيعة الموت ، وأنه أمر معتاد لدى الناس ، أما في البيعة المبنية على خلع خليفة ، فلا بد من التمهيد لذلك ، وبيان الأسباب الدافعة ، والحجج القائمة لخلع الخليفة ، الذي كان قد أخذ على الناس الأيمان المغلظة ، والمواثيق المؤكدة للطاعة والولاء ،

(١) المصدر السابق: ج ٩ ص ٢١٢  
(٢) المصدر السابق نفسه: ج ٩ ص ، ٢١٢



وإذ هم أصبحوا من ذلك في براءة وتحلل ! فنجده بعد الاستهلال ، بالحمد لله الذي جعل الخلافة أمناً للناس ، وحصناً منيعاً من مجريات الحدثان ، يشير لحلول خليفة ، اجتمعت عليه القلوب ، وهذه الحلول يعني خلع السابق ، الذي شغل غيرها ، فلم يعرّها نظراً ولم يسمع لها أذنًا وأساء فيها تصرفاً ، فلم يرفع بها رأساً ، ولم يعمد لها معنى (١) .

وفي سبيل إظهار شرعيته للخلع يشير لبيعة السقيفة لأبي بكر ، وإن كانت قد وردت في البيعة السابقة ، المترتبة على موت خليفة إلا أنه يوظفها هنا بشكل أعمق حيث يصور لنا أن المناظرة التي حدثت بين الأنصار والمهاجرين ، عملية خلع ، نجم عنها خلع سعد بن عبادة الذي يرى أن الأنصار بايعوه ، وعلى ذلك نصب أبو بكر الصديق ، لما امتاز به من صفات ، جعلته متقدماً على سابقه " سعد بن عبادة " فيحاول بعد ذلك إظهار موقف الصحابة من مهاجرين وأنصار ، ويركز على عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان \_ رضي الله عنهما \_ وكأنه ينصبهما مثالين ليقتدي بهما الناس إذ مع ارتفاع مكانتهما إلا أنهما انقادا للبيعة ، وعملاً في خدمتها ، ويضرب لنا مثلاً آخر في خلع الخليفة ، وهو في هذه المرة يخلع الخليفة نفسه من تلقائها ، والمثل هنا علي بن أبي طالب \_ كرم الله وجهه \_ في قوله : - " وأبي الحسن الذي أعرض عن الخلافة حيث سئلا له واستعفى منها بعدما اضطر إليها وقبلها " (٢) .

(١) الفقهندي : صبح الأمشى ج ٩ ص ٣١٣  
(٢) المصدر نفسه ج ٩ ص ٣١٤

ولعل الكاتب أراد من هذه الأمثلة تسويغ الخلع عند الرعية ، أو جعلها حلقة في سلسلة مقدمات . تنبه المتلقي بشروط الأمانة التي نرى أن الكاتب يلح عليها ، ويظهر ضرورة توافرها في الإمام الخليفة : "لا يغتفر فواتها في الابتداء ولا في الدوام ، وأوصافاً يتعين أعمالها وآداباً لا يسع إهمالها"<sup>(١)</sup> ويفطن الكاتب لأمر قد يدور في خلد المتلقي السؤال حوله ، فنجده يشير إلى أن شروط الخلافة يجب توافرها في الخليفة على الدوام ، إذ أنه لا بد وأنها كانت متوفرة حين مبايعته ، وإلا لما بويع !! وربما كان هذا من قبيل احترام الرعية ، التي كانت قد بايعت الخليفة المخلوع ، فتدرك أن سبب الخلع ، هو عدم دوام تلك الشروط فيه فترتب على ذلك الخلع ! وتكاد تكون تلك الشروط مثالية في اجتماعها في شخص واحد ، فهي تجمع العدالة التي أساسها مراقبة الله ، وهي تؤدي إلى مراقبة الله في السر والعلن ، فتكون أدعى لتجنب الكبائر والصغائر ، وبها تقع لصاحبها الهيبة وتميل النفوس عليه ، ومنها الشجاعة التي توفر الحماية للدين ، والأمة ودحض الباطل وقطع الفساد ، وكذلك يجب أن يكون صاحب رأي ، فهو سبيل السياسة وحسن التدبير ، الذي يعين صاحبه على أن يسوس الرعية ، ويعينه في خدع الحرب وكيد الأعداء<sup>(٢)</sup> .

ومرة أخرى يتكئ الكاتب على الشرعية الدينية لخلع الخليفة القائم ،

(١) المصدر السابق : ج ٩ ص ، ٣١٤

(٢) المصدر نفسه ج ٩ ص ٣١٥

وينهج هذه المرة المنهج العقلي للإقناع ، ويوظف مصدراً من مصادر التشريع في الشريعة الإسلامية ، فحين أمرنا الله بالأمر بالعرف والنهي عن المنكر فإنه سوغ لنا الاجتهاد في كل مستجد ، وعلى وجه الخصوص فيما يتعلق بأمر الإمامة فهي أعلى المعالم الدينية وأرفع المناصب الدنيوية (١) .

ويصل الكاتب إلى المحور الرئيسي في المبايعة ، ونقطة التبئير التي بنيت عليها المبايعة ، وحولها يدور موضوعها ، وهو الخليفة المخلوع ، وتظهر هنا المفارقة : التي قد لا يتقبلها العقل البشري في مقارنته بين الصفات الواجب توافرها في الخليفة حين يقع عليه الاختيار ، وبين هذه الصفات التي يوصف بها حين يخلع ! ولعلها مأخوذة من تلك الصفات التي كانت تكتب في المخالعة ، حين يخلع الخليفة نفسه ، أو بالأحرى يجبر على خلع نفسه ، وكتابة المخالعة والتي يصفها محمد الدروبي بأنها تعد : " تزويراً واضحاً للحقائق التاريخية فهي تشويهاً ينادى عن الواقع كثيراً (٢) " فهذا التحول الكبير يصعب تصديقه ، فكيف للعادل أن يتحول لإنسان يعيث في الأرض فساداً ، وينهمك في شهواته ، ويعكف على رغباته ، وكيف لصاحب الرأي أن يصبح عدم الرأي قرينه ، وكيف لشجاع أن يتحول إلى إنسان الجبن رأس ماله (٣) .

(١) المصدر نفسه ج ٩ ص ٣١٥ - ص ٣١٦

(٢) محمد الدروبي الرسائل الفنية في العصر العباسي ، ص ٤٣  
(٣) الفلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٩ ، ص ٣١٦

وهذا ما يكشف لنا مدى الضعف والهوان اللذين لحقا بالخليفة المخلوع ، حتى يحتمل مرغماً لكل هذه الأوصاف ، بل يتعدى الكاتب ذلك ليصور لنا السلطان بعيداً كل البعد عن أمر الخلع والتولية ، فيصور مدى الحرية التي تتمتع بها الرعية ، فهي التي تتبين أفعال الخليفة المخلوع ، وهي التي تقرر استبداله وتجمع على خلعه ، وما السلطان إلا الوسيلة التي تلجأ إليها في سبيل تحقيق رغبتها ، وهو بعد أن يستشير أهل الحل والعقد ، ويصلي مستخيراً لا يمتلك إلا تنفيذ رغبة الرعية فيخلع الخليفة ؛ وهنا تصبح الإمامة شاغرة ، ومرةً أخرى يركز الكاتب على حرية الرعية في الاختيار للخلافة ، ويظهر بُعد السلطان عن ذلك ، وكأن العملية تمت في جو من الحرية ، بعيداً عن القوة والتسلط ، وبعيداً عن الرعية في الموافقة على الخلع ، وجبرها في الموافقة على البيعة للخليفة الجديد . بل هي التي تحدده ، فينهال عليه الكاتب بأوصاف يجعله منفرداً بها عن غيره ، حتى أن عهد ولايته ينسخ كل ما سبقه ، فهو إذ يستجيب لهذه البيعة فذلك لتعيينها عليه ، وأنها انحصرت فيه ، فلا مزيل لكربتها غيره ولا كاشف لغمتها سواه (١) .

وهنا يقدم الكاتب السلطان كالتابع لاختيار الناس ، المبايع الأول للخليفة ، ويتبعه في ذلك أهل الحل والعقد ، وينتشر خبر البيعة في الأقطار ، فيمتثل أهلها لذلك ، ولكننا نكتشف أن أول من يجازى على هذه البيعة السلطان ؛ إذ

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٩ ص ٣١٧ .

تجدد البيعة له بالسلطنة ، ويعود ولياً على أمر المسلمين في الدين والدنيا في الممالك كافة ، يعقد لواءها وينشر أعلامها ، وكما في البيعة السابقة ، يلبسه الخلع السودان كشعار للبيعة بالسلطنة ويرسم لنا الكاتب مدى السعادة والطمأنينة التي تفيأ ظلها الناس ، فرحين بما آتاهم الله من فضله (١) .

إلا أن الباحث لا يلبث أن يصطدم بعد هذه الحرية المتسعة الأفاق بقيود الأيمان المغلظة ، والمواثيق المؤكدة لحفظ العهد بين الرعية المبايعة وبين الخليفة والسلطان الذين حصلت لهما المبايعة . وعلى الرغم من هذا التناقض فيصور لنا الناس مسرعين ! مذعنين للقسم ، والحلف على الوفاء في البيعة والولاء للخليفة ، والسلطان على الدوام والاستمرار ، مع العلم بأن ذلك قد لا يدوم ، فلربما خلع بعد أيام معدودات ، ومثلما في البيعة السابقة نجد أنه يترتب على نقض العهد للولاية ولو سراً مالا طاقة للإنسان به من الأحكام ، فيتوجب عليه طلاق كل ما لديه من نساء، أو من يتزوجها في مستقبل حياته ، طلاقاً نهائياً لا رجعة فيه، ومماليكه أحرار وأمواله صدقه للفقراء ، والحج لبيت الله ثلاثين حجة بثلاثين عمرة راجلاً حافياً حاسراً ، وأن يهدي للبيت الحرام ثلاثين بدنه ولا تجزي هذه عن فريضة الحج ، وصوم الدهر ، وصلاة ألف ركعة في كل ليلة .. (٢) ولا يكون مع ذلك جواز التأويل على المذاهب ، أو التفسير ، وأن نية الحلف على نية الإمام لا نية الحالف .

(١) المصدر نفسه : ج ٩ ، ص ٣١٧ - ٣١٨

(٢) المصدر نفسه : ج ٩ ، ص ٣١٨ - ٣١٩

وهذه المبالغة تظهر لنا استحالة في التنفيذ ، وتوحي بتلك البيعة المكتوبة الأولى ، التي اتخذها الحجاج بن يوسف الثقفي على أهل العراق ، ونصل المحور الأخير في البيعة حيث يصف الكاتب هذه البيعة بأنها : " طيبة المباني ، ثابتة القواعد كريمة المساعي ، جميلة المقاصد " (١) فلا بد \_ وهي كذلك \_ أن يكون لها جنْيُ طيب وثمار يانعة تكون دافعا للرعية على الوفاء ، بها ليدركوا ما اهتازت به عن سابقتها التي خلع صاحبها .

بهذه المنهجية قدم لنا الفلقشندي المبايعة على أنه يعمد لإصباغ كلا البيعتين بالصبغة الدينية ، سواء بالأمثلة للبيعات السابقة من زمن الرسول ﷺ أو توظيف وتحوير الآيات القرآنية الكريمة ، والتي لا يفتأ يستشهد بها بشتى وسائل التوظيف ، سواء استشهدا أو تضمينا ، ليشبع البيعة بالجو الديني متكئا في ذلك على مدى سيطرة العاطفة الدينية على الرعية ، وتأثرهم بكل ما يدعو له الدين وانقيادهم لذلك .

ونلمس سير الكتاب في البيعات على الخطوط العريضة للبيعات الأولى التي كتبت منذ العصر العباسي الأول ، إلا أن ذلك لا يعني عدم التجديد في داخل هذه الخطوط ، فيلاحظ الباحث مقدرة الفلقشندي على توظيف الموروث

---

(١) المصدر نفسه : ج ٩ ، ص ٣١٩

السياسي ، مثل بيعة السقيفة ، وموقف علي بن أبي طالب من الخلافة في عملية تسويغ الخلع ، والمبايعة الجديدة ودفع الناس لها .

ويجب أن لا ننسى أن الفلقشندي قد رضح في كتابه " صبح الأعشى " ما يجب على الكاتب اتباعه عند كتابة البيعة ، فكانت هاتان البيعتان تمثيلاً على ذلك ، حيث أنهما لم يكتبتا لحادثة حدثت ، وإنما كانتا رياضة للخاطر ومماشاة لحال العصر ، وإن كانت جذور كتابة البيعة قديمة .

وكما أوضح الفلقشندي كيفية الاستهلال في البيعة ، فإنه لا ينسى الخاتمة فيها ، فيشير إلى كتابة ( إن شاء الله تعالى ) ويليهما التاريخ ثم يكتب " بالاذن العالي المولوي الإمامي النبوي المتوكل \_ مثلاً أعلاه الله تعالى " وكان الخليفة الذي كتبت له البيعة هو الذي أذن في كتابتها ، ويرى أنه لو أسقط المستند إليه فلا حرج ؛ لأنها تصدر عن أهل الحل والعقد ، ويكتفي في المستند عنهم بكتابة خطوطهم في آخر البيعة ، ثم تكتب الحمدلة والصلاة على النبي ﷺ والحسيلة ، ثم يكتب من بايع من أهل الحل والعقد ، والشهود على البيعة ، فأما من تولى عقد البيعة من أهل الحل والعقد فيكتب : " بايعته على ذلك وكتب فلان بن فلان " ويدعو قبل اسمه بقوله : " بايعته على ذلك قدس الله خلافته " أو " زاد الله في شرفه " وقد يكتب الشهود قبل كتابة أسمائهم بما

يناسب مثل : " قرنھا الله تعالى باليمن أو بالسداد " أو " عرف الله المسلمين  
بركتھا " أو ما شابه ذلك (١).

---

(١) الفلقشندي : صبح الأمشى ، ج ٩ ، ص ٢٢١ \_ ٢٢٢



## العهود :-

العهود جمع عهد ، وهو لفظ يقع له في اللغة عدة معان : منها الأمان كقوله تعالى : ﴿ فآتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم ﴾ ، والمعنى الثاني : اليمين ، ومنه قوله تعالى ﴿ وأوفوا بالعهود إذا عاهدتم ﴾ ومنه الحفاظ لقوله ﷺ : " حسن العهد من الإيمان " وكذلك يأتي بمعنى الذمة لقوله ﷺ " لا يُقتل مسلم بكافر ولا ذو عهد في عهده " وأيضاً بمعنى الزمان كقولهم : " كان ذلك على عهد فلان " ومنه الوصية كما في قوله تعالى : ﴿ ولقد عهدنا إلى آدم من قبل نفسي ﴾ (١) ومنه " اشتق العهد الذي يكتب للولاية " (٢) ، وهو لا يكتب إلا للخلفاء عن الخلفاء أو للملوك ولا تكون إلا عن الخلفاء والملوك . وأما من قام من الخلفاء بغير عهد ممن تقدم ، فإنما يكتب له مبايعة (٣) . ويعرفها محمد الفقي بأنها رسائل تصدر عن الخليفة ، أو السلطان ، لمن رشحه ولياً للخلافة ، أو السلطنة من بعده (٤) .

ويرى القلقشندي أنه على أربعة أنواع (٥) :- الأول عهود الخلفاء عن الخلفاء . وأنوع الثاني : عهد الخلفاء للملوك . أما الثالث فهو عهد

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٩ ، ص ٣٤٨ ، وانظر المعجم الوسيط ، مادة عهد .

(٢) المصدر نفسه : ج ٩ ، ص ٣٤٨

(٣) ابن فضل الله العمري ، التعريف بالمصطلح الشريف ، تحقيق ودراسة سمير الدروبي ، منشورات جامعة مؤتة ط ١٩٩٢ ص ١١٢

(٤) محمد الفقي : الأدب في العصر المملوكي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٦ ص ١١٠

(٥) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٩ ص ٣٤٩ ، ٣٩٨ / ج ١٠ ص ١٥٨ ، ١٨٠

الملوك لولاية العهد بالملك ، وكذلك يتبعها عهد الملوك بالسلطنة للملوك المنفردين بصغار البلدان .

" والأصل في مشروعية العهود ، ما ورد في الصحيحين من حديث ابن عمر \_ رضي الله عنهما \_ أنه قيل لعمر بن الخطاب عند موته " أتعهدُ ؟ فقال : أحتمل أمركم حياً وميتاً؟! أن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني " يعنى أبا بكر " وأن أترك فقد ترك من هو خير مني ، رسول ﷺ فأثبت استخلاف أبي بكر \_ رضي الله عنه \_ بذلك ، مشيراً إلى أن ما روي : " أنه لما اشتد بأبي بكر الصديق \_ رضي الله عنه \_ الوجع ، أرسل إلى علي وعثمان ، ورجال من المهاجرين والأنصار فقال : قد حضر ما ترون ولا بد من قائم بأمركم ، فإن شئتم استخرتم لأنفسكم ، وإن شئتم استخرت لكم ، فقالوا : بل اختر لنا فأمر عثمان ، فكتب عهد عمر بن الخطاب \_ رضي الله عنه \_ " (١) وقد عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى ستة وهم : عثمان وعلي وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص ، ودخلوا فيها وهم أعيان العصر ، وأشرف الصحابة رضوان الله عليهم " (٢) وللكتاب في كتابة العهد طريقتان : الأولى طريقة المتقدمين .

(١) المصدر السابق : ج ٩ ، ص ٣٤٩ ، صحيح مسلم ج ٢ ، ص ٨٠

(٢) المصدر السابق : صبح الأعشى ، ج ٩ ، ص ٣٥٠

ويورد القلقشندي مثلاً لها ، نسخة العهد الذي كتبه أبو بكر لعمر بن الخطاب ، وهم لا يأتون بخطبة في العهد ، ولا ينطرقون لأوصاف المعهود إليه ، ولا يتعرضون بالثناء عليه إلا اختصاراً . ويأتي بعد ذلك بالوصاية له ، ويختم العهد بالسلام أو الدعاء له (١) . والطريقة الثانية فهي طريقة الكتاب المتأخرين ، وجاء الثناء على المعهود له بعد الحمد ، وكذلك ، الذكر من ألقاب المعهود إليه بما يناسبه ، ويذكر القلقشندي : أنه لم يظفر بعهد بهذه الطريقة التي ذكرها المقر الشهابي الفضل الله ، في كتابه : "التعريف" فأنشأ عهداً لم يسبق لمثله على هذه الطريق ، ولم يكن هناك مناسبة ، بل أنشأ امتحاناً للخطر ، وجعله على الإمام المتوكل على الله أبي عبد الله محمد بن المعتضد أبي الفتح أبي بكر لولده العباس ليكون أنموذجاً ينسخ على منواله ، ويذكر القلقشندي أنه لما قبض الله على الإمام المتوكل ، أجمع أهل الحل والعقد على مبايعة ولده العباس بالخلافة ، فتحقق ما أجراه الله على اللسان من إجراء ذلك العهد ، وأنه التقى الخليفة الجديد بعد تسع سنوات ، فقرأ عليه فأظهر ابتهاجاً له ، وأجازه عليه واحتفظ به في خزائنه العالية . (٢)

وفي هذا العهد يجد الكاتب قد افتتحه بالثناء على العهد ، مخصصاً له بقوله : " هذا العهد " ثم يصفه بأنه سعيد الطالع ميمون الطائر ، مبارك الأول

(١) المصدر السابق ، ج ٩ ، ص ٣٥٩

(٢) المصدر نفسه ، ج ٩ ، ص ٣٦٩

جميل الأوسط حميد الآخر<sup>(١)</sup>، وأن الملوك تشهد له وتباهي به ملائكة السماء وأن الأقطار تتلقاه بالقبول . فنلحظ أن ثمة بهجة أحدثها هذا العهد ، وأن موجودات السماء والأرض قد شاركت في تشكيله ، فللحظ نصيب فيه كما للأنهار والشمس حظ من المشاركة في كتابته ، وبهذا التصوير والتوشيح ، يُعدُّ الكاتب المتلقي لسماع الخبر العظيم في هذا العهد ، فيعلن أن الخليفة عبد الله ووليه أبا عبد الله ، محمد المتوكل على الله ، أمير المؤمنين قد عهد لولده العباس بالخلافة من بعده ، فيثني على ولي العهد باختصار ، مازجاً ذلك بالدعاء .

ويأتي بعد ذلك بالبعدية ، التي يتبعها بالحمد لله بحفظه للإسلام، ورافع راية الخلافة ، وجعلها باقية في بني العباس ، ثم بحمده على وصولها للخليفة القائم ، لما فيه من صفات : كرجاحة العقل ، وسعة الصدر ، وجزالة الرأي ، وسلامة الفكر، وتمتد التحميدات حتى تصل إلى ثمان ، يتخللها ما يريد الإفضاء به للرعية ، ففي الثالثة يكون الحمد على حسن الاختيار لولي العهد ، حتى قيل في ولي العهد ، هذا الشبل من ذاك الأسد ، أما في الرابعة : فيأتي على جمع الآراء على اختيار العاهد ، وحب القلوب لمن وقع عليه الاختيار ، وبعد ذلك يكون الحمد على تجدد النعمة للرعية ، ثم بحمده على ما ستتاله الخلافة من الرخاء في عهد الخليفة الجديد ، كما أنه قد ارتفع قدره

(١) المصدر السابق ، ص ٣٦٩

بهذه الخلافة ، وعلى وجه الخصوص أنه شارك جده العباس بالاسم والكنية ، وهذا ما لم ينلته ستة وأربعون خليفة من قبله .

وبعد هذه التحميدات الست المضمنة تمهيداً لإظهار الأمر الذي من أجله أنشئ العهد ، وهو دعوة المسلمين إلى مبايعة ولي العهد ، ويرتكز في ذلك على الأحكام الشرعية ، ووجوب طاعة ولي الأمر ، وأن الدخول في البيعة والانقياد لولي الأمر إلزاماً عليهم ، ويوظف المفارقة بين ما هو واجب ، وما توفر لهم ليكون دافعاً أكبر للدخول في البيعة ، إذ إن الشرع يوجب ضرورة الانقياد ولو كان المبايع عبداً حبشياً ، فكيف والبيعة لمن أجمع على سوؤده الأمة ؟ (١) ويدعم ذلك بالآية الكريمة ﴿ فلا يكن أمركم عليكم غمّة ﴾ (٢) ثم تكون التحميدة الأخيرة ، على ما منح الله أمير المؤمنين من طيب الأصل ، وشرف النسب ، وتوحيدهم الله لا يشركون به شيئاً ، يقيمون بالشهادة مثلماً يقومون بالخلافة كابراً عن كابر ، والوصية متوارثة فيهم للذود عن حمى الدين والأمة ، ويعرض لعمومة العباس للنبي ﷺ الذي خصه بكريم الحياء ، ويشير لبقاء أمر الخلافة في بنيه ، مورداً الحديث الشريف " ألا أبشرك يا عم : بي ختمت النبوة وبولدك تختم الخلافة " (٣) وإن بركتها تعم بني عباس ، فتشمل المعهود إليه ، ويعرف قدرها العاهد ، وليس لأمرئ إنكارها .

(١) المصدر السابق ، ج ٩ ، ص ٣٧١

(٢) السابق نفسه : ج ٩ ، ص ٣٧١ وانظر القرآن الكريم : سورة يونس آية (( ... ثم لا يكن أمركم عليكم غمّة ... ))

(٣) السابق نفسه : صبح الأعشى ج ٩ ، ص ٣٧٢

ويتحول الكاتب لمحور آخر في الرسالة ، حيث يقدم الواجبات المناطة بالإمامة ، ومرة أخرى يستند للمرجعية الدينية بالتضمين للأحاديث النبوية ، فيقول : " وكل راع مسؤول عن رعيته ، وكل امرئ محمول على نيته " (١) ولا يخفى أخذه من الحديث النبوي الشريف : " كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته " (٢) وفي العبارة الثانية من الحديث الشريف : " لكل امرئ ما نوى " (٣) فالإمام مسؤول أمام الله عن نفسه ، ورعيته نصب لخدمة مصالحهم في حاضرهم ، ومستقبلهم ، ويقدم لهم نصائحه ما استطاع جهده . ويعرج للإشارة لمرجعية ولاية العهد ، ويشير لقصة أبي بكر وعمر التي أشرنا إليها سابقا ، ويعرض آراءهم فيها ، فمنهم من يرى ولاية العهد للقريب ، ومنهم من يراها للبعيد ، ومنهم من رغب فيها ، ومنهم من رغب عنها ، ويرى أنها تبقى عملية اجتهاد في الرأي اقتدارا عليه ، وهذا يوصله لأمر المؤمنين الخليفة العاهد ، فيعدد صفاته ، ويعرض لما اختص به دون غيره من طهارة ، وصفاء سريرة ، وحكمة وعلم فراسة وقوة عزم ، وسداد ورشاد رأي ، إضافة لما عانى وجرب في الحياة ؛ فخير الناس ظواهرهم وخفياهم ، والكاتب في هذا ، يريد إيصال المتلقي لدرجة التصديق والإيمان بالرأي الذي توصل إليه الخليفة ، إذ هو عن علم وخبرة ، وتجربة في الحياة ،

---

(١) المصدر السابق ج ٩ ، ص ٣٧٢

(٢) مسلم : صحيح مسلم ، بشرح النووي ، دار أحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط ٢ ، ١٩٧٨ ، ج ١٢ ، ص ٢١٣

(٣) البخاري ، صحيح البخاري ، ج ١ ، ص ٢١٢

فترجح عند جانب العهد على جانب الإهمال ورأي المبادرة إليه أولى من الإمهال (١) . وبعد القرار الأول ؛ الأخذ بالعهد ، يأخذ الكاتب بتهيئة المتلقي ، لاختياره لولي العهد ، فيعرض الأمور التي رأى الخليفة أنها تنتظر المعهود إليه فأعباء الخلافة ثقيلة فمن يتحملها وحده ؟! ومن يسلك بها كما سلك هو و يقتفي سيرته ؟ وينشر العدل كما نشره ، وأقبل على أمور الخلافة بكليته لا ينظر لغيرها ، ولا يشغله عنها شاغل .

وما أن يخرج من هذا الجانب ، حتى يشرع الكاتب في الصورة المقابلة للمعهود إليه ، فيفطن القلقشندي لتقديمها بطريقة غير مباشرة ؛ لتكون أبلغ في نفس المتلقي ، فالخليفة هو الذي يتصور صفات ولي العهد ، ممن كان أحق بوصولها وأمكن بدينها وأرضى لطريقها ومن هو بمنصبها أليق وبمكانها الرفيع حري ، والذي سيكون بمقاصدها وفيها ، فلما كانت هذه الصفات والأوصاف قد اجتمعت في المعهود له ، فقد وقع عليه الاختيار ، فيظهر الكاتب أن الاختيار لم يكن يُحقّق لولا تحقق هذه الميزات بولي العهد .

وكما صور الكاتب الخلافة في البيعة بأنها هي التي تطلب الخليفة ، وأنها هي الحريصة على خطبته ، لا هو ، كذلك يسلك السبيل نفسه في ولاية العهد . فالولاية هي الباحثة عن يليق بها ، وعندما تجد أسمى غايتها في المعهود له وأنه : "الكفو المستجمع لشرائطها المتصف بصفاتهما" (٢) فهو من لبانها رضع وفي حجرها تربى ، وهو شبلها الناشئ في آجامها ، بل أسدها الحامي حماها ،

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٩ ، ص ٣٧٢  
(٢) المصدر نفسه : ج ٩ ، ص ٣٧٣

وحاكمها الطائع لأمرها ، وهو القائم بواجبها والمأمون لسرها ، فتعلقت قلوب الناس فيه وإذ ذاك بالغت في طلبه وألحت في خطبته ، وتشبثت في أحباله وتتعلق بأذياله وتتغالي في حبه حتى أنها راودته عن نفسه (١) .

والناس في الأفق هم من انتظروا هذه الولاية فما خيب أملهم ، فشابهه أباه في العدل ، والحكمة ، عندها يقدم الكاتب شرعية هذه الولاية بأن أصبحت واجبا فيتكفل أمورهم معيناً لأبيه في حياته ، ويخلفه بعد مماته .

ولا يفتأ الكاتب عن المعاودة في تبيان أسباب هذا الاختيار ، وأنه لم يكن عن هوى ، أو عاطفة من الخليفة تجاه ولده ، وإنما هي مصلحة الأمة التي يشفق عليها ، ويرأف بها ويرحمها ؛ فالرعية هي الشغل الشاغل لأمير المؤمنين ، الخليفة ولأجلها بحث عن اتصف بهذه الصفات ، ومن أخذ بها ومن اتبع طريق الخليفة فيها ، وكان عائداً على الأمة بالخير ، ولقلوب الناس أحلى وأقرب ، ومن هو يشفي الغليل في العمل ، حافظاً للجميل ، فكانت هذه الصفات أيضاً قد اجتمعت بولده العباس .

وأنه لم يكتف برأيه حتى مع اجتماع الشروط والصفات بولده ، بل يستشير أهل الحل والعقد والعلماء والفقهاء ، ويستشير وزراء وأمرائه . وحتى أعيان أهل العصر ، وعامتهم وجمهوره وكافته ، فيوافقوه الرأي ، فنلاحظ

---

( ١ ) المصدر السابق ، ج ٩ ، ص ٣٧٣



اتساع أفق الحرية في الاختيار والمشاورة ، ولتعميق حسن الاختيار في نفوس الرعية نجده يصبغه بصبغة دينية أخرى ، وهي الاستشارة لله \_ عز وجل \_ إذ هي الطريقة التي يلجأ إليها المسلم ، متمنياً حسن الاختيار ، فنجده يستخير ويجدد الاستشارة ، ويكررها مرة أخرى ، كل ذلك ليدخل الطمأنينة إلى قلوب الرعية ، ويقبل على بيعة ولي العهد دون تردد ، وعندما يشعر أن ذلك استمكن من قلوبهم ، أعلن أنه قد قلده الخلافة المقدسة بعده ، وأن هذا لم يكن بدعاً منه وإنما هي " عادة من تقدمه من الخلفاء الماضين ، وقاعدة من سلف من الأئمة المهتدين " (١) فيأتي بعد ذلك بالتفصيل ، لما فوضه فيه من عهد ، ووصاية وعزل وولاية ، وانتزاع وتخليد ، وجمع وتفريق وإعطاء ومنع ، ووصل وقطع ، وغير ذلك كله تفويضاً شرعياً ، وأن هذا سار في جميع الآفاق ، ويدخل تحته سائر الأقاليم والأمصار على الإطلاق .

وينبه الكاتب بعد ذلك لموافقة وقبول المعهود له بالعهد ، وأنه تم بحضور الشهود من العلماء ، والقضاة والحكام ، وقد كتب به وانتشر في سائر البلاد .

على أن الكاتب يعود تارة أخرى ، لما اتصف به المعهود إليه من صفات ويأتي بها بطريقة جديدة ، إذ يبين أنها على ضربين : الأول ما كان أصلاً فيه وطبعت عليه طباعه السليمة ، وجبلت عليه سجاياه الشريفة ، وأخلاقه

---

(١) المصدر السابق ج ٩ ، ص ٣٧٤

الكريمة. وأخرى مكتسبة اكتسبها ، من أمير المؤمنين ، فمن ذلك الآداب الشريفة ، وما رواه أبوه عن جده ، مما طبع في ذهنه فصار طبعاً ثابتاً وامتزج لديه الغريزي بالمتعلم ، فأصبحت طباعه الحسنة أقوى (١) .

ويأبى الكاتب إلا إتمام صورة النموذج الذي قدمه في الخليفة الذي لم يكتفِ بالمشورة ، والاستخارة ومراجعة النفس ، ليحسن صنيعه للرعية حين اختار لها ولي عهده ، وخليفته بعد موته ، وإن كان منطلقه في هذا كله هو تقوى الله ، وحرصه على إرضائه ، وانتهاج طريقه فقد اتبع هذا ، ومن المنطلق ذاته قدم وصايا كثيرة ، والوصية المطلوبة ، وهي مسلك سلكه أنبياء الله ﴿ ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب ﴾ (٢) وتدور الوصايا حول تقوى الله ، والتمسك بالحق والسير على منهج الله في كتابه ، والاقتداء بسنة نبيه عليه السلام بأفعاله " فالكتاب والسنة أخوان لا يفترقان \_ والبلاد والرعايا فحطهما بنظرك ما استطعت " (٣) فيقرن العلاقة ما بين البلاد والرعايا بالعلاقة ما بين القرآن والسنة ، وكما أوصاه الإلتزام بالطريق الأولى ، يوصيه بحفظ الثانية فهو في أدائه لواجبه كخليفة ، إنما يؤدي واجباً دينياً كذلك ، حتى في إحسانه لأقاربه ، إنما هو سبب قربهم من النبي عليه السلام . ويحضه على اقتفاء آثار الأئمة الصالحين من السلف ، ويذكره بأن الخير يبقى ذكره على مر الليالي ،

---

(١) المصدر السابق ج ٩ ص ، ٣٧٥

(٢) القرآن الكريم ، سورة البقرة آية ١٣٢

(٣) الفلقشندي : صبح الأعشى ج ٩ ، ص ٣٧٥ \_ ٣٧٦

ومع ذلك فيوصيه بأنه يجب قصد وجه الله ، لا الرياء ، ويستمر الكاتب بهذه الأصباغ الدينية يصبغ بها عهده ، حتى يدخل ذلك في تفصيل الوصايا ، فينبه المعهود إليه أن ما وصل إليه لم يكن عن قوة منه ، وعليه ألا يغترّ بالمدح ، ولا يتكل على النسب " فمن أطاع الله أدخله الجنة ولو كان عبدا حبشيا ، ومن عصاه أدخله النار ولو كان هاشمياً قرشياً " (١) . ويختم هذه الوصايا بدعوته لإبقاء الخوف من الله ، والحرص من مكره بين عينيه ، فإن الله يورث الأرض لمن يشاء .

وهكذا استطاع الكاتب ، رغم ما قدم من رفعة للخلافة ، وخطر لمكانتها تطمع لها الأنفس ، وتتناول لها الرقاب ، أن أظهرها من خلال اللبوس الديني الذي أغرقها فيه ، أنها مسؤولية عظيمة وأمانة ثقيلة ، تجعل الإنسان يفكر في أمرها ملياً ، ويراجع نفسه قبل أن يقدم إليها ، ويجسر على طلبها ، إذ هي ليست بمكسب شخصي ، ومنفعة ذاتية للإنسان ، حتى ان المتلقي بهذا العهد يشعر أنها لم تعد ذاك المطلب ، الذي يحسد عليه الإنسان ، بل يحتاج إلى من يدعو الله له ، يسانده في تحمله وتوفية حقه .

بهذه الصورة الثنائية الأنساق ، استطاع الكاتب أن يجمع بين الترغيب والترهيب في مسألة ولاية العهد ، والخلافة من بعدها ، مظهراً عظمة مكانتها ليعظمها في النفوس ، ومظهراً ثقل حملها ، لينظر لها من الرعية على أنها

(١) المصدر السابق : صبح الأعشى ، ج ٩ ، ص ٣٧٦

المسؤولية الشائكة أمام الله ، يدعم ذلك بالآيات القرآنية الكريمة المنتشرة في العهد ، في قوله : " واحرص أن تكون من الأئمة الذين يظلمهم الله تحت عرشه : " يوم يقوم الأشهاد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار " (١) .

وبعد الانتهاء من الوصية ، يعود كما بدأ العهد ، بقوله : "هذا عهد" ولكن هنا يزداد تعريفه بإضافته لأمير المؤمنين "عهد أمير المؤمنين ويحدد وجهته بضمير المخاطب إليك ويعطف على العهد بالوصية ووصيته تملئ إليك" ويدعم الفكرة بالعبارتين التاليتين بالآية الكريمة : ﴿وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين﴾ (٢) وينبه أن هذا العهد المكتوب من قبل الخليفة ، حجة للمعهود له (٣) وبعد كتابة العهد يكتب المستند له ، ثم يكتب المستند له فيكتب فيه : "بالإذن العالي المولوي الأمامي النبوي ، الفلاني " بلقب الخليفة " أعلاه الله تعالى" (٤) ، وإذا كان اسقاط المستند في البيعان شيء لا حرج فيه ، فإنه في العهود عكس ذلك لأنها صادرة عن مولٍ هو العاهد ، فحسن إضافة المستند إليه بخلاف البيعة فإنها تصدر عن أهل الحل والعقد (٥) ، ويكتب الخليفة في بيت الخلافة "عهدت إليه بذلك" لأنه اللفظ الذي ينعقد به العهد وقد يكتب " فوضت إليه بذلك " والقلقشندي يرجح المقام الأول للياقته (٦) ، وقد يقتصر

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٩ ، ص ٣٧٦ ، وانظر القرآن الكريم ، سورة غافر آية ٥١ - ٥٢

(٢) القرآن الكريم ، سورة الذاريات آية ٥٥

(٣) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٩ ، ص ٣٧٧

(٤) المصدر نفسه ، ج ٩ ، ص ٣٩١

(٥) المصدر نفسه ، ج ٩ ، ص ٣٩١

(٦) المصدر نفسه ، ج ٩ ، ص ٣٩١

المعهود إليه بالكتابة على قوله " قبلت ذلك " وإن كان أمياً فيكتفى بشهادة الشهود (١) .

أما حول الورق الذي تكتب فيه عهود الخلفاء ، فيذكر القلقشندي أنها كانت تكتب في القطع البغدادي الكامل ، وأنه لما ضعف الخلفاء وصار أمرهم إلى الملوك المنغليين ، تنازلوا في كتابة عهودهم من البغدادي الكامل إلى القطع الشامي وهو ما يراه القلقشندي الأنسب للعصر المملوكي الذي عاشه (٢) .

وحسب ما يستخدم الورق ، يستخدم له القلم المناسب ، فإن كتب في القطع البغدادي الكامل ؛ استخدم له قلم مختصر الطومار ، وإن كتب في القطع الشامي ، كتب بالقلم الثلثين الثقيل (٣) على أن الباحث أحرَّ جزءاً من العهد كان من الممكن دراسته في البداية ، والجزء المؤخر هو طرة العهد ، وجاء هذا التأخير لمحاولة إيضاح بعض النقاط حولها والطرة : هي تلخيص لما يتضمنه العهدة (٤) ، ولا تخلو من الثناء على العهد المكتوب ، لما لذلك من إظهار لأهميته التي تشي بأهمية ومكانة الخليفة كاتب العهد ، والمعهود له من جهة أخرى .

---

(١) المصدر السابق ، ج ٩ ، ص ٣٩٣  
(٢) المصدر السابق نفسه ، ج ٩ ، ص ٣٩٤  
(٣) المصدر السابق نفسه ، ج ٩ ، ص ٣٩٤  
(٤) المصدر نفسه ، ج ٩ ، ص ٣٥٧

وقد كتب القلقشندي أكثر من طرة عهد منها ، طرة للعهد الذي كتبه لأبي الفضل العباس عن والده الخليفة ، أبي عبد الله بن محمد بن الإمام المعتضد بالله أبي الفتح أبي بكر (١) ، وكتب طرراً أخرى ، جاء بعضها رياضة للخاطر ولتبع رسمها الكتاب في كتابة الطرة ، وبيان صورة وضعه في الورق ، من ذلك ، الطرة التي أنشأها على العهد ، الذي أنشأه القاضي محي الدين بن عبد الظاهر عن المنصور قلاوون ، بالعهد بالسلطنة لولده الملك الصالح ، "علاء الدين علي" ويورد الكاتب في هذه الطرة القاب السلطان العاهد ، والقاب المعهود له ، ويختتم الطرة بقوله : "بلغه الله تعالى فيه غاية الآمال وحقق فيه للرعية ما يرجونه من مزيد الأفضال (٢) " ، وتكرر هذه العبارة ، أو ما شابهها من الدعاء في جميع طرر " العهود " التي كتبها القلقشندي ، وهناك طرة أخرى ، له في عهود الملوك بالسلطنة للملوك المنفردين بصغار البلدان ، كتبها على العهد الذي أنشأه المقر الشهابي بن فضل الله للملك الأفضل "محمد بن الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل" آخر ملوك بني أيوب بحماة (٣) على أن هناك دافعا آخر دفع القلقشندي لكتابة الطرة ، وهو اعجابه ببعض العهود التي اطلع عليها ، من ذلك : الطرة التي كتبها على العهد الذي كتبه المقر الأشرف الناصري محمد بن البازري الحموي ، عهد السلطان الملك

(١) المصدر السابق ، ج ٩ ، ٣٥٧ - ٣٥٨

(٢) المصدر السابق نفسه ، ج ١٠ ، ص ١٧٨

(٣) المصدر السابق نفسه ، ج ١٠ ، ص ١٩٠

المؤيد أبي النصر ( شيخ ) عن الإمام المستعين بالله أبي الفضل العباسي أمير المؤمنين خليفة ، وقد مهدَّ القلقشندي في كتابه صبح الأعشى بهذه الطرة حيث قدمها وجاء هذا التمهيد تعريفاً للعهد إذ يقول : " ولما كان هذا العهد قد أدرع جلبابُ العجائب فأعجب ، وارتدى برداء الغرائب فأغرب ، وسقى غرسة ماء البلاغة فأنجب ، وشَفَّ الأسماع أن أسمع فأرقص على الأسماع ، وامتطى صهوة جواد البياز ، فتنقل فيها من كميت إلى أشقر ومن أحوى إلى أشهب ، أحببت أن آتي له بطرة هي له في الحقيقة نيل ، ونغبة من بحر وقطرة من سيل (١) ، ونلاحظ أن هذا الإعجاب الذي سيطر على القلقشندي في هذا العهد مرده الجانب اللفظي منه ، فهو يشنف الأذان ولم يشغل العقول ، ويطرب الأسماع دون ترجيح الفكر .

---

(١) المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ١٢٨

## الأخبار:

جمع خبر وهو ما ينقل أو يحدث به قولاً أو كتابة ، وقول يحتمل الصدق أو الكذب لذاته (١) والخبر أحد الرسائل الديوانية وقد تأخذ الطابع الاخواني ويراد منها إحاطة الخليفة أو صاحب الشأن علماً بأمر عام أو خاص ومن هنا يصعب حصر المعاني التي تختص فيه ، ولا الهيئة التي يكون عليها إلا أنه يمكن أن يمتاز عن غيره من المكاتبات بأنه لا يحوي مقدمة تكون توطئة لما بعدها والمقدمات تحل من المكاتبة محل الأساس من البنيات ، على أن تكون هذه المقدمات مشتقة من نفس معنى الكتاب ، ويصعب على كاتب الأخبار أن يستتبط من كل خبر تمهيدا ومقدمة تكون بساطا ولا سيما أن كتب الأخبار متعددة كل خبر منها بخبر يحمل معلومة يراد إيصالها بطريقة رسمية لصاحب العلاقة بطريقة مباشرة وليست على قدر من الأهمية بحيث يدبج لها منشوراً مستقلاً .

وكما أن المراد بالخبر إيضاح صورة بشكل واضح ومقنع لمتلقيه ، ليتنبه له إلا أن بعض الأخبار تحول لخصوصيتها وذاتها دون التصريح عنها باللفظ الخاص بها ، مما يدفع بكاتبها إلى إيصالها والإخبار عنها بألفاظ تؤدي معناها ، فلا يقدم على صدم المخبر بما يكره ويستاء من سماعه مباشرة ، كذلك الأخبار التي ترفع للسلطان حول عبد له قد نشر ما يوضع من مكانة

---

( ١ ) مصطفى إبراهيم وآخرون : المعجم الوسيط : مادة خبر



السلطان في النفوس وما شابه ذلك مما ينغص على السلطان ، فإن الكاتب يلجأ في هذه الحالة إلى التعريض والتورية لإيصال الخبر ، فيأتي بألفاظ تدل على معاني ما يقصد إيصاله ويحرص على ألا يؤدي سمع السلطان بما يكره سماعه ولا يجوز مقابله به ، على أن الإيجاز والإطناب في الأخبار يسير حسب ما يقتضيه الحال في الخبر والمخبر به . وإن كان الإيجاز هو الغالب على هذا الضرب من الرسائل (١) . وقد ظفر الباحث بعدد من كتب الأخبار التي كتبها القلقشندي أولها بأخبار عن الخليفة ، يوضح فيه وضع الخليفة في خلافته فهي متوطدة ، وهو مكين في دولته إذ هو صاحب رأي عالٍ ، وكلمة نافذة وسلطان عزيز ، وشأن مرتفع ، ويشير إلى نعم الخليفة الوارفة عليه وعلى أهل الخلافة التي تشمل كل من دخل في طاعته ولإظهار القوة التامة للخليفة يصور أعداءه ، فهم محرومون من خيرات بلاده، سالمة منهم أطراف البلاد وتغورها فلأمن مستتب في داخل أرض الخلافة قاصيها ودانيها ، ثم يختم كتابه بالحمد لله على إحسانه ونعمائه (٢) . وكتاب آخر بأخبار عن الوزير ، وصف الكاتب فيه حال الوزارة فهي غارقة في النعم مترامية الأطراف ، وذات قوة يشبها بالويل على الأعداء ، ثم يشير الكاتب لما اختص به من عمل في شؤون الدولة ، فيصفه بالانتظام ، وأنه لا اضطراب فيه ، وأن أحوال الرعية ملتئمة ، ثم ينتقل لمقدرة

---

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ج ٩ ، ص ٢٢٠

(٢) المصدر نفسه ، ج ٩ ، ص ٢٢١

الوزير الذي منحه الله ما يمكنه من أمور السياسة ، وأعطاه حكمة تدبير الأمور ، إذ هو جاد في مراعاة مصلحة الرعية (١) .

ونقع على كتاب آخر بإخبار عن أمير يصف فيه حال الأمير ، ويخبر الكاتب عن النعماء التي يعيش فيها في ظل ذلك الأمير الأكبر .

وهناك خبر تلمح فيه الخصوصية بشكل أكبر ، إذ يتحدث فيه الكاتب عن عافية المكتوب عنه ، إذ عادت له العافية والانتعاش بعد أن فارقتة الصحة ونبت على العافية ، ويلاحظ الباحث أن الكاتب يحاول صبغ الكتاب بالصبغة الدينية .. والتي سيطرت على الكتابة في هذا العصر ، سواء الكتابة الرسمية أو الإخوانية ، وقد لا يكون في تلك غرابة إذا ما عرفنا أن النزعة الدينية كانت تطفو على شتى مجالات الحياة ، فثمة ملاحظة تجلب الانتباه ؛ ذلك أن الكاتب يحاول تقديم الحالة المرضية التي حلت بالمكتوب عنه ، بطريقة غير مباشرة ؛ كنعمة أراد الله بها إذ هي إنذار وتحذير من الاغترار (٢) بالدنيا وما تحمله من إغراءات ، قد تجرف الإنسان في تيارها فتؤدي للخسارة في الدنيا والآخرة ، وهي أيضاً تجربة للإنسان تعينه على خوض معترك الحياة وعصب الأيام ، فيأتي الكاتب وكأنه يحمل بشرى تحوي مفارقتين استطاع الكاتب أن يصيغهما في مقاربة جعل الأولى لا تقل في ابتهاج المكتوب عنه فيها عن الثانية ،

(١) المصدر السابق ، ج ٩ ، ص ٢٢١  
(٢) المصدر السابق نفسه ، ج ٩ ، ص ٢٢٢

فيكون الحمد على هذه النعم وما يمر به الإنسان من تبدل وتغير تدفع بالإنسان للحفاظ على التواصل مع الخالق عز وجل .

ولما كانت هذه الكتب تمازج بين طابعها الرسمي من حيث الشكل والصياغة ، يجدها القارئ ذات طابع خاص من الناحية المضمونية إلا أن الباحث يميل لضم هذه الكتب إلى صنف الرسائل الديوانية ، فطابعها وإن كانت تظهر فيه الخصوصية ، إلا أنها جاءت من خلال العلاقة بين هذه الخصوصية ومن ترتبط به . أي المكتوب عنه ، فهو غالباً ما يكون خليفة أو سلطاناً أو من أكابر الأمراء ، وبالتالي يرى الباحث أن هذه الخصوصية تتحول لقضية عامة ، لما لذلك من أثر على الناس والرعية فلا بد لهذه الظروف التي تحيط بالمكتوب عنه من أن تعكس على الحياة العامة في الدولة إذ هو يشكل العقل والفكر لها ، والرأس المدبر لأمرها ، فما أصابه من خلل يصيب بقية الجسد ، ويضعف من أداء وظائفه .

ويلاحظ الباحث ما اتسمت به هذه الكتب من إيجاز يبتعد الكاتب فيه عن الإطناب والاستطراد فهي تخلو من المقدمات وتقتصر على إيجاز الخبر لتختتم بالحمد دون العمل على توثيقها وتاريخها .

## التقاليد :-

وهي من الرسائل الرسمية الصادرة عن الديوان ، المختصة بإدارة الشؤون الداخلية للدولة ، فيتم بموجبها أمر تولية كبار الموظفين ، ينشئه صاحب الديوان أو أحد منشيئه على لسان السلطان .

ومفردتها تقليد ، وهو مأخوذ من القلادة ، في العنق ولعل قولهم : " قُئِد به أمر كذا إذا وليته اياه كمعنى اصطلاحي مأخوذ منه <sup>(١)</sup> ، فكان المولي ، جعل أمانة ومسؤولية ذلك الأمر في عنق المقلد له .

وثمة اختلاف في تقسيم التقليد ، إذ يرى القلقشندي : أنه يتكون من طرة و متن <sup>(٢)</sup> في حين يقسمه شهاب الدين محمود الحلبي إلى أربعة أقسام ، يرى أنها متقاربة التقدير إذ يقول : " ويحسن أن يكون الكلام في التقليد على أربعة أقسام متقاربة المقادير ، فالربع الأول : الخطبة ، والثاني يذكر موقع الإنعام في حق المقلد ، وذكر رتبته وتفخيم أمرها . والثالث في أوصاف المقلد ، وذكر ما يناسب تلك الرتبة ويناسب حاله في عدل ، وسياسة أو مهابة ، وبعد صيت أو سرعته ، وشجاعته إن كان نائبا ، ووصف الأحوال ، وما يناسب ذلك أن يكون وزيرا ، وكذلك في كل رتبة بحسبها ، والرابع في الوصايا ، وهذه هي القاعدة في مثل ذلك ، ومنها أن يراعي المناسبة ، وما تقتضيه الحال ، فلا يعطي أحدا

<sup>(١)</sup> القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١١ ، ص ١٠١

<sup>(٢)</sup> المصدر نفسه ، ج ١١ ، ص ١٠١

أكثر من حقه ، ولا يصفه بأكثر مما يراد من مثله " (١) . على أنه ينبه إلى تجنب التعريض بالمعزول ، لما يورث ذلك من مضغائن ، ويدل على ضعف رأي المقلد في اختيار الأول (٢) .

ولابن فضل الله العمري رأي يخالف فيه شيخه الحلبي في تقسيم التقليد ، إذ يقول : " واعلم أن شيخنا شهاب الدين محمود الحلبي \_ رحمه الله \_ قسم مقدار التقليد أو التوقيع تقسيما لا أرضاه ، والذي أراه اختصار مقدار التحميدة التي في الخطبة ، والخطبة مطلقا و إطالة ما بعد ذلك ، و الإطناب في الوصايا \_ اللهم إلا لمن جل قدره وعظم أمره \_ فإن الأولى الاختصار في الوصايا الجماليات ، ويعتذر في الاختصار بما يعرف من فضله ، ويعلم من علمه ، ويوثق به من تجربته " (٣) .

وينقل القلقشندي عن كتاب العمري " التعريف " طرة التقليد تعنون بقولهم : " تقليد شريف لفلان بكذا " (٤) .

ويفصل القلقشندي في ذلك ، موضحا ما كتب في كل حال ومقام (٥) ، أما المتن : " فإنه لا يستفتح إلا بالخطب بالحمد لله وليس إلا ، ثم يقال بعدها : أما بعد ، ثم يذكر ما سنع من حال الولاية ، ومن حال الموالي ، وحسن الفكر

---

(١) الحلبي : شهاب الدين محمود ( ٧٢٥ هـ / ١٣٢٤ م ) حسن التوسل إلى صناعة التوسل ، تحقيق ودراسة أكرم عثمان

يوسف ، دار الرشيد للنشر ، الجمهورية العراقية ، وزارة الثقافة والإعلام ، ١٩٨٠ ، بلا طبعة ، ص ٢٦٨

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٦٨

(٣) ابن فضل الله العمري : التعريف بالمصطلح الشريف ، ص ١١٧

(٤) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١١ ، ص ١٠١ / والتعريف بالمصطلح الشريف ، ص ١١٦

(٥) القلقشندي : صبح الاعشى ج ١١ ، ص ١٢٩

في من يصلح ، وأنه لم ير أحق من ذلك المولى ، ويسميه ، ثم يقال ما يفهم هو المقدم الوصف أو المتقدم إليه بالإشارة ، يلي ذلك بقوله رسم بالأمر العالي المولوي ، السلطاني ، الملكي الفلاني ، ويدعى له أن يقلد كذا ..... ثم يوصي بما يناسب تلك الولاية ، مما لا بد منه تارة جمليا وتارة تفصيليا ، وينبه فيه على تقوى الله تعالى ، ثم يختم بالدعاء للمولى بالإعانة ، أو المزيد أو التوفيق ، أو يجري مجرى السبيل ، ثم يقال : " وسبيل كل واقف عليه العمل به بعد الخط الشريف أعلاه (١) " .

ويلحظ الباحث مدى الاهتمام في هذا الضرب من الرسائل الديوانية من قبل الكتاب ، وعنايتهم بها على وجه الخصوص ، فعلى الكاتب " أن يتخير الكلام والمعاني ، فإنه مما يشيع ويذيع ، ولا يعذر المقصر في ذلك بعجلة ، ولا ضيق وقت ، فإن مجال الكلام عليه متسع ، والبلاغة تظهر في القليل والكثير ، وحجة الحلبي في ذلك على الكتاب أن "الأمر الجاري في ذلك معروف ، وفي أيدي الناس مما كتب فيه شيء كثير" (٢) ، وقد امتازت عن باقي المكاتبات ببعض العبارات ، مثل أن يقال بعد التحميد والتشهد ، والصلاة على النبي \_ عليه الصلاة والسلام \_ : أما بعد ، وهو الأعلى ، وتكون في التقاليد خاصة أملا في المراسيم وكبار التفاويض والتواقيع فتكتب وبعد وهي دون أما بعد (٣) .

(١) ابن فضل الله العمري : التعريف ، ص ١١٥ - ١١٦ / وانظر صبح الأعشى ، ج ١١ ، ص ١٠٥ - ١٠٦

(٢) المرجع نفسه ، ص ٣٦٩

(٣) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١١ ، ص ١٢٩

ولعل سبب هذا الاهتمام عائد لمكانة من تكتب لهم هذه التقاليد " فلا تكون إلا لكفلاء الملك كأكابر النواب والوزراء ومن كان في معناهما، وقد تكون لأكابر قضاة القضاة، فأما عامة القضاة فيجب ألا يسمى ما يكتب لهم إلا تقييضا" (١) ويضيف القلقشندي لجملتهم كاتب السر (٢). أما محمود رزق سليم، فيشمل معهم كتاب السر، ونظار الأوقاف وبعض أمراء النواحي والمملكين بها. (٣) وقد كتب القلقشندي في هذا الضرب من الرسائل، من ذلك تقليد له بإشارة للأمير جمال الدين يوسف البشاسي، استدار في الدولة الناصرية فرج، حين فوضت إليه الإشارة مضافة إلى الاستدارية، ويذكر القلقشندي أنها وظيفة جديدة لم يعهد للمتقدمين أنهم كتبوا فيها. (٤)

بدأ الكاتب التقليد بخطبة أخذت ثلث التقليد تقريبا، واستهلها بالحمد لما حل بالديار المصرية من تجديد، فمنذ البداية نجد الكاتب يشير لفضل المقلد فيوري لسيدنا يوسف \_ عليه السلام \_ ولا سيما أن المقلد اسمه يوسف، "فيشير إلى عزة جانبها بأجل عزيز" ففيه تلميح " للعزير " اللقب الذي كانت تحمله ملوك مصر في زمن "يوسف" عليه السلام، ويذكر ما اتصف به المقلد من سداد في الرأي، وإذا أشار بعد التحميدة الأولى للتجديد الذي حصل للديار، فإنه يعيد ذلك بعد التحميدة الأولى: " نحمده على أن أغاث الدولة القاهرة،

(١) ابن فضل الله العمري: التعريف، ص ١١٢

(٢) القلقشندي صبح الأعشى، ج ١١، ص ١٠٥

(٣) محمود رزق سليم: عصر السلاطين المماليك، ق ٢، ج ١ ص ١٣٢

(٤) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ١١، ص ١٥٣

بمن أخصب به بعد الامحال ، ربعها و طال بطوله بعد قصور فرعها ، وحسن  
في المناظر بحسن يأتيه لذي التأمل ينعها" (١) فهي مقارنة خفية ، يعرضها  
الكاتب حول حال الديار ، قبل وبعد تعيين المقلد .

وينتقل من الحمد إلى التشهد ، لينساق في التمهيد للوظيفة المقلدة ،  
فيربطها بمنطلقها الديني ، إذ أنها من تشريع الله ، وإذا كانت الحياة تسير بين  
السيف والقلم ، فالمشورة أساسها ، وهما لا يخرجان عن طوعها في حال  
الاختلاف والاتفاق ، ويختتم هذه الخطبة بالصلاة على النبي عليه الصلاة  
والسلام .

ويبدأ القسم الثاني من التقليد ويفتحة بالبعدية " أما بعد " ثم يأتي دور  
الكاتب في تفخيم أمر الوظيفة وعلو رتبته . وقد استطاع الكاتب أن يتسلل  
لذلك من خلال حديثه عن قواعد المملكة ، ورأى أنها التي تستند عليها  
ودعائمها التي بها يشتد بنيانها ، ومهما اتسعت المباني ، فإن القلقشندي يرجعها  
إلى النسقين السابقين في الخطبة ، وهما السيف والقلم . فيجعلهما القطبين  
اللذين بهما تدبر شؤون المملكة في الاتفاق ، ويعاد إليهما عند التخاصم ، فهما  
حكمان منصبان ومن خلال هذا التعظيم ، والتبجيل للسيف والقلم من الكاتب ،  
يجعل المتلقي يتساءل ، ويبحث عن الوظيفة التي سيتقلدها المحكم بينهما ، إلا  
أنه يزداد تلهفا ، عندما يجد الكاتب وقد جعلهما يعودان لأمر أكبر ، هو (إلم)

(١) المصدر السابق ، ج ١١ ، ص ١٥٣



يرتدان إليه ، انه الرأي بمكانة النجم الذي يهتدي به الضائع و المقدم على الشجاعة ، لذا فهو المقدم عند الملوك المبجل المعظم لديهم ، ويبلغ من علو المكانة أنه يقدم على الولد و الوالد " ولا يؤثرون على معاضدته عضداً و لا ساعداً إن أشار برأي تمسك الملك منه بالحبل المتين ، أو محضه كلام نصح قال : ﴿ إنك اليوم لدينا مكين أمين ﴾<sup>(١)</sup> ولما كانت الإشارة تعتمد على الرأي فقد استطاع الكاتب ببراعته أن يفخم أمرها ، ويرفع مكانتها دون ذكرها مباشرة ، بل اعتمد في ذلك على تفخيم مصدرها ، الرأي الذي هو مرادها الذي منه تستمد قوتها .

وما أن اطمأن الكاتب أنه وافى الوظيفة حقها و " ذكر ما يسنح من حال الولاية " <sup>(٢)</sup> حتى انعطف إلى المقلد ليبدأ بالقباه و يأتي إلى آخرها ليتلو ، ذلك باسمه وينسبه إلى دولة عصره ( الناصري ) ويأخذ في وصفه بإسهاب ، فهو من حنكته التجارب وخبر الأمور ، وهو صاحب رأي صائب ، وله فكر وقريحة ، تأتي على البديهة بالعجائب ، وأحسن التدبير في سياسة العساكر ولما كان قد تسلم قبل هذه الوظيفة وظيفه الاستدارية <sup>(٣)</sup> وهي قبض مال السلطان ، والتصرف فيه ، فيورد الكاتب من صفاته حسن التصرف في المال دون تقنير ، حتى جمع القلوب حوله وهو ما لم يتأت لمن قبله ، ويبالغ الكاتب في وصفه ، حتى جعله ممن " أتى من خوارق العادات في التنفيذ بما لم يلحقه فيه لاحق " <sup>(٤)</sup> وأضاف الكاتب إلى مل

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١ ، ص ١٥٤

(٢) العمري : التعريف بالمصطلح الشريف ، ص ١١٥  
(٣) القلقشندي صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٥٧

(٤) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٥٥

تقدم ، أن المقلد قد جمع مع طاعة الله رضا ملكه ، ومن هنا أظهر لنا الكاتب تلك الصفات التي ارتأها السلطان بالمقلد ، حتى شبهه بسيدنا يوسف \_ عليه السلام ، في قواه تعالى: ﴿ اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم ﴾ (١).

وبهذه الطريقة سوغ اختياره لهذه الرتبة السنية " فلذلك رسم بأمر الشريف العالي ، المولوي ، السلطاني ، الملكي ، الناصري الزيني \_ لا زال يجمع لأوليائه شمل المعالي ، ويرقي أصفياه في درجات العز على مر الأيام و الليالي \_ أن تفضل إلى المشار إليه " الإشارة الشريفة التي هي أسمى المقامات و أعلاها " (٢) .

وينتقل الكاتب إلى القسم الأخير من التقاليد ، وهو الوصايا ، وتكون أولها دعوته للمقلد بالقبول ، إذ لا تكون الوظيفة قائمة دون موافقته عليها ، ويوصيه بتقديم تقوى الله في كل أموره ؛ ما ظهر منها وما بطن ، ونلاحظ أن الكاتب قد أقتصر في " الوصايا على أهم الجمليات ويعتذر في الاختصار بما يعرف من فضله ، ويعلم من علمه ، ويوثق به من تجربته " (٣) . وهذا الاختصار يدل على جلالة قدر المقلد ، وعظم أمره وارتفاع مكانته ، فيرى الكاتب أن الوصايا الكثيرة تستخرج دررها من بحرهِ ، وغررها تؤخذ من

(١) القرآن الكريم : سورة:يوسف آية:٥٥

(٢) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١ ، ص ١٥٥

(٣) العمري : التعريف ، ص ١١٧

آرائه السابقة في شتى الأمور .

ثم يلي هذه الوصايا وإيضاح سبب اختصارها ، بالدعاء ويدعو له دعوتين ؛ الأولى : بإدامة النعمة على المولى ، والثانية بأن يتولاه الله بعنايته .  
ثم قال بعد ذلك : " والاعتماد على الخط الشريف أعلاه الله تعالى ، أعلاه إن شاء الله تعالى " (١) ومما يلحظه المستقري للتقاليد ، أن الكاتب لم يخرج في صياغته وبنيته للتقاليد ، عمّا كان عليه كتاب عصره ، وإن كان موضوعه جديداً ، ولعلنا نلاحظ خروجه على منهجية ابن فضل العمري في كتابة التقاليد ، فمنذ البداية لاحظنا أن الخطبة قد استغرقت صفحة من أصل ثلاث صفحات استغرقتها التقليد ، أي ثلث التقليد ، وهذا ما يخالف مقولة العمري ، التي قال فيها : " و الذي أراه اختصار مقدار التحميدة التي في الخطبة ، و الخطبة مطلقاً وإطالة ما بعد ذلك " (٢) ولعل القلقشندي قارب رؤية شهاب الدين محمود الحلبي الذي يرى أن : " التقاليد و التواقيع و المناشير و ما يتعلق بذلك فالأحسن فيها بساطة الكلام ، وتعتبر كثرته و قلته بحسب الرتب ... ويحسن أن يكون الكلام منقسماً في التقاليد على أربعة أقسام متقاربة في المقادير " (٣) في التقسيم، والباحث يلحظ خروجاً عليها في المضمون ، حيث يدعو الحلبي لعدم التعريض بالمعزول لأن ذلك " يوغر الصدور ويورث الضغائن في القلوب ،

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١ ، ص ١٥٦

(٢) العمري : التعريف ، ص ١١٧

(٣) الحلبي : حسن التوسل إلى صناعة التوسل ، ص ٣٦٨

ويدل على ضعف الآراء في اختيار الأول" (١) في حين نجد القلقشندي قد لمّح لما كانت عليه الحال قبل تولية المقلد الجديد ، إذ يقول : " نحمده على أن أغاث الدولة القاهرة ، بمن أخصب به بعد الامحال ربعا ، وطال بعد القصور فرعا (٢) " ، فهو يصف البلاد بالمحل رمز الخراب و العسر قبل عهد المقلد ، أي أن سابقه في هذه الوظيفة ، كان يسيء التصرف في الأمور ، ولا يحسن تدبيرها .

وربما كانت هذه الاختلافات البسيطة في تقسيم التقاليد وصياغة مضمونها ، يعود لكثرتها ، وتتوعها لتتوع الوظائف و الرتب التي تكتب فيها . ويذكر الحلبي أن في أيدي الناس من كتبه الشيء الكثير (٣) ، ويرى محمود رزق سليم أن التقاليد : " ربما كانت أكثر رسائل الديوان صدورا ، لتواتر حاجة الدولة إلى كبار الموظفين مع كثرة ما يتعرضون له من نقل أو عزل " (٤) ويشير عمر موسى باشا لأهمية التقاليد بقوله : " وهكذا نستطيع أن نتبين بدقة أهمية كتب التقاليد ، التي توضح الآداب السياسية و السلوك الأمثل ، الذي يجب أن يتمسك به الإنسان الفاضل " (٥) .

(١) المرجع السابق ، ص ٣٦٨

(٢) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١ ، ص ١٥٣

(٣) عمر موسى باشا : أدب الدول المتتابعة ، دار الفكر ، ط ١ ، ١٩٦٧ ، ص ٧٩٣ / وانظر الحلبي حسن التوصل ، ص ٣١٩

(٤) محمود رزق سليم : عصر السلاطين المماليك ق ١ ج ١ ، ص ١٣٢

(٥) عمر موسى باشا : أدب الدول المتتابعة ، ص ٧٩٦

وحول مقادير قطع الورق التي تكتب فيها التقاليد فيشير العمري إلى أنها تكتب في قطع الثلثين وقطع النصف<sup>(١)</sup> ، و يفصل القلقشندي في ذلك بتحديد قطع الثلثين لنواب السلطنة بمصر والشام مطلقاً ، وكذلك الوزير و المشير وكاتب السر ، وقاضي قضاة الشافعية و الحنفية بالديار المصرية ، أما النوع الثاني وهو قطع النصف ؛ فيكتب فيها لذوي التقاليد من أمراء العرب ، ويفصل فيها فيذكر أمير مكة المشرفة ، وأمير المدينة الشريفة ، وأمير آل فضل من عرب الشام . ويؤكد بأن التقاليد لا تكتب في غير هذين المقدارين من الورق<sup>(٢)</sup> . ويجعل القلقشندي قلم الثلث الثقيل للمقدار الأول ، أي قطع الثلثين أما قطع النصف فيرى أن قلمها قلم الثلث الخفيف<sup>(٣)</sup> ، في حين لا يفرق العمري نوع قلم الثلث المستخدم في كلا المقدارين ويكتفي بالقول " والتقاليد قطع الثلثين وقطع النصف بقلم الثلث الكبير " <sup>(٤)</sup> .

(١) العمري : التعريف ، ص ١١٩

(٢) القلقشندي ، ج ١١ ، ١٠٧

(٣) المصدر نفسه ، ج ١١ ، ١٠٧

(٤) العمري ، التعريف ، ص ١١٩

## التوقييع :-

جمع توقييع ، وتتعدد معانيه في اللغة منها : أن يصيب المطر بعض الأرض ويخطئ بعضها (١) ، ويأتي بمعنى الإصابة وخفة التأثير (٢) يقال دف هذه الناقة ، موقع إذا أثرت فيه حبال الأحمال \_ والدف الجنب \_ تأثيراً خفيفاً وحكى القيسي أن أعرابية قالت لخل لها حديثك ترويع وزيارتك توقييع (٣) ، ولعل هذا قريب في المعنى مما يورده صاحب أحكام صنعة الكلام حيث يقول : " وهذا النوع من الكلام ، مما عدلوا فيه عن التطويل والتكرار إلى الإيجاز والاختصار ، فمفه ذلك ما جاء بالكلمات ، ومنه ما يأتي بالكلمة الواحدة ، ومنه ما جاء بحرف واحد " (٤) .

ويورد القلقشندي معنى التوقييع في اصطلاح الأقدمين من الكتاب على أنه: " اسم لما يكتب في حواشي القصص لخط الخليفة ، أو الوزير في الزمن المتقدم " (٥) ولعل ذلك ينطبق على ما أورده صاحب " خاص الخاص " حيث يورد باباً كاملاً من كتابه في توقييع الأقدمين ، ونلاحظ أن التوقييع فيها لا يزيد على السطر الواحد في أغلب الأحيان ، وغالباً ما تكون حكماً أو أمثالا أو

(١) إبراهيم مصطفى وآخرون ، المعجم الوسيط ، مادة ( وقع ) .

(٢) ابن منظور ، المصري ، لسان العرب ، مادة ( وقع ) .

(٣) الصولي ، أبو بكر أدب الكتاب دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، بلا تاريخ ، ص ١٣٤

(٤) الكلاعي الأندلسي ، أبو القاسم محمد بن عبد الغفور " من أعلام القرن السادس الهجري " ، أحكام صنعة الكلام ، تحقيق

محمود رضوان الداية ، دار الثقافة ، بيروت لبنان ، بلا تاريخ ، ص ١٦٠ \_ ١٦١

(٥) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١١ ، ص ١١٤

مأخوذة من آية كريمة أو حديث شريف (١) ، وقد اتبع الأندلسيون هذه الطريقة في التوقيع حيث كانوا يميلون إلى: " الإيجاز والبساطة في التعبير ، والابتعاد عن التعقيد والتكلف " (٢) .

وبذا فالتوقيع ينظم على رد موجز يضع الأمور في نصابها الصحيح ، إذ يتوخى الإصابة من هذه الجهة ، كما يترك من الجهة الأخرى أثر عند صاحب الرسالة ، الموقع عليه سواء أكان هذا التأثير خفيفاً أم شديداً ، سلبياً أم إيجابياً ، فالمهم أن صاحب الرسالة يناله أثر جراء التوقيع ، مع إغضاء الطرف عن طبيعة هذا الأثر وتبعاته (٣) .

ويرى محمد الدروبي أن العصر العباسي عصر ازدهار التوقيعات العربية ، وأن من أهم العوامل التي ساعدت على انتشار هذا الضرب من ضروب الرسائل الديوانية ، هو ازدياد العنصر الفارسي في الدولة العباسية ، حيث أدخلوا تطويراً بارزاً في التوقيعات ، حيث كان لهم حضورٌ واضحٌ على مختلف مناحي الحياة ، ويرى أن أثرهم لم يقف عند المناحي الموضوعية في التوقيعات ، بل تعداه للمناحي الأسلوبية ، وتوسعوا في بسط المعاني ، وعدلوا عن الإيجاز إلى الإطناب فيها ، ويشير إلى أنهم نظموا لها هيئة إدارية خاصة سميت " ديوان التوقيع " يعمل فيه عدد من الكتاب المهرة ، يوقعون على الكتب

(١) الثعالبي ، عبد الملك بن محمد بن اسماعيل ، ت ٤٣٠ هـ ، خاص الخاص ، شرحه وعلق عليه مأمون بن محي الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ١٩٩٤ م ، الباب السادس ١٢٣ \_ ١٣٩

(٢) فايز عبد النبي القيسي ، أدب الرسائل في الأندلس ، دار بشير للنشر والتوزيع ، ط ١٩٨٩ ، ص ١٩٦

(٣) محمد الدروبي ، الرسائل الفنية في العصر العباسي ، ص ٦٨

الواردة على أبواب الخلفاء ، حتى أصبح التوقيع من المناصب الخطيرة لأرباب القلم . ويشير لمقولة علي بن خلف صاحب " مواد البيان " حيث اعتبر صاحب التوقيع " يد السلطان ولسانه " (١) .

وثمة مقاربة في ذلك لما نجده في العصر المملوكي ، حيث أصبح التوقيع علماً على نوع خاص ، مما يكتب في الولايات وغيرها (٢) ، وفي حديث القلقشندي على كتاب الدست ، والذين يجعلهم في الطبقة الأولى في ترتيبه لكتاب الديوان ، فهم الذين يشاركون كاتب السر مجلسه مع السلطان ، بدار العدل في المواكب ، ويقرأون القصص ، ويوقعون على القصص مثلما عليه كاتب السر ، ووسموا بكتاب الدست ، لجلوسهم في دست السلطان ، حيث يجلسون بين يديه فيرى القلقشندي أنه لرفعة مكانتهم هذه : " هم أحق كتاب ديوان الإنشاء باسم الموقعين ؛ لتوقيعهم على جوانب القصص بخلاف غيرهم ، وكانت هذه الرتبة لاحقة بشأو كتابة السر في الرفعة والرياسة " (٣) .

ويرى أنه لا يجوز إطلاق لقب الموقعين ، على الطبقة الثانية من كتاب الإنشاء ، وهم كتاب الدرج ، ذلك أنهم يكتبون ما يوقع به كتاب الدست ( الموقعون ) إذ أن المراد من التوقيع ، هو : الكتابة على جوانب القصص ونحوها (٤) .

(١) علي بن خلف الكاتب : مواد البيان ، تحقيق : حسين عبداللطيف ، منشورات جامعة الفتح ، طرابلس ، ١٩٨٢ ، ص ٧٤

(٢) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١١ ، ص ١١٤

(٣) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٣٧

(٤) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٣٨



وقد تكتب التواقيع على نموذج التفاويض فيقال فيها : " أن يفوض " وقد يقال : " أن يترتب ، وأن يقدر " (١) .

ويلحقها صاحب " حسن التوسل إلى صناعة الترسل " بالتقاليد والمناشير فيما يتعلق في إنشائها ، ويفضل بسط الكلام فيها ، أما حول كثرة الكلام وقلته فيها ، فيسند ذلك للرتبة التي تكتب من أجلها (٢) .

وتعنون التواقيع بقولهم : " توقيع شريف لفلان بكذا " وأما حول استفتاحها فلهم فيه طرائق كثيرة ، منها قولهم : " الحمد لله " أو " أما بعد ، حمد الله " وقد تستفتح بقول : " إن أولى ما كان كذا " أو يقول : " من حسنت طرائقه وحمدت خلائقه " (٣) .

ويرتب القلقشندي التواقيع في أربع طبقات ، الأولى : ما يفتح بخطبة مستهلة بحمد الله ، ويجعلها في رتبتين ، أولاهما : ما يكتب بقطع النصف بقلم الثلث الخفيف مثل ذلك ما يكتب به لأرباب الأقلام " توقيع شريف بأن يفوض للمجلس العالي القاضوي الكبير ... " أما المرتبة الثانية : ما يكتب في قطع الثلث بقلم التوقيعات ، وهو لمن رتبته السامية بالياء ، أما الطبقة الثانية من التواقيع ما يفتح " أما بعد حمد الله " وهو لمن رتبته السامية بغير ياء ، وهذه الطبقة على مرتبتين : الأولى : ما يكتب في قطع الثلث ، وقد قل استخدام هذا

(١) العمري : التعريف بالمصطلح الشريف ، ص ١١٦

(٢) الحلبي : حسن التوسل ، ص ٣٦٨

(٣) العمري : التعريف ، ص ١١٦

الضرب في عصر الكاتب ، والمرتبة الثانية من هذه الطبقة : هي ما يكتب في قطع العادة المنصوري ، وهو قليل الاستخدام . والطبقة الثالثة : من التواقيع ما يفتح اللفظ : " رسم بالأمر الشريف " وهي على مرتبتين ، لم يذكر الفلقشندي إلا واحدة منها ، وهي ما يكتب بقطع العادي المنصوري بقلم الرقاع ، ويكتب فيها لمن رتبته السامي بغير ياء ، ممن لم تبلغ رتبته قطع الثلث ، والطبقة الأخيرة من التواقيع ، لأصغر ما يكون في الولايات ، من نظر وقف صغير ، ونحو ذلك : وهي على ضربين ، الأول ما يكتب على مثال أوراق الطريق ، من ذلك ما يكتب في أعلى الدرج : " توقيع شريف بأن يستقر فلان بكذا " والضرب الثاني : ما يكتب على ظهور القصص : وهو أن تلتصق القصة ، التي شملها جواب كاتب التوقيع ، على وصلين من ورق العادة الصغير (١) .

ومما يميز رتب التواقيع ، كذلك الدعاء في آخرها ، حيث أن من استصغر من المولين لا يدعى له في آخر التوقيع (٢) ، أما في خواتم التواقيع وعلى اختلافها فلا يقال : " وسبيل كل واقف عليه " بل يقال : " فليعتمد ما رسم به فيه ، بعد الخط الشريف أعلاه " (٣) .

ويشير العمري ، لأرباب الوظائف التي تكتب لهم التواقيع ، فيقول : " وهي لعامة أرباب الوظائف جليلها وحقيرها ، وكبيرها وصغيرها ، حتى

(١) الفلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١١ ، ص ١١٥ - ١٢٦

(٢) العمري : التعريف بالمصطلح الشريف ، ص ١١٦

(٣) المرجع السابق ، ص ١١٦

النواب اللاحقين بشأو الكبار ، فمن دونهم ، وعندني في ذلك نظر ، والذي أرى أن يكون لمن لحق بشأو الكبار ، فهم تفاويض وللصغار مراسيم ، ولأدنى الطبقات فهم تواقيع ، لميزة السيوف على الأقالم ، وذلك تجري نسبة التواقيع على ما يكتب في المسامحات والإطلاقات " (١) .

ويلاحظ الدارس لهذا النوع من الرسائل الديوانية ؛ مدى التنوع في الموضوعات ، التي كتبت فيها التواقيع في العصر المملوكي ، مما يفيد الثراء في المضامين ، التي تنوعت تنوعاً كبيراً ، غدا يوازي ما امتازت به غيرها من الرسائل الديوانية ، إذ أن التواقيع لم تعد مقتصرة على الردود التي ترفع للسلطين والخفاء بل شاركت التقاليد في كتابة العهود ، والتعيينات في شتى الوظائف ، وقد كتبت هذه التوقيعات من قبل الموقعين على لسان الخليفة .

وقد ظهرت مساهمات القلقشندي واضحة في هذا الضرب من الرسائل الديوانية ، ولعل ذلك عائد لطبيعة عمله في ديوان الإنشاء ، إذ كان أحد كتاب الدست ، الذين أشار إليهم بقوله إنهم من يستحقون اسم الموقعين ، من بين كتاب الديوان الآخرين ، وندرس له توقيعا بالتدريس في المدرسة الصلاحية بمصر ، المختصة بالمالكية والتي عرفت باسم القمحية ، أنشأ للقاضي جمال الدين الأقفهي .

(١) العمري : التعريف بالمصطلح الشريف ، ص ١١٢

ويبدأ هذا التوقيع بخطبة استهلها بالحمد ، وبما أن موضوع التوقيع  
التدريس ، فيشرع الكاتب بالتمهيد له منذ بداية الخطبة . فالحمدُ يشيرُ لنعمةٍ قد  
حلت ، دعت الكاتب للحمد عليها ، فجاء الحمد على التمييز بين العلماء  
بسوابق الأفكار . وتعمير المعاهد برأس الفرسان من العلماء ، وخصص  
للمدرسة الصلاحية ( بحبر ) امتاز على غيره بمآثر يأخذها عنه أهل الدين ،  
وتأتي التحميدة الثانية بتخصيص دافعها ، وهو ما امتاز به هذا العالم من  
الجوهر الأصيل في العلم ، فكان اختياره دليل إصابة وتوفيق . وبعد  
التحميدتين تكون الشهادة ، التي منها ينطلق في المديح لأهل العلم عامة ،  
ليربطهم بحمل الشريعة ، ويشير لكونهم ورثة الأنبياء . وإن سيدنا محمد عبده  
ورسوله أفضل نبي ، عِلْمَ و عِلْمَ ... وصحبه الذين عنوا بتفسير كتاب الله  
تعالى ، فأدركوا دقيق معانيه ، واهتموا بالحديث رواية ودراية ، فجازوا  
بتأسيس فقه الدين وإقامة مبانيه ( ١ ) .

فإضافة لكون الموضوع المتحدث عنه ذا علاقة بالعلم والدين ، فإن  
الكاتب يعمد لهذا اللبوس الديني ، من جعل المدرسين ورثة الأنبياء ، والإشارة  
للنبي كمعلم ، والصحابة كدارسين ومدرسين للفقهاء ، لتكوين هالة عظيمة  
ومكانة رفيعة لمهنة التدريس وليغرس في الناس حب العلم والعلماء . فنجد  
يدخل بعد الانتهاء من الخطبة للبعدية ( وبعد ) ، ليصب في الدائرة نفسها ،

(١) الفلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١١ ، ص ، ٢٣٧

فيظهر ما للنفوس من تعلق وللملوك ومن سلف من أثر ، في بناء المدارس وإقامتها ، ويجعل العلم هو حجر الأساس في هذه المدارس ، فهو المضمار الذي تستنبق فيه فرسان المشايخ ، وإليه يرد طلاب العلم ، ويخص من ذلك المدارس الأيوبية ، التي بدأ بإنشائها صلاح الدين ، صاحب الفضل والأفضال عليها ، ويحدد في هذا التخصص ، المدرسة القمحية ؛ الآخذة بالخير والمتخصصة بالمذهب المالكي ، و كان يدفع الأجر فيها قمحاً ، وقد رتب فيها أربعة دروس ، وكانت الأركان التي تقوم عليها ، فكان لا بد لها إذا من عالم يقوم بها . إذ جعل الكاتب من الخطبة وما بعدها ، سبيلاً يدفع بالمتلقي لانتظار أوصاف ومناقب هذا العالم ، الذي هيئت له كل الظروف السابقة ، حتى ليكاد المتلقي يسأل من يكون ، عند ذلك يأتي الكاتب بألقابه ونعوته ، والتي تربو على الثلاثين نعماً ولقباً ، يكون أولها المجلس العالي ، يلي ذلك بوصفه بالقاضي والشيخ الكبير العالم الفاضل ، حتى أنه البليغ المتفرد ، والقُدوة والحجة ، والأوحد وشرف العلماء العالمين ، وهو للمدرسين فخرهم ، وللمتكلمين لسانهم ، وللمناظرين أمامهم ، وفوق ذلك فهو خاصة الملوك ، وولي أمير المؤمنين ، فيقدم اسمه أبو محمد ( عبد الله الأفقي ) وينسبه إلى مذهبه الشافعي ، ويواصل الحديث عن أفضاله ، ومكانته التي تبوأها بين علماء عصره ، حتى حملت عنه في مناحي البلاد وأفاقها ، ويقرب الصورة للمتلقي ، لتصور عملي إذ يشعرونا الكاتب أنه ما انطلق من هذا المنطلق إلا

لتجربته للمعين ، إذ أثبت جدارة في كل منصب سابق تقلده ، وهو من يطلب منه التمهيد في المجالس ، في تقدم هذه الأوصاف والصفات ، ثم يخبر أن كل ما ذكر كان على سبيل الإجمال لا التفصيل ، مما يدل على مدى تمتع المعين بعظيم الصفات وكريمها (١) . وعلى لسان السلطان يأتي التتويج بصاحب التوقيع ( المعين ) : " اقتضى حسن الرأي الشريف أن ننوّه بذكره ، ونقدمه على غيره ، فمن حاول ذلك امتنع عليه " (٢) .

هذا التمهيد والتقديم الأخير لإصدار التعيين في الوظيفة ، يتبع ذلك الجزء الثالث من التوقيع حيث صدور القرار ، فلذلك رسم بالأمر الشريف العالي المولوي السلطاني ، الملكي ، الناصري ، الزيني ... (٣) فيكون التثاء على السلطان بما يراه الكاتب من ألقابه المعروفة ، وإن هذا السلطان لم يكن تعيينه عن هوى في نفسه ، بل في سبيل احقاق الحق ، وإيثاراً للمصلحة العامة للعملية التعليمية ، فيكون القرار أن يستقر المجلس العالي المشار إليه ، في تدريس المدرسة الصلاحية بمصر المحروسة ، المعروفة بالقمحية عوضاً عن فلان الفلاني على عادة من تقدمه (٤) ، فنراه يحدد المدرسة ( الصلاحية المعروفة بالقمحية ) ويذكر اسم المقال من الوظيفة .

(١) الفلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١١ ، ص ٢٣٨

(٢) المصدر نفسه ، ج ١١ ، ص ٢٣٨

(٣) المصدر نفسه ، ج ١١ ، ص ٢٣٨

(٤) المصدر نفسه ، ج ١١ ، ص ٢٣٨ - ٢٣٩

أما الجزء الرابع من التوقيع ، فيشمل الوصايا : وأولها ، أن يتقبل المعين القرار بالقبول والموافقة ، ويرى الكاتب أن هذه الوظيفة حق للمعين لما تقدم له من صفات . أما الوصية الرئيسة تقوى الله ، فهي خير زاد له ، ويكتفي الكاتب بذلك ، ويعتذر عن الاختصار في أن مكانة المعين ، وعلمه تغنيه عن الوصايا ، بل أن الوصايا تؤخذ عنه .

ويلي ذلك بالدعاء له ، ويكون ذلك بدعوتين : أولاهما ، أن يبلغه من المقاصد غايتها ، والثانية ، أن يرقيه أعلى الرتب ، ويضيف الكاتب لذلك " بقدر " التحقيق بقوله : " وقد فعل " (١) ، إذ يعتبر أن وظيفة التدريس بالمدرسة الصلاحية ( القمحية ) أعلى الرتب .

ويختم التوقيع بقوله : " الاعتماد على الخط الشريف أعلاه الله تعالى أعلاه " (٢) وهي العبارة الرسمية التي تختتم بها التواقيع ، دون ذكر قولهم : " وسبيل كل واقف عليه كما في التقاليد " وهذه من الفروق بين التقاليد والتواقيع ، ويعتبر هذا الخط حجة في ذلك (٣) .

ونتناول توقيعاً آخرًا للقلقشندي أنشأه للشيخ شهاب الدين ابن حاجي ، بالخطاب في الجامع الأموي ، ولا تقل إجابة القلقشندي فيه عن إجابته بالتوقيع السابق ، فنهج نهجه في الشكل والأسلوب ، وما غير إلا في المضامين لتناسب

---

(١) المصدر السابق ، ج ١١ ، ص ٢٣٩  
(٢) المصدر السابق نفسه ، ج ١١ ، ص ٢٣٩  
(٣) المصدر السابق نفسه ، ج ١١ ، ص ١١٤

موضوع التوقيع ، يبتدىء التوقيع بخطبة يستهلها بالحمد ، والذي يتكرر مرتين ، فتأتي هذه الخطبة كتمهيدٍ أولي للموضوع ، فيعرض المنابر والخطباء ، ولدور الخطابة في تنبيه القلوب الغافلة والخواطر النائمة ، ثم تكون البعديّة برسم ( وبعد ) ، ومع الاقتراب من الموضوع الرئيس ، ينصب التركيز على المساجد وأهميتها في حياة الأمة ليتسلل في ذلك لمكانة المساجد ، وأعظمها مكانة وخطراً ، فيعلي من مكانة المسجد المقصود في التوقيع ، ويجعله بعد المساجد الثلاثة ، التي تشد إليها الرحال ، ويظهر مدى اهتمام الملوك والسلاطين به ، ومدى عنايتهم باختيار خطيبه من بين الخطباء ، فالخطابة أخطر وظيفة من الوظائف التي يحتاجها المسجد ، وليس أدل على ذلك من أن الرسول ﷺ \_ كان متصدياً لها ، وأن الخلفاء الراشدين من بعده باشروها بأنفسهم .

وما أن يطمئن الكاتب لاستحواذ أهمية هذه الوظيفة على نفس المتلقي ، لما وصفها به من تفخيم ، ويشعر أن المتلقي قد شنّف سمعه ، لمعرفة من سيتبوؤها ، حتى يشرع بوصف الخطيب المعين ، ويأتي على ألقابه ونعوته ، فيجعلها تشارف على الخمسين لقباً واجتماع هذه الألقاب به تقدمه كخطيب مثال ، أنموذج في عصره ، فهو عالم وقاض وشيخ وقُدوة ، وورع وبليغ وفريد ومفيد ، بل هو قُدوة البلغاء ، وحجة الأمة ولسان المناظرين ، وهو



شمس الشريعة ، وفوق ذلك مؤيد الملة فليس ميالاً لحزب أو فرقة ، فلذلك كان ولي أمير المؤمنين أبي العباس أحمد .

ومن اجتمعت فيه هذه الصفات ليس فقط يستحق هذه الوظيفة ، بل وكما لاحظ الباحث في معظم كتابات القلقشندي ، أن الوظيفة هي التي تسعى إليه ، وتخطبه لنفسها فهو الكفو الكامل ؛ الذي أنساها من سبقه إليها فمالت إليه (١)

ويواصل الكاتب فيضه على المعين بالوان الثناء والمديح حتى تثق نفسه أن منلقه قد بارك خطبة الوظيفة للمعين وأنه أحق بها ، ويأتي بعبارة التعيين " اقتضى حسن الرأي الشريف ، من المنابر على علي درجها " (٢) ثم يلي ذلك بعد إظهار تقديمه على غيره عبارة " فذلك رسم بالأمر الشريف العالي المولوي السلطاني ، الملكي المنصوري المعز ... أن يفوض إلى المجلس العالي المشار إليه ، خطابة الجامع المذكور ، بانفراده على أتم القواعد وأكملها ، وأحسن العوائد وأجملها " (٣) .

وعلى الرغم من تلك الأوصاف والنعوت ، التي أصبغها الكاتب على المعين ، حتى جعل منه أنموذجاً ، ومثال المتفرد ؛ إلا أن ذلك لا يمنعه من السير ، على منوال هذا الضرب من المكاتبات في عصره ، فيضم توقيعه

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١٢ ، ص ٧٦

(٢) المصدر نفسه ، ج ١٢ ، ص ٧٧

(٣) المصدر نفسه ، ج ١٢ ، ص ٧٧

مجموعه من الوصايا ، نجدها في صميم موضوع التوقيع ، يوصيه بحسن اختيار المواعظ التي تتشرح لها القلوب ، ويأتي بالزواج ، وأن يكون صادقاً بذلك من قلبه وأن يتخير لكل مقام مقال ، فيذكر الناس بما يناسب حالهم ، ويتخير الزمن المناسب لكل موعظة من المواعظ ، ولعل هذه الوصايا مما يرتبط بالخطابة وعوامل إنجاحها ، ثم يعتذر الكاتب عن كثرة الوصايا ، لأنه يرى في العلم والشريعة ، والتي امتلك أزمته المعين ما يفي عن الاستزادة ، إلا أن الكاتب لا ينسى أن يوصي بتقوى الله ، فهي ملاك الأمور كلها ، وإن كان يرى أن عند المعين من تقوى الله ما يكفي ، ويختم توقيعه بدعوة للمعين ، يدعو فيها الله أن يرقيه إلى أرفع الذرى ، ويرفع على الجوزاء مجلسه (١) .

على أن الباحث وجد تواقع أخرى للكاتب في التدريس (٢) والقضاء (٣) ومنها ما سقط من الكاتب ولم يثبت في كتابه (٤) ، ولعل استعراض هذين التوقيعين ، يعطى تحوراً حول هذا الفن الديواني عند الكاتب ، بشكل خاص والعصر المملوكي بشكل عام ، وهي على أهميتها لم تُدرس بشكل خاص ، وما زالت موزعة في مضانها ، والتي لم يحقق بعضها ، ولعلنا ندرك الأهمية التي امتازت بها التواقع حيث : " كانت تجهز إلى البلاد كلها ، وتحمل منها نسخ كثيرة توزع فيها ، وهي صورة طبق الأصل عن التوقيع الأصلي ،

(١) المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ٧٧

(٢) المصدر السابق نفسه ، ج ١١ ، ص ٢٣٦ ، ٢٣٩ ، ٢٤١

(٣) المصدر السابق نفسه ، ج ١٢ ، ص ٥٠

(٤) المصدر السابق نفسه ، ج ١١ ، ص ٢٥٠

ويلاحظ أنها توضح لنا بعض مظاهر الحياة الهامة ، وهي بنصوصها تسجل لنا مظهراً من مظاهر أدب هذا العصر ، وعلاقته الوثيقة بالحياة السياسية ، بيد أنها تبدو بعيدة الصلة عن الحياة النفسية والعاطفية بعض البعد ، فهي ذات طابع رسمي وظيفي أكثر منها ذاتية أو تأملية ، بيد أننا يجب ألا نفقدها أهميتها ، إذ أننا نعرف منها صورة الحاكم المثالي ، كما يفترض أن تكون ، وصورة القاضي النزيه العادل ، وصورة الخطيب المفوه (١) .

---

(١) عمر موسى باشا ، أدب الدول المتتابعة ، ص ٧٩٦

## التصاوير:

التصاوير ، جمع تصدير ، ونقول : تصدّر فلان ؛ أي جلس في صدر المجلس وتقدم قومه (١) ، أما في الاصطلاح ، فهو : الجلوس في صدر المجلس ، بجامع أو نحوه ، على أنه يجلس متحدث أمامه على كرسي كأنه يقرأ عليه ، يبدأ حديثه بالتفسير ، ثم يتبع ذلك بالرقائق والوعظيات ، حتى ينهي كلامه فيسكت ، ويأتي دور المتصدر ، فيأخذ في الكلام ، على معنى تفسير الآية التي يقع عليها الكلام ، فيتوسع في ذلك ، ويبسط في الشرح ليسمح للحضور فهمه ببسر وسهولة ، وربما أفرد التصدير عن المتكلم على الكرسي (٢) .

ويعتبر القلقشندي التصاوير نوعاً من التواقيع ، ويجعلها في الوظيفة الثامنة ، وهي من الصنف الثالث ، الذي يفتتح بـ " رسم بالأمر الشريف " وهي أدنى التواقيع رتبة . وتكون في قطع العادة الصغير ، وربما كتب بها في قطع العادة المنصوري (٣) .

ولأبي العباس القلقشندي مساهمة في هذا المضمار ، من ذلك تصدير أنشأه للشيخ شهاب الدين " أحمد الأنصاري " الشهير بـ " الشاب التائب " بالجامع الأزهر . يفتتح هذا التصدير بالعبارة المخصصة لذلك ، الأنفة

(١) إبراهيم مصطفى وآخرون : المعجم الوسيط ، مادة صدر

(٢) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١١ ، ص ٢٥١

(٣) المصدر نفسه ، ج ١١ ، ص ١٢٩

الذكر " رسم بالأمر الشريف " ويتبع ذلك بما يؤكد نعم السلطان التي تشتمل المجالس بخيرها ، ولعل أعظم هذه النعم ، ما يختصها به من تولية صدر جدير بالصدارة ، يستحق هذه الرتبة من بين علماء التفسير ، الذي إذا دقق لم يفهم شرحه إلا عنه ، حتى إذا ما بسط كلامه أصبح تفسيراً للتفسير .

وفي تدرجه هذا يعلن عن المولى بذكر لقبه " الشاب التائب " ، ولعله اختار ذكر اللقب دون الاسم ، لما لهذا اللقب من علاقة دينية ، فهو يشتق من التوبة والنزوح عن الذنوب ، حتى إذا ما غدا شيخاً ؛ كان صالحاً فإنها أكرم النعوت على كل تقدير ، وهنا يحدد الوظيفة " أن يستمر المجلس السامي أدام - الله تعالى رفعتة - في كذا وكذا " <sup>(١)</sup> ويلحظ الباحث أن هذا التعيين قد صاحبه دعاء " أدام الله تعالى رفعتة " الذي منه يخرج الكاتب لأوصاف المولى ، ولا يخفى سخاء الكاتب في نعوته ، ومديحه له ، فهو الإمام الذي لا تقارن علومه مع غيره ، والعلامة الذي لا تدرك مداركه وآفاقه ، والفارس الذي يعترف له بالفوز مناظرة ، حتى جعله آية في التفسير .

وعقد حقيقة التفسير الذي لا يفسخ ، فجلب الكاتب هذه الأوصاف ، لغاية تبرير اختيار المعين ، ويبين للمتلقي أن هذا التعيين لم يكن محض المصادفة ، ولا عن هوى في نفس السلطان ، بل لما يتصف به من صفات ولأنه : " الماهر الذي استحق بمهارته التصدير ، والجامع لفنونه المتنوعة

(١) المصدر السابق ، ج ١١ ، ص ٢٥١

جمع سلامة لا جمع تكسير " (١) ويواصل الكاتب في مدحه ، حتى يصل القسم الذي يليه من التصدير وهو الوصايا ، وأولى الوصايا هي قبول العمل الذي أوكل إليه ، ثم يتابع الوصايا ، وهي تتعلق بالجلوس في صدر المجلس ، وتفسير القرآن الكريم ، وتوضيح معانيه ، ويوصيه بالإحسان إلى المشايخ الذين يجالسونه ، ويحض الشباب على التوبة والإقلاع عن المعاصي . ثم يتبع ذلك للدعاء للمعين برفعة المكان، ويختم التصدير بالمشيئة "أن شاء الله تعالى".

وهناك تصدير آخر أنشأه أبو العباس القلقشندي ، لقاضي القضاة " بدر الدين محمد " ابن قاضي القضاة بهاء الدين أبي البقاء ، وولده جلال الدين محمد بإعادة تصديرين كانا باسميهما ، بالجامع الأموي بدمشق ، أحدهما انتقل إليهما عن سلفهما والثاني بنزول ، وخرج عنهما عند استيلاء " تنم " نائب الشام على الشام في سنة اثنتين وثمانمائة ، ثم أعيد إليهما في شوال من السنة المذكورة وكتب في قطع الثلث (٢) .

وقد سار في هذا التصدير سبيل التصدير السابق ، فافتتحه بخطبة استهلها بتحميدة ، وورى بين (بدر الدين) لقب قاضي القضاة المعين ، والبدر أحد مراحل القمر ، جاريا في ذلك ، على سبيل مدحه والإعلاء من شأن مكانته ، وتأتي التحميدة الثانية ، في الخطبة في منهج مختلف عن التصدير السابق ، حيث تشعرنا بأن ثمة أمر مختلف ، فهناك أيدي مغتصبة وأيام جائرة

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١١ ، ص ٢٥٢

(٢) المصدر نفسه ، ج ١٢ ، ص ٨١

جاهلة ، فحقوق معادة مقرة وهذا كله تمهيد للموضوع الرئيس ، إذ أن التصدير بالجامع الأموي كان للمعينين ثانية ، المعادين لمكانتهما : " بدر الدين وولده جلال الدين " ولذلك نجد الكاتب ما أن يتخلص من الخطبة ، ويشير بالبعديّة ، يدخل في الموضوع : " فان أولى من رعيت له الحقوق القديمة ، وحفظت له مساعيه الكريمة ، وخلدت عليه النعم التي حق لها أن تكون بأهلها مقيمة ...." (١) فيتناول عقب ذلك المعين مادحا بسخاء ، ثم يدخل في التمهيد مباشرة بقرار التعيين فيأتي على نعوت الأدب فتكون كثرة ملفتة للنظر ، حتى يصل اسمه أبو عبد الله محمد ، ويتبعها بعبارات مدحية ، يخلص منها لولده ، ليصبغ عليه ما شاء من الألقاب والنعوت ، ليعرض بعد ذلك القضية الواقعة ، ويفصل بها منذ أن كانت وكيف وصلت لهما ، وخروجها عنهما : " واتفق أن خرج عنهما ما كان باسميهما من وظيفتي تصدير بالجامع الأموي ، المعمور بذكر الله تعالى بدمشق المحروسة ، المنتقلة إحداهما إليهما عن سلفهما الصالح قداما ، والصالرة الأخرى إليهما بطريق شرعي معتبر ...." (٢).

وهنا لم يتبق إلا قرار التعيين ، الذي يأتي بصيغة : " رسم بالأمر الشريف - لازال لذوي البيوت حافظا ، وعلى الإحسان لأهل العلم الشريف على ممر الزمان محافظا ، أن يعاد ذلك إليهما ويوالي مزيد الإحسان

(١) المصدر السابق ، ج ١٢ ، ٨١  
(٢) المصدر السابق نفسه ، ج ١٢ ، ص ٨٣

عليهما " (١) ويلي القرار بالوصايا التي لا يطيل بها ، معتذرا عن ذلك  
لمكانتهما في هذا المجال ، وخبرتهما فيه فيقول : " والوصايا وإن كثرت  
فمنهما تؤخذ ، ومنهما تستفاد " (٢) ويدعو لهما بدعوتين ، تليهما العبارة  
الرسمية " والاعتماد على ذلك بالخط الشريف ، أعلاه الله تعالى ، أعلاه حجة  
بمقتضاه " ويختمه بالمشيئة .

---

(١) المصدر السابق نفسه : ج ١٢ ، ص ٨٣

(٢) المصدر السابق نفسه ، ج ١٠ ، ص ٨٤



## الإطلاقات :

الإطلاقات ، جمع إطلاق : وهو ما يخصصه الملك أو السلطان ، من مال أو أرزاق لمجموعة من الناس ، أو لشخص بعينه ، إما تقرير لما قرر غيره من الملوك السابقة ، وإما ابتداء لتقرير ما لم يكن مقررا قبل ، وإما زيادة على ما هو مقرر (١) .

وهي على طرفين : الأول ، ما يكتب عن الأبواب السلطانية ، والثاني : ما يكتب عن النواب ، وقد سقط الطرف الثاني من كتاب الفلقشندي ، ونجد بعض الإشارات لمثله في كتاب " التعريف " مثل قوله : فأما ما هو عن النواب في الإطلاقات ، فلا يكتب فيه إلا العالي خاصة مجردة عن الشريف (٢) وقوله عن الاستفتاح بالبسملة ، وهو الأهم ومنها ما لا يستفتح بها ، وذلك لما هو أدنى ، كأوراق الجواز في الطريق ، ويكتب عن النواب ، مثل هذا في الإطلاقات من الخزنة العالية ، والأمراء والاصطبلات ، وخزائن السلاح وغير ذلك (٣) .

فأما الطرف الأول ، وهو ما يكتب عن الأبواب السلطانية ، فهو على ثلاثة مراتب ، المرتبة الأولى : ما يكتب في قطع الثلث مفتتحا بالحمد لله ، وهو أعلاها (٤) ويورد الفلقشندي منه نسخة عن إنشاء المقر الشهابي بن فضل الله

(١) المصدر السابق ، ج ١٣ ، ص ٤١

(٢) العمري : التعريف ، ص ١١٧

(٣) المرجع نفسه ، ص ١١٣

(٤) الفلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ١٣ ، ص ٤١

، باستقرار ما أطلقه السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، بالديار المصرية ،  
، للعمرين أعصاب أمير المؤمنين ، عمر بن الخطاب \_ رضي الله عنه \_  
كتبه في الدولة الناصرية محمد بن قلاوون (١) .

والمرتبة الثانية : ما يفتح بـ " أما بعد حمد الله " ويكن إما في قطع  
الثلاث أو في العادة المنصوري (٢) والمرتبة الثالثة في ما يفتح بـ " رسم  
بالأمر الشريف " ويكتب في قطع العادة .

وقد كتب القلقشندي في هذه الرتبة من الاطلاقات ، وأنشأ إطلاقاً لشرف  
الدين قاسم بمرتب على الفرنج القادمين لزيارة القدس ، يبدأ هذا الإطلاق  
بعبارة " رسم بالأمر الشريف - لازل " وتتلوها عبارات مدحية للسلطان ،  
تسير بالموضوع الذي يتضمنه الإطلاق ، فالسلطان يتسم بالعدل في توزيع مال  
الفيء ، ذلك الذي يؤخذ بغير حرب ، وفضله يصح على أهل الفضل ، وبعد  
هذه العبارات القصيرة يبرز القرار " أن يستقر لمجلس القاضي فلان الدين ،  
على فرنج الجرجان الواردين لزيارة قمامة بالقدس الشريف كذا وكذا " (٣) .

ويأتي على بيان الأسباب الداعية لهذا الإطلاق ، والدوافع المبررة لذلك  
، فيذكر صفات المطلق له باختصار ، ويذكر أن من الدوافع مجاورته للمسجد  
الأقصى فيذكر مزايا هذا المسجد ، إذ هو أولى القباتين ، وثالث الحرمين ،

(١) المصدر السابق ، ج ١٣ ، ص ٤١

(٢) المصدر السابق نفسه ، ج ١٣ ، ص ٤١

(٣) المصدر السابق نفسه ، ج ١٣ ، ص ٤٦

وهو أحد المساجد التي لا تشد الرحال إلا إليها ، وكذلك لمجاورته القبّة المعظمة والأماكن المقدسة والآثار الشريفة .

ويظهر دافعا آخر وراء فيض السلطان على القاضي شرف الدين قاسم ، بهذا الإطلاق ، ذلك لقيام القاضي بالدعاء لدولة السلطان بالقاهرة ، والابتهاال إلى الله بدوام أيامه الزاهرة (١) .

وينتقل الكاتب إلى الوصايا ، وتأتي الوصية الأولى " فليتناول هذا المعلوم متهنئا متيسرا ، وليرجح من كرنا الوافر فوق ذلك مظهرا " (٢) فتشعرنا بمدى اهتمام السلاطين بأولئك المجاورين للأماكن المقدسة ، إذ إن العبارة ( تناول ) فيها من اليسر والسهولة أكثر من ( يأخذ ) مثلا - ثم أنه \_السلطان\_ يرجو أن يكون هذا المعلوم مهينا ميسرا ، أي أن يأتي لصاحبه في بيته دون أدنى عناء ، وفوق ذلك يطلب منه ، أن ينتظر المزيد من الإنعام عليه بالخيرات ، فتأتي الوصية والطلب ، والواجب الذي يكلف فيه صاحب الإطلاق وهو " الدعاء " ونستشعر مدى سيطرة النزعة الدينية والأيمان ، بأثر الدعاء على الأعداء ، وعلى وجه الخصوص إذا ما كان منطلقا من الأماكن المقدسة . هذا بالنسبة للمكان أما الزمان فيختار الليل ، بل يصف الدعاء بأنه " سهام الليل التي لا تخطئ ، إنشاء الله تعالى الطغاة المتمردين " (٣) فيرى أن

(١) المصدر السابق نفسه ، ج ١٣ ، ص ٤٦

(٢) المصدر نفسه ، ج ١٣ ، ص ٤٦

(٣) المصدر نفسه ، ج ١٣ ، ص ٤٦

هذه السهام لا تقل خطراً على الأعداء ، من سهام المعانين في ساحه الوعى ،  
فبذلك استحق هذا السهم من الفيء حقه ، ثم يوصي الكاتب صاحب الإطلاق  
بأن يبقى على استقامة في الدين، وليتبرأ من سواه ويقابل إنعام السلطان بالشكر  
وتكون الخاتمة " والخط الشريف أعلاه " دون المشيئة أو " من وقف  
عليه " فهو تحديد لاستخدامه بالاطلاقات . ونلاحظ أن الكاتب استهل الإطلاق  
ب" رسم بالأمر الشريف " بدون استهلاله بالحمد ، كما أن الإطلاق قد خلا من  
الخطبة والبعدية ، ولكنه أبقى على الوصايا وأنه قدم من خلال الوصايا مفهوما  
خاصا للدعاء ، ولأثره على الأعداء ، وخصه بزمان ومكان محددين ، فجعل  
التأثير بالليل أعظم ، وأن انطلاقه من الأماكن المقدسة يعطيه قوة أكبر ،  
والإطلاق يخلو من الدعاء لصاحب الإطلاق بخلاف الكتابات الديوانية الأخرى  
ولعل ذلك عائد لطبيعة موضوعه ، إذ هو إنعام من السلطان لأهل الصلاح  
المقيمين في المساجد والأماكن المقدسة ، وإن طلب منه الدعاء في ذلك إلا ؛  
لصلاحه ولمجاورته للمساجد .

وهناك إطلاق آخر أنشأه القلقشندي باسم بهاء الدين على الفرنج

الجرجان ، الواردين إلى ثغر الرملة المحروسة (١) .

يفتتحه " رسم بالأمر الشريف - لزال "، ويلحظ المدارس براعة

القلقشندي في ولوجه إلى موضوع الإطلاق ، من خلال الصورة التي يقدمها

(١) المصدر السابق ، ج ١٣ ، ص ٤٧

لكرم السلطان ، بهذا الرسم ، إذ يصور المكارم التي تتوالى على الناس بالسحاب المتراكم ، بعضه فوق بعض ، حتى يكون مطرها فوق ما يجري في السيول وما تحمله الغمام ، ويشخص النول والعطاء ويجعل له فيء يشمل الناس بخيره ، كما يلجأ إلى التورية ، حيث يتلاعب في أسماء من تكتب ، لهم الكتب من اطلاقات وغيرها ، فعبارته الأولى "لازال إحسانه يزين ببهاء حسنه المكارم" وعبارة أخرى "... فهم من فضله بين غانم وابن غانم" (١).

فكلمة "بهاء" هي من "بهاء الدين" "وابن غانم" هو والد صاحب الإطلاق ، عمل الكاتب على توظيف هذه الأسماء ، بما يشعر بأنه يريد المعنى المتداول من البهاء ، فالشيء البهي الجميل الحسن ، والغانم الذي يحصل على الغنيمة ، الخير والنفع .

وهكذا يحاول الفلقشندي ، توظيف قدرته الإنشائية في إخراج كتاباته كأعمال ، لا تقل قيمتها الفنية عن القيمة المضمونية ، التي أنشأت من أجلها .

(١) المصدر السابق ، ج ١٣ ، ص ٤٧

## التفويض :

التفويض ، جمع تفويض : وهو مصدر فوض الأمر إلى زيد ، إذا رده إليه<sup>(١)</sup> وجعل له التصرف فيه<sup>(٢)</sup> ومنه قوله تعالى : "وأفوض أمري إلى الله"<sup>(٣)</sup> أما حول من يكتب لهم بالتفويض : فهم عامة القضاة ، وإن أصبح الدارج في العصر المملوكي ، أن يكتب لهم بالتواقيع إلا أن صاحب "التعريف بالمصطلح الشريف" ، يحدد ذلك بقوله : "واعلم أنني لا أكتب هذا إلا تفويضاً ، وأما صغار النواب فيأتي ذكرهم بالتواقيع"<sup>(٤)</sup> ويعود لتحديد ذلك بقوله : "والذي أرى أن يكون لمن لحق بشأو الكبار منهم تفويض وللصغار مراسيم ، ولأدنى الطبقات منه التواقيع"<sup>(٥)</sup> والتفويض في نمط التقاليد ، غير أنه لا يقال بعد الخطبة إلا "وبعد" .. ولا يقال "يقلد" ويكون أخضر من التقاليد ، ويقال في تعريفها : "تفويض شريف لفلان بكذا"<sup>(٦)</sup> وقد يقال في التواقيع " أن يفوض" كما أنها تقال في التقاليد ، فيقال : " أن يقلد كذا ، أو أن يفوض إليه كذا " والأولى أعلى مرتبة<sup>(٧)</sup> .

ومن هنا نستطيع القول أن التفويض تقع بين مرتبة التقاليد ، التي هي أعلى منها ، وبين التواقيع التي هي أقل منها ، وإن كانت تشترك مع الصنفين

---

(١) المصدر السابق ، ج ١١ ، ص ١١٢  
(٢) إبراهيم مصطفى وآخرون : العلم الوسيط ، مادة (فوض) .  
(٣) القرآن الكريم : سورة غافر آية ٤٤  
(٤) العمري : التعريف بالمصطلح الشريف ، ص ١١٢  
(٥) المرجع نفسه ، ص ١١٢  
(٦) المرجع نفسه ، ص ١١٦  
(٧) المرجع نفسه ، ص ١١٥ \_ ١١٦

في الأسلوب والترتيب ، ولعل الاختلاف يكون في بعض العبارات وأحياناً في ، وظيفة من يكتب له الكتاب ، على أن القلقشندي يجعلها ضمن وظائف التواقيع .

ويذكر القلقشندي: أنه لم يجد من نسخ التفاويض غير واحدة ، كتب بها المقر الشهابي بن فضل الله العمري ، لبعض قضاة دمشق (١) وللقلقشندي تفويض ، أنشأه القاضي القضاة ، جمال الدين يوسف البساطي بقضاء المالكية بالديار المصرية ، وكتب له طرة يفتتحها بقوله : " تفويض شريف للمجلس العالي القاضي الجمالي ، يوسف البساطي المالكي\_أعز الله أحكامه\_ بقضاء قضاة المالكية بالديار المصرية ، على أجمل العوائد وأكمل القواعد " (٢) وما نلاحظه أن الطرة تأتي تلخيصاً للتفويض ؛ فهي تعطي المعنى المراد من تفويض بشكل مختصر ، فلا تحوي الخطبة ولا الألقاب إلا الضروري منها، كما لا تشتمل على الوصايا والأدعية ، أما التفويض فيبدأه بخطبة ، يستهلها بالحمد لله على عودة جمال الدين للقضاء ، مستخدماً في ذلك أسلوب التورية ، وبنفس الطريقة ، يشير لعودة الشيخ جلال الدين عبد الرحمن البلقيني لقضاء الشافعية ، إذ وافق على ذلك عودة البساطي . وتأتي التحميدة الثانية داعمة نفس النسق ، وتمتد للتشهد والصلاة على النبي \_ عليه الصلاة والسلام \_ الذي " أحكم بسد الذرائع سداد الأمور ، فجرت أحكام شريعته الطاهرة على

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١١ ، ص ١١٣

(٢) المصدر نفسه ، ج ١١ ، ص ١١٣

الساداد " (١) فهو يوحي بالمعِين ، بأن هذه الصفات يجب أن تتبع في الوظيفة .

وتأتي بعد ذلك البعدية " وبعد " وهنا يظهر اسلوب اعتدناه من الكاتب ، حيث يقدم : " المعين في الوظيفة " على أنه المطلوب لا الطالب ، والمخطوب لا الخاطب ، فالوظيفة التي تلجأ إليه ، " والمناصب السنية تآزر إلى مستحقها ، كما تآزر الحية إلى جحرها " (٢) ثم يلي ذلك بقوله : ولما كان المجلس العالي ، القاضوي .. إلى آخر ألقابه .. ويظهر الكاتب سخاءً في الثناء على المعِين ، فهو من مهدت آثاره ، وسارت في الآفاق حسن سيرته ، وانتشرت علومه ، وألفاظه رائعة ، ومعانيه فائقة .. حتى أن القلم يسابق الطرس في وصفه ، وفي طي ذلك لا يتورع القلقشندي عن تكرار رغبة الوظيفة إلى الموظف : " وكانت وظيفة قضاء قضاة المالكية ، بالديار المصرية في رفيع رتبته ، ووافر حرمتها قد ألفت إليه مقاليدها ، ورفعت بالانتماء إلى المجلس العالي أسانيدها ، وعجمت بتكرار العود عودة فأعرضت عن السوى ، وقرت بالإياب إليه عيناً " فألفت عصاها فاستقر بها النوى " (٣) وبهذا يرى الكاتب أنه اقتضى حسب الرأي الشريف ، أن تعاد الوظيفة لصاحبها الأول ، ليعود الأمر إلى نصابه ، وبعد هذا الاسترسال في المديح ، تأتي العبارة الرسمية ، فلذلك " رسم بالأمر

(١) القلقشندي صبح الأعشى : ج ١١ ، ص ١٩٠ .

(٢) المصدر نفسه ، ج ١١ ، ص ١٩١ .

(٣) المصدر نفسه ، ج ١١ ، ص ١٩١ .



الشريف " لا زال يبدأ بالمعروف ويعيده ، ويوفر نصيب الأولياء ويزيده ، أن يفوض إلى المجلس العالي المشار إليه ، قضاء القضاة بمذهب عالم المدينة ، وإمام دار الهجرة ، مالك بن أنس الأصبحي رضي الله عنه ، على جاري عادته المتقدمة بذلك" (١) وثمة ما يجلب انتباه الباحث ؛ حيث يلاحظ أن التفويض يحوي أكثر من أمر تعيين للمفوض له ، بالإضافة للقضاة يناط به التدريس بقبة الصالح ، وتلحق بها مسؤولية أمر تعيين المدرسين ، والمعيدين فيها .

وبعد أوامر التعيين ، هذه ينتقل الكاتب إلى قسم آخر من التفويض ، وهو الوصايا وأولها: أن يعود إلى وظيفته بهمة عالية ، وأن يقابل إحسان السلطان إليه بالشكر ، ثم يجدد الوصية ، ويؤكد على تقوى الله ، ولما كان أمر القضاة ملتزم العلاقة بالدين ، فكان متوقفاً هذا التركيز على الوصية ، فهي ملاك الأمور ، وهي العصمة ، إليها الملتجأ وهي الواقية من قوارع الله ، وينتهي بعد ذلك ، بما يخص طبيعة الوظيفة ، وما اختص به المذهب المالكي ، عن غيره من مذاهب الأربعة ويركز الكاتب على أنه مع قلة هذه المسائل ، إلا أنها جليلة القدر والأثر ، وتظهر لنا ثقافة الكاتب جلية في تعداده لمعظم هذه الوظائف ، ويؤكد على ضرورة التثبيت والتيقن قبل إصدار حكمه ، وتعرض لقضية الخط والكتابة ، ومدى اعتمادها كشهادة ودليل ، ثم يرجع ذلك كله لما

(١) المصدر السابق ، ج ١١ ، ص ١٩٢

يعتقده القاضي ، ولعل هذا تلويح لمدى ثقة السلطان بالمعيّن ، على أنه يوصيه ، بأن لا تأخذه لومة لائم إن ثبت له حق .

ثم يشير إلى الوصايا التي تتعلق بأمر القضاة ، ويعتبر المعين من أهلها ، وأنه لا يستحسن تقديمها له لأنه بها خبير .

ويلى هذه الوصايا بالدعاء للمعين ، بدعوتين ليلطف الله به ويحميه بعنايته ، ويختم بعبارة "والاعتماد ما رسم به فيه ، بعد الخط الشريف أعلاه"<sup>(١)</sup> وحرى بالباحث الإشارة إلى هذه الرتبة ، مما يكتب لها بالتقاليد حتى أن القاضي جمال الدين البساطي نفسه قد كتب له تقليد بها سنة أربع وثمانمائة وأورده القلقشندي<sup>(٢)</sup> ، مما يدل على أن التفاويض في هذا العصر ، قد ضاهت التقاليد ، وهي من أعلى المكاتبات الديوانية رتبة ، كما أن الباحث ومن خلال استعراض تفويض القلقشندي هذا ، لاحظ أنه أخذ أقساماً عامة : من خطبة ، ثم مدح المولى ، ثم الانتقال لمكانة ، حتى إصدار التعيين ، ومنه إلى الوصايا ، فالدعاء ، فلا نرى فرقاً واضحاً ينقص من درجته عن التقليد ، إلا بالاسم واستخدام بعض العبارات ؛ مثل ( أما بعد ) في التقليد ( وبعد ) في التفويض .

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١١ ، ص ١٩٣  
(٢) المصدر نفسه ، ج ١١ ، ص ١٨١

## المربعات الجيشية :-

وهي اسم يطلق على المكاتبات التي تكتب بالإقطاعات ، وتصدر من ديوان الجيش إلى ديوان الإنشاء ، لتخرج المناشير على نظيرها (١) ويلتزم تاريخ المربعة التي كتب على حكمها ، لما يترتب على ذلك من المحاسبات (٢) ولما كانت المربعات تختص بالإقطاعات دون غيرها وتصدر عن ديوان الجيش ، فإن مظنة الاقطاعات هو ديوان الجيش ، لا ديوان الإنشاء ، وما يكتب فيه من ديوان الإنشاء ، هو فرع مما يكتب من ديوان الجيش (٣) فإذا عين ناظر الجيش المثال ، أو القصة أو الإشهاد على أحد من كتاب ديوان الجيش ، فإن هذا الكاتب يحتفظ بذلك عنده ، ثم يجهز لذلك مربعة من ديوان الجيش ، وترسل لديوان الإنشاء ، حيث يعينها كاتب السر على من يكتب بها منشوراً (٤) .

ويكتب بها بعد البسملة الشريفة : " رسم بالأمر العالي ، المولوي ، السلطاني ، الملكي ، الفلاني ، أعلاه الله تعالى وشرفه وأنفذه وصرفه " ، أو "أعلاه الله تعالى ، وأسماءه وشرفه وأمضاه ، أن يقطع باسم فلان الفلاني \_ أحد الأمراء المقدمين أو الطبلخانات ، أو العشرات الخمسات \_ بالمكان الفلاني " ، أو أحد المماليك السلطانية ، أو مقدمي الحلقة أو أخبار الحلقة ، بالمكان الفلاني

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٦ ، ص ٢٠١

(٢) العمري : التعريف بالمصطلح الشريف ، ص ١١٨

(٣) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١٣ ، ص ١٥٣

(٤) المصدر نفسه ، ج ١٣ ، ص ١٥٤

المرسوم استقراره في أمراء العشرات ، أو الطبلخانات أو المقدمين ، أو نحو ذلك \_ ما رسم له به الآن من إقطاع " (١) .

وإذا ما كان من كتب له أميراً أضيف لما سبق " لخاصة ومن يستخدمه من الأجناد الجياد للخدمة الشريفة ، والبرك التام ، والعدة الكاملة ، بمقتضى المثال الشريف أو الخط العالي الكافل ، أو بمقتضى الأشهاد المشمول بالخط الشريف ، أو الخط الكافلي أو بمقتضى المربعة المكتتبه من المملكة الفلانية ، المشمولة بالخط الشريف ، إذا كان أصله مربعة من بعض الممالك ، ثم يقال : " حسب الأمر الشريف ، " ويكمل التاريخ ، والحمد لله والصلاة على النبي \_ عليه الصلاة والسلام \_ (٢) . وبعد أن يبعث بها إلى ديوان الإنشاء ، ويعين لها أحد كتابه فإنه يكتب المنشور ، ويحتفظ بالمربعة كمرجع عنده .

ومن خلال دراسة المربعات ، حاول الباحث أن يتوصل إلى أهم الصفات التي يتصف بها هذا النوع من المكتبات الديوانية ؛ فهي تتسم بالإيجاز ، والاختصار مع سهولة الفهم وتأدية الغرض ، إذ تخلو من الخطب والأدعية ، وكذلك من الوصايا ، ويظهر كذلك اختصار في الألقاب والنعوت ، كما أنها تسير في سمت واحد ، بعيداً عن التنوع في الأسلوب ، مما يحرم الكاتب التنوع في طريقة إيراد المعلومة ، ولعل ذلك عائد لكونها وسيلة لإيصال معلومة من ديوان الجيش لديوان الإنشاء ، فهي لا تظهر خارج المعاملات

(١) المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٢٠٢

(٢) المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ، ص ٢٠١ \_ ٢٠١

الديوانية ، وإنما يبنى عليها المناشير ، والتي تتسم بأفق أوسع لدى الكاتب ،  
ومما تتسم به المربعات احتفاظها بالمستندات ، وذلك ليبين فيها سبب ما كتب  
به (١) .

---

(١) العمري : التعريف بالمصطلح الشريف ، ص ١١٩

## الإجابة على الكتب السلطانية :

إن الحديث عن الأجوبة يذكر بأن هنالك رسائل ابتدائية ، جاءت هذه الكتب كإجابة عليها ، وهذا يولد سؤالاً حول أيهما أعلى رتبة ، وأبلغ في صناعة الكتابة ؟ وقد اختلف الباحثون في ذلك : فذهب أكثرهم إلى أن الكتب الجوابية أتعب مطلباً ، وأصعب مرتقى من الكتب الابتدائية ، وفيها تظهر مقدرة الكاتب ومهارته وحذقه ، لا سيما في بعض مواضيعها ، كالاعتذار والاعتلال عن امتثال الأوامر والنواهي ، والتورية عن واقع الأحوال ، والإعراض عن ظواهرها ، مما يدفع إلى استعمال المغالطة ، لإخلاء الطرف من الإلتزام مما يؤدي للخلاص من المكاره . وقد احتجوا في ترجيح ذلك بوجوه منها : أن المبتدئ هو صاحب الشأن في كتابة ؛ المحكم فيها يبتدئ بألفاظه كيف شاء ، ويتصرف فيها تقديماً وتأخيراً ، ويحذف ويثبت ، ويوجز ويسهب ، ويأخذ لنفسه أساساً ويؤسس عليه ، وليس للمجيب شيء من ذلك ، فهو تابع لغرض المبتدئ وعلى أساسه بان .

كما أن الجواب محتمل للإشباع والتوسع \_ مضطر لتتبع ألفاظ المبتدئ ؛ للإجابة عنها ، مما يدفع المجيب لتصفح كلام المبتدئ وكلامه ليصل بينهما ، لأن الكلامين يتقابلان ، فلا تخفى مرتبتهما وهذا مرفوع عن المبتدئ (١) وكذلك انتظام الكلام واتسامه والتثامه ، فهو للمبتدئ دون المجيب لما عليه من

(١) الفلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٦ ، ص ٣٢٣

تفصيل في الجواب ، لأجزاء الكلام فيبدر نظامه ، ويقسمه لحاجته إلى استئناف القول من فصل إلى فصل ، بقول : أما كذا وأما كذا وظهور الكلام متصلاً ، أحسن منه منفصلاً (١) .

أما علي بن خلف صاحب "مواد البيان" : فيرى أن الابتداء والجواب على حد سواء ، من الصعوبة واليسر ، وإن الكاتب قد يجيد في أحدهما ولا يجيد في الآخر وذلك أن الكاتب ممتاح من جودة الغريزة ، محتاج للبلاغة في صناعة كل منها ، لأنه مرة يكون مبتدئاً وأخرى مجيباً ، وليس منهما ما هو مستقل بذاته ، ويرى أنه لا مانع من أن يجيد الكاتب في أحدهما دون الآخر ، كما أن الكاتب لا يكون في الأمر العام كاتب عن ذاته ، وإنما هو منقاد لآمر يأمره بالكتابة في أغراضه ، ليسلمها له في منثورة ، فعلى الكاتب المبتدئ من المشقة في إيراد أغراض المكتوب عنه ، ونظمها في صورة جامعة سالكة في سلك البلاغة ، مثل ما على المجيب من مشقة في توفية فصول كتاب المبتدئ حقها من الإجابة ، والتصرف في أوضاعها ، بل إنه يرى أن كلفة المجيب قريبة لقرب مرجعيته ، لأنه يستتبط من معاني المبتدئ ، والإجابة لا تخرج في معانيها على الابتداء ، فإن كانت بالموافقة فالأمر سهل ، وإن كانت بالنقض ، فما عليه إلا البناء على نقيض ما أتى به المبتدئ ، والتجزئة في الإجابة أدعى للسهولة واليسر (٢) .

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٦ ، ص ٣٢٤

(٢) المصدر نفسه ، ج ٦ ، ص ٣٢٤

وأرى أن ما ذهب إليه علي بن خلف أقرب للاعتقاد ،لما أورده أن الكاتب في الأمور العامة ( الرسمية ) لا ينطلق عن هوى ، أو خاطر يخطر له وإنما هو محدد في أمور ، يقيده فيها صاحب الشأن بالكتابة ، فهو بذلك يضارع المجيب ، إذ كليهما مقيد في أمر الأمر الأول ، وأفق إبداعها يكاد يتحدد في سمت واحد ، وهو مدى قدرتهما على إسباغ تلك المعاني المتقاربة في الابتداء والإجابة ، بما لديهما من ألوان البلاغة وفنون صنعة الكتابة ، وهو ما يميز أحدهما على الآخر .

على أن للجواب حالتين : الأولى يكون الجواب فيها من الرئيس إلى المرؤوس ، عما كتب به المرؤوس إليه ، فيبين الرئيس جوابه مختصراً ومعانيه موجزة ، أما الحالة الثانية : أن يكون الجواب من المرؤوس إلى الرئيس عما كتب به الرئيس إليه ، وفي هذه الحالة يكون التفصيل ، حيث يتوجب على المرؤوس الوقوف أمام كل كلمة في كتاب رئيسه ، لما للرئيس من جلاله القدر ورفعة المكانة ، وليس للمرؤوس أن يخرج عليه ، إلا إذا كان موضوعه الشكر والتقريض من مرؤوسه له ، فإنه يجب التوسع في الثناء على رئيسه ، وأن ما حل به من نعمة ما هي إلا من بعض مكارم رئيسه ، ويكثر من شكر رئيسه والدعاء له (١) .

(١) المصدر السابق ، ج ٦ ص ٣٢٥ \_ ٣٢٦



وقد كتب القلقشندي في هذا النوع من الأجوبة ، أي في الكتابة من  
المرووس إلى الرئيس إجابة ، من ذلك كتاب إلى أمير المؤمنين المستعين بالله  
أبي الفضل العباس عن نائب الغيبة بالديار المصرية ، حين وردت كتب أمير  
المؤمنين إليه من الشام ، بالقبض على الناصر فرج بن الظاهر برقوق بالشام ؛  
لاستبداده بالأمر دون سلطان معه ، وكان ذلك في حوالي سنة خمس عشرة  
وثمانمائة للهجرة الشريفة (١) .

ويختار أبو العباس القلقشندي لكتابه هذا حسن الافتتاح ، تقبيل الأرض  
وفي هذا تعظيم لمكانة الخليفة المكتوب له ، إذ أن حسن الكتاب من حسن  
افتتاحه ؛ إذ هو أول ما يقابل المرسل إليه ، هو أدعى لاستجلاب القلوب ،  
وتشنيف المسامع وإلى ذلك يشير القلقشندي بقوله : "وأما الافتتاح بما فيه  
تعظيم المكتوب إليه : من تقبيل الأرض ، أو اليد أو الدعاء له أو غير ذلك ،  
فإن أمر المكاتبات مبني على التملق ، واستجلاب الخواطر وتآلف القلوب ،  
على ما يقتضيه اصطلاح كل زمن في الإبتداءات" (٢) .

والكتابة للأبواب الشريفة كما يرى صاحب " التعريف " يتساوى فيها  
الملوك والسوقة ، ولا تختلف الإبتداءات في كتاباتهم (٣) . وهكذا بدأ  
القلقشندي كتابه بالتقبيل ، واتبع الثناء على كتاب أمير المؤمنين ، ففي مدح

(١) المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٣٧٩

(٢) المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ، ص ٢٧٥

(٣) العمري : التعريف بالمصطلح الشريف ، ص ٦

الكتاب مدح وثناء على أمير المؤمنين نفسه ، ثم يعرض محتوى الفكرة التي تضمنها الكتاب تلميحاً لا تصريحاً ، بإظهار ما يترتب على هذا الكتاب من عظيم نتائج ، وكبير نعم ، تكون وارفة ظلالتها على الرعية ، وفيه يشير إلى مرجعية الخلافة لأمير المؤمنين ، إذ هي متمكنة بإبائه ، وهو فرع ثابت فيها عن أصل ، وهو لها معز وحامل ، وفيه ابتسم ثغر الخلافة .

وبعد هذه الصبغة الدينية التي صبغ بها هذا الكتاب ، وأشعر المتلقي أن الخلافة وصلت للخليفة ، بطريق الحق المشروع ، وأنه تكفل بها لينتشر الإسلام ، وتعيش الرعية بالأمن والأمان " وتأنس منها جانب الدين بعد الإستيحاش بايناسه " <sup>(١)</sup>، يصور موقف نائب الغيبة بالديار المصرية ، من كتاب أمير المؤمنين ، فنعت نفسه بالمملوك الذي يقبل الأرض ؛ خضوعاً لأمير المؤمنين ، ويجيب أوامره متضرعاً ، ويلبي داعيه بالسمع ، الذي يقرنه بالطاعة ، حتى أنه يسجد سجود الشكر لورود الكتاب إليه . ولما كان لسجود الشكر من دلالة على عظم النعمة ، التي حلت بالمنعم عليه ، حتى اقتضت هذا النوع من الشكر وإظهار الامتنان ، فقد وظف القلقشندي ذلك ، لإظهار مدى اهتمام نائب الغيبة ، وحفاوته بكتاب أمير المؤمنين ، ومدى حرصه على الانصياع لتعاليمه ومقتضياته ، فاختر لنفسه النسب إلى ولاء الإمام الخليفة ، انتساباً بالاسم والمعنى ، ولم يكتف بذاته ، بل نشر ذلك بين الأمراء والأجناد ،

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٨ ، ص ٣٨٠

فعمت البشرى بينهم . ويبلغ الاهتمام به ذروته عندما يقرأ على المنابر ،  
فتسكن الرعية وتقر عينها ، لما يعمها من السعادة ، فيأخذ الناس في ترجيع  
قراءته ، وتكرار وترديد ألفاظه ، لما لها من أثر يبعث على الراحة في  
النفوس (١) .

هكذا يصور الفلقشندي الحالة ، التي غدت عليها الرعية ، أثر وصول  
كتاب أمير المؤمنين ، وبذا فإن المتلقي يتوقع أن يستكمل الكاتب جوابه ، بما  
أقدم عليه الناس من الدعاء للخليفة ، وذلك ما فعله الفلقشندي ، إلا أنه زاد عليه  
بأن جعل هذه الدولة ، منسوبة للنبي \_ عليه الصلاة والسلام ، وأن الخليفة  
المستعين بالله أبا الفضل العباس ، ما هو إلا معجزة قدر الله تحقيقها في هذا  
العصر ، بعد ثمانية قرون من مقولته عليه الصلاة والسلام لعنه العباس (٢) .

ويلحظ الباحث على هذا الجواب خلوه من التحميدات ، وكذلك البعدية ،  
كما يخلو من التقسيمات الواضحة ، وعدم إشارته الصريحة لموضوعه ، فليس  
من السهل فهم مضمونه دون المقدمة ، التي قدم بها الفلقشندي لهذا الكتاب ،  
على أنه أحسن في اختتامه بحديث شريف ، يدعم ما ذهب إليه في صدر  
الكتاب .

(١) المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٣٨٠

(٢) المصدر السابق نفسه ، ج ٨ ، ص ٣٨٠

## الرسائل الاخوانية :

وهي ضرب من ضروب الكتابة ، يعبر فيه الكاتب عما يكن في صدره ، اتجاه صديق له - سواء كان أقل منه رتبة ، أو أعلى منه أو نظير له - من عواطف وأحاسيس ومشاعر ، تظهر في المناسبات المختلفة التي يعيشها الانسان ، ولكل مناسبة نوعها الخاص من هذه الرسائل .

وقد تنوعت هذه الرسائل عند القلقشندي ، حتى بلغت سبعة عشر نوعا : بين تهنئة وتعزية ، وشفاعة وتشوق واستزارة ، وشكوى وعتاب ، إلى آخر ذلك من أنواعها ويرى أن لهذه الرسائل وقعا خطيرا ؛ حيث يحتاجها الكافة<sup>(١)</sup> فهي مظهر من مظاهر الحياة الاجتماعية ، التي يعيشها الانسان ، ورابط من روابط التواصل في المجتمع وهي : " ألصق بالخواطر وأعلق بالوجدان ، وذات صدق وعاطفة ومجال الاحسان فيها عريض " <sup>(٢)</sup>

والكاتب فيها مطلق العنان لا يتقيد بمصطلح ، أو رسم فيظهر ما لديه من قوة أو ضعف<sup>(٣)</sup> ، فإذا كان الكاتب ماهرا أغرب في معانيها ، ولطف مبانيتها ، وتسهل له فيها ما لا يكاد أن يتسهل في الكتب التي لها أمثلة ورسوم ، لا تتغير ولا تتجاوز<sup>(٤)</sup> ، ولكن الانسان بطبعه ميال للحفاظ على ما أوجده الله فيه ، من تمايز في الطبقات والرتب ، هيب من تجاوز الحدود الاجتماعية

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٩ ، ص ٩

(٢) محمد كامل الفقي : الأدب في العصر المملوكي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٦ ، ص ١١٢

(٣) الحلبي : حسن التوسل ، ٣٨٢

(٤) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٩ ، ص ٩

المرسومة ، ولهذا نبيه الحلبي في توسله بقوله : "لكن على كل حال ، يراعي كل مقام بحسبه " (١) .

ولعله من هذا المنطلق ، جاءت الرسائل الاخوانية على اختلاف أنواعها ، على ضربين الأول : الرسائل الاخوانية شبه الرسمية ، وهي تلك الرسائل التي تحتفظ بالبعد الاجتماعي ، بين الكاتب والمخاطب ، أي أنها : تلك الرسائل التي يتبادلها الخليفة ، أو الأمير أو الوزير مع من دونه في المنزلة الاجتماعية ، في الأمور الخاصة أو العكس . والضرب الثاني الرسائل الاخوانية الذاتية ، وهي : التي تتناول ما يدور بين الأصدقاء ، من عتاب وشوق وعزاء ، وما إلى ذلك من العواطف (٢) التي تقوي دواعي الحب والمودة ، وتصفى نفس الصديق من الريبة ، وتزيل ما قد يحدث من جفاء .

إلا أن تأثر الرسائل الاخوانية واضح بمصطلحات الرسائل الديوانية ، وبأسلوبها وخصائصها ، وربما كان السر في ذلك ؛ عائد لكون كتاب الرسائل الاخوانية في أغلب الأحيان ؛ هم كتاب الدواوين ، ومن هنا جاءت الابتداءات في هذه الرسائل ، بالخطب ذات التحميدات ، والصلوات على الرسول الكريم \_ صلى الله عليه وسلم \_ ، واستفتحت باستهلالات بارعة ، جاءت مناسبة في لفظها ومعناها موضوع الرسالة ، أو لاعمت قدر المرسل إليه ، ثم يتبع ذلك

(١) الحلبي : حسن التوسل ، ص ٣٨٢

(٢) فايز عبد النبي القيسي : أدب الرسائل في الأندلس ، دار البشير للتوزيع والنشر ، ط ١ ، ١٩٨٩ ، ص ١٠٠

بعرض الموضوع ، والختام مع شئ من الأدعية المناسبة ، واستخدام الألقاب المتكررة ، وتوظيف الأبيات الشعرية التي تخدم المعنى <sup>(١)</sup>.

ويجدر التنبيه ، إلى أن هذا التأثير بالرسائل الديوانية ، لم يكن لينقص من الرسائل الاخوانية قيمتها المضمونية؛ فهي تعطي الدارس صورة جلية عن الحياة الاجتماعية ، التي عاشها العصر المملوكي بمختلف طبقاته ، وتصور تلك الوشائج والروابط الممتدة بين الكتاب ، بعضهم ببعض من جهة ، والكتلب ورؤسائهم ومرؤوسيهـم من جهة أخرى .

ولما اتصف هذا النوع من الرسائل بالتنوع ؛ لتعدد موضوعاتها ، فقد

ارتأى الباحث دراسة كل نوع منها على انفراد .

(١) محمد الفقي : الأدب في العصر المملوكي ، ص ١١٢ - ١١٣

## المدح:

يشير محمد الدروبي إلى أن هذا الغرض يعد من أغراض الشعر في الأصل ، وهو يفيد الثناء الحسن ، واطهار المناقب والفضائل ، ويعدل عن ذكر المثالب والنقائص ، فهو على النقيض من الهجاء ، وقد أثر الأدباء الصيغ الشعرية على النثرية ، في مدائحهم المختلفة ، ولا يعني القول أن المدح فن شعري ، نقيضه عن النثر ، ولكن هذا الفن الأدبي ظل ألصق بالشعر ، منه بالنثر ، ولا شك أن دخول المدائح إلى النثر العربي ، يمثل بطريقة ما تطورا بدأت بشائره منذ القرن الثاني الهجري ، ولم تكن المدائح النثرية قبل ذلك سوى حلقة ضيقة ، لا تعطي الدارس فرصة تشكيل دراسة حول ملامح هذا الفن ، الذي لم يعد خاصا بالشعر في التعبير عن معانيه دون النثر .<sup>(١)</sup>

وقد كتب القلقشندي عدداً من الرسائل المدحية ، نتعرض في الدراسة لواحدة منها ، تلك الرسالة التي أنشأها في تقريض المقر الكريم الفتحي ، أبي المعالي فتح الله ، صاحب دواوين الانشاء الشريف بالديار المصرية ، والممالك الاسلامية ، في سنة أربع عشرة وثمانمائة .<sup>(٢)</sup>

والقارئ لهذه الرسالة يستشعر أنها من الرسائل الديوانية ، لما انتهجت من اسلوب يقارب الاسلوب الرسمي في الكتابة ، ولذلك نسبناها لصنف

---

(١) محمد الدروبي : الرسائل الفنية في العصر العباسي ، ص ٣٩٢

(٢) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١٤ ، ص ١٩١ - ١٩٧

الرسائل شبه الرسمية ؛ فهي موجهة من مرؤوس إلى رئيس ، ويظهر ذلك جليا من الافتتاحية التي اتخذها الكاتب في رسالته : فجاء بالتحميد ، الذي يشير إلى نعمة حلت بالكاتب فاستحقت ذلك الحمد ، ويوضح لقب الممدوح " فتح الله " في التورية ، على عادته في بدايات الخطب في رسائله الديوانية ، ويرجّع الحمد مرة أخرى ، فالتشهد ، والصلاة على النبي \_ عليه الصلاة والسلام \_ ، وخلال ذلك ، لا تخلو الخطبة من وصف الممدوح ، بما يناسب الوظيفة التي يشغلها من سعة صدر ، والقدرة على تدبير الأمور ، والمهارة في الكتابة ، وامتلاك نواصي فنونها . على أن الصبغة الدينية تبقى هي المسيطرة على الخطبة في الرسالة.

وينتقل للبعديّة ، ليتحدث عن الرياسة في الدولة ، وعلو مكانتها ويجعل علو المكانة ، مرتبطاً بمدى القرب من الملك ، واعتماد الملك عليه بالمهام والأخذ برأيه ، جاعلا من ذلك ، تمهيدا للحديث عن صاحب الديوان - وهو الممدوح - حيث أن صاحب ديوان الانشاء يتمتع برتبة ، ومنزلة عليّة عند الملك ، ويتفرد بالصدارة لديه ، كما أنه كليم الملك ، وركن المملكة وعمادها ، وهكذا تترادف العبارات المدحية ، مظهرة مكانة الممدوح عند الملك ، ودوره في حمل أعباء المملكة .<sup>(١)</sup>

(١) المصدر السابق ، ج ١٤ ، ص ١٩٢-١٩٣



ويلتفت لدور آخر لصاحب ديوان الإنشاء ، وهو من الأهمية ، بحيث يبدأ الحديث عنه بالتبني له باسم الإشارة " هذا " ، فصاحب الديوان ، يشكل حلقة الوصل ، بين الملك والرعية ، وهذا الدور أو الواجب ، يحتم عليه أن يمتلك مع رفعة المكانة ما يوازيها من التواضع ، ومع قوة الحزم ما يعادله من اللين ، ومع قربته من الملك ، أن يكون قريبا من الرعية ، حتى مع المسكين والأرملة<sup>(١)</sup> ويمضي الكاتب في تصوير الممدوح في الصفات المثالية ، التي تجعله يجمع النقيضين اللذين قضى العقل أن الجمع بينهما محال<sup>(٢)</sup> ، فهو كالجمع بين الأرض والسماء ، والنار والماء ، ويجعله نادرا وأمرا خرافيا غرائبيا " كبيض الأنوق ". حتى اذا ما وجد من جمع هذه الصفات ؛ كان المتفرد في عصره ، الظاهر على من سبقه في هذا الميدان ، ويرى الباحث أن هذا هو الأسلوب الذي اتبعه أبو العباس الفلقشندي في رسائله الرسمية ، حيث يعمل على تشويق المتلقي ، وحفزه على متابعة الرسالة ، حتى اذا ما بلغت ذروتها ، بدأ بتقديم ألقاب الممدوح ، والتي عهدنا من كتاب العصر السخاء بها ، يتلو ذلك باظهار ما كان من أمره في الديوان ، حتى أصبح مثلا وقدوة ؛ لو عاصره من سبقه من عظماء الكتاب ، لاتخذوه أستاذا لهم ولأحجموا عن ملاقاته ، ويأتي في سبيل ذلك بأسماء عدد كبير ممن اشتهروا بالعلم والكتابة والإنشاء ، مثل : خالد بن برمك والحسن بن سهل ، والفضل بن

(١) المصدر السابق ، ج ١٤ ، ص ١٩٣  
(٢) المصدر السابق نفسه ، ج ١٤ ، ص ١٩٣

هلال ، والجاحظ وعبد الحميد الكاتب ، ومن القدماء قس بن ساعدة ، وسحبان بن وائل ، وعمرو بن الأهمم<sup>(١)</sup> ، ويصور الكاتب كثرة ما كتبت الأقلام بمدحه ، وكم قال الخطباء في صفاته وأفضاله ، فجعل الناس في توحده واتفاق على حبه ، حتى استغرقت الأمكنة والأزمنة في مدحه

وفي القسم الأخير من الرسالة ، يحاول الكاتب اظهار مدى إعجابه بالمدوح ، فيرى أنه قد ألم به العجز عن ايفاء المدوح حقه من المدح ، وأنه قصر في شكره ، وهو يعترف بذلك . ويختتم الكاتب رسالته ببيت من الشعر ، يظهر فيه حجم النعمة التي أصبغها عليه المدوح ، فيصبح عاجزاً عن الشكر ، ولو جعلت كل شعره في جسده لساناً يتغنى بالمدوح .

ولعل هذه الرسالة ومثيلاتها لم تكن من باب التزلف والنفاق ، ولا سيما أن المداح والمدوح كانا يعيشان في ظرف واحد ، ومحيط واحد ، فلربما كانت امتحاناً للخاطر وإدامة المودة ، وإظهار القدرة على الكتابة ومعاناة فنونها .

وقريب من هذا مقولة الأنباري : " إذا كان القلقشندي لم يستطع طوال فترة عمله ، أن يكون على رأس ديوان الانشاء ، فإن ذلك لايعني أنه لم يكن يمتلك المؤهلات الأدبية والعلمية لذلك ، بل ربما كان يربأ بنفسه أن يسلك إليه سبل التزلف والرشوة ، كما كان سائداً في ذلك العصر " (٢) .

(١) المصدر السابق نفسه ص ١٩٣-١٩٧  
(٢) الأنباري تحقيق صبح الأعشى ، ج ١ ، ص ١١

## خطب الصدقات

الصدقات : جمع صدقة ، بفتح الصاد وضم الدال بمعنى الصّدّاق (١)  
وفي التنزيل الحكيم : ﴿ وآتو النساء صدقاتهن نحلة ﴾ (٢) ، وقد جرت العادة في  
العصر المملوكي ، أنه إذا تزوج السلطان ، أو من يخصه من أقاربه أو أمير  
من كبار الأمراء ، أن يكتب له خطبة صدق ، تمتاز بالطول أو القصر حسب  
صاحب العقد، تطول للملوك ، وتقصّر لمن دونهم ، بقدر درجة القرابة من  
الملك (٣) ويحتوي كتاب صبح الأعشى عدداً من كتب الصدقات ، منها خطبة  
صدق أنشأها القلقشندي ، لزين الدين صدقة السيفي ازدمر ، على بنت أمير  
المؤمنين المتوكل على الله أنشأها في خلافة أخيها المستعين بالله العباسي .

يختار لها استهلالاً بالتحميد ؛ على طيب العنصر الهاشمي ، متوصلاً  
لمكانة العباسيين بين العرب ، ويخص بيت الخلافة لما له من عزة جانب ،  
جاعلاً ذلك تمهيداً للحديث عن الخطوبة ، لما لها من علاقة قربة للخليفة ،  
فيقوم الحديث عنها أولاً قبل الخاطب ، ولما أدرك الكاتب أنه لا بد من مقارنة  
، ستعقد في ذهن المتلقي بين الزوجين ، وما امتاز به كل منهما من صفات ،  
جعلت صاحبه يقبل عليه ، فصور الزوجة ذات علم ودين ، إضافة للحسب  
الممتد في العباسيين ، ويرى القلقشندي ، أن صفتي : التعلم والدين لا

(١) إبراهيم مصطفى وآخرون : المعجم الوسيط مادة صدق

(٢) القرآن الكريم :سورة النساء آية ٤

(٣) القلقشندي: صبح الأعشى ج ١٤ ص ٣٠٠ وانظر عبد اللطيف حمزة : القلقشندي في كتاب صبح الأعشى ص ٢٨٥

يضاهيهما حرفة ، ولا نسب ، وهكذا يصنع من الزوجة المرأة المثال ، ويبتعد عن تصوير كل ما يتصوره المتلقي من جمالياتها الحسية ، ويستمر في خطبته بالشهادة والصلاة على النبي ، وقدم منه \_ عليه السلام \_ مثالا في تزويج بناته ، ليتخذ من ذلك دليلا على أن انكفاءة بين الزوجين في النسب ليست شرطا في الزواج ، وإلا لما وجد الرسول لبناته من هو كفاء لهن .

وينتقل من الخطبة للبعدية ، متابعا حديثه عن الزواج وماله من مزايا ، جعلت الشريعة تحث عليه ، حتى أن الله \_ عز وجل \_ " ألحقه بالعبادة في بعض حالاته ، طلبا لتحصيل الكافل بسلوك نهج الاستقامة ، ورغبة في تكثير النسل الواقع به مكاثرة الأمم يوم القيامة " (١) .

ويعكف ثانيا ، للحديث حول كرائم بيت الخلافة ، ونلاحظ استخدامه الإشارة " هذا " للتببيه ، حيث ينساب الكاتب في مدائحه لبيت الخلافة ، ليقدم للقارئ الدوافع ، التي دفعت الخليفة إلى الموافقة على هذا الزواج ، إذ هو يرغب عن النسب والحسب ، لما لديه منه فخص أهل الدين فأقبل بكليته عليهم ، محلا لهم من شريف مقامه العلي محل الاصطفاء ، ومقدما لهم في المصاهرة على أبناء الملوك والخلفاء (٢) .

ويصل القسم الأخير من خطبة الصداق ، ويكون بعبارة : " هذا ما أصدق العبد الفقير لله " ويأتي على ألقاب الزوج كاملة ، ثم يقول : " صدقة

(١) المصدر السابق ، ج ١٤ ص ٣٢٠  
(٢) المصدر السابق نفسه : ج ١٤ ، ص ٣٢٠

الجهة الشريفة العالية ، ويأتي على ألقاب الزوجة ، مثل : الكبرى المعظمة ، المحجبة المصون ، سليلة الخلافة ، ثم يتلو نسبها ابنة سيدنا ومولانا حتى الجد الرابع ، ولعل في ذلك إظهار لشرف سلالتها ونسبها في بيت الخلافة . ثم يقول : " صدقا جملته كذا وكذا " . فيذكر ولي أمرها ، بقوله : " زوجها منه بذلك فلان وقيله فلان " ، ويختم بعد الدعاء بالمشيئة .

لاحظ الباحث أن الصبغة الدينية ، هي مسيطرة على الخطبة ، فقد صور الكاتب أن دوافع الزواج دينيه كما هي شروطه في الزوج والزوجة ، ولعله وجد في ذلك مبرراً ، لزواج ابنة الخليفة من غير أبناء سلالة الخلافة العباسية ، أو أبناء عمومته .

وتظهر سمات الكتابة الرسمية الديوانية ، جلية في الخطبة سواء من حيث التقسيم أو من حيث المفردات ، واستخدام الألقاب في وصف كل من ورد ذكره في الخطبة .

## الأدعية

الأدعية ، جمع دعاء ، وهو: ما يدعى به الله من القول ، أي رجا منه خير ودعا لفلان طلب له الخير ، ودعا على فلان أي طلب له الشر<sup>(1)</sup> . ويرى القلقشندي أن الدعاء مراتب ، يجب على الكاتب معرفتها ، ليوقعها حيث يجب أن تقع دون سواها : فمن ذلك الدعاء بإطالة البقاء ، والدعاء بإطالة العمر ، فيرى أن الدعاء بإطالة البقاء ، أرفع من الدعاء بإطالة العمر ؛ وذلك أن البقاء ضد الفناء ، وبذلك يكون البقاء دالاً على مدة لا تنقضي ، في حين أن العمر يدل على مدة تنقضي .

ويلاحظ الباحث أن الكاتب يميل للتدليل بعد التعليل ، فيذكر أن الله يوصف بالبقاء ولا يوصف بالعمر ، ومن هنا جعل الكاتب الدعاء بإطالة البقاء أول مراتب الدعاء ، ويرى أنه يختص بالخلفاء ، ويليه في المرتبة الدعاء بطول العمر ، وبعدها الدعاء بالمد في العمر ، ويعلل ذلك بأن الوصف بطول الزمان أبلغ من المد فيه ، لأن المد يدل على مدة زمنية قد تطول وقد تقصر ، وبذا فمرتبة الطول أقرب لمرتبة البقاء من مرتبة المد .

ومنه أيضاً الدعاء بدوام النعمة ، والدعاء بمضاعفتها ، ويرى أن الدعاء بالمضاعفة أعلى من الدعاء بالدوام ، لأن المضاعفة تعني الزيادة ، في حين أن الدوام يعني بقاء الحال على ما هو عليه .

(1) إبراهيم مصطفى وآخرون : المعجم الوسيط ، مادة دعو

وثمة مقارنة يعقدها الكاتب بين ثلاثة أدعية متقاربة في المعنى ، يبين فيها الاختلاف بينها من حيث المرتبة ، فيذكر أن الكتاب يقدمون الدعاء بعز الأنصار على الدعاء بعز النصر ، والدعاء بعز النصر ، وتعليل ذلك ؛ أن من عز أنصاره لابد أن يعز هو ، كما أن في ذلك تعظيم القدر ورفع الشلن ، لأن الأنصار لا تكون إلا للملك العظيم والأمير الكبير ، ويليه العز بالنصر ، فهو أعلى من الدعاء بعز النصر ، وهنا يلجأ لجانب العز في تعليقه ، فالعز مذكر والعزة مؤنث ، والتذكير أعلى مرتبة من المؤنث .

وينبه القلقشندي على الكاتب مراعاة هذه الرتب وتدرجها ، فيرى أنه يجب على الكاتب تنزيل كل دعاء بما يناسبه فيمن يكتب له ، فلا يزيد أحداً فوق حقه ، ولا ينقصه حقه ، فالملوك تسمح بدرات الأموال ، ولا تسمح بالدعوة الواحدة (١)

وقد أورد القلقشندي الكثير من الأدعية منها ما يناسب رتبة المكتوب إليه في وظيفته ، ومنها ما يراعي لقب أو اسم المكتوب إليه ، ومنها ما يؤخذ باسم البلاد التي يعمل عليها .

ومن الأدعية التي تناسب الرتبة أدعية تصلح للنائب الكافل ، يقول في أولها : " لازالت كفالتة تبسط المعدلة ، وعزائمه على الإنصاف والإسعاف المشتمة ، وتقدماته تبلغ كل ذي قصد أمله" ومنها : "ولازالت الممالك كلها في

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ج ٦ ص ٢٨٤-٢٨٥

كفالاته ، والمسالك على اختلاف طرقها آيلة إلى إيالته ، الملائك محومة على بنوده محتفة بهالته ، والأرائك لا تثنى إلا على دست فخاره ولا تعد إلا لجلالته" (١) .

وهناك أدعية لنائب الشام ، نذكر منها قوله : " ولا زالت النفوس بيمن كفالاته فائقة ، والخواطر في محبته متوافقة ، والألسن بشكر محاسنه ناطقة وقلوب الأعداء من بأسه ومهابته خافقة " وكذلك قوله : " ولا زالت عزائمه مرتفعة الحد ، وكفالاته كفيله بنجاح القصد ، ومغانمه في سبيل الله تعرب عن الاجتهاد في قهر الأعداء والجد " ومنها ما يوظف الكاتب اسم البلاد كقوله : " ولا زال النصر حلبة أيامه ، وشامة شامه وغمامة ما تلف على بلده المخضر من غمامه " (٢) .

ومن ذلك لنائب حلب في توظيف لقبها ، الشهباء في تورية على اسم الفرس الشهباء ، قوله : " ولا زال يعد ليوم تشيب منه الولدان ، يعد دونه كل محارب بينه وبين الشهباء والميدان ، ويعم من كل أيامه ما لا يفقد معه الاسم ابن حمدان " ومنها قوله : " وأعلى له من الأقدار قدراً ، وضاعف لديه من لدنه سروراً وبشراً ولا أعدم الممالك من عزائمه تأييداً ونصراً " وكذلك قوله :

(١) القلقشندي صبح الأعشى ج ٧ ، ص ١٤٥

(٢) المصدر نفسه ج ٧ ، ص ١٤٥-١٤٦



" وأخصه بجميل المناقب ، وأمنحه من المزيد علو المراتب ، وضاعف لديه من الإيثار شريف المواهب " (١) .

وثمة دعاء يظهر فيه توظيف اسم المكان بشكل جلي ، ذلك دعاء لنائب سلطنة حماة يقول فيه : "وحمى حماة ، وزان موكبه بأحسن حماة وحسن كنائن سهامه ، التي لا يصلح لها غير بلدة حماة" ، ودعاء آخر يصلح لنائب الكرك ومن في معناه ممن رتبته المجلس العالي : " وأيد عزه ، وأيد حزمه ، وفوق إلى نحر الغراء سهمه " (٢) وهنالك من الأدعية ما يناسب أرباب السيوف دون غيرهم ، أورد القلقشندي أدعية كثيرة نذكر منها قوله : " لا زالت ترد بالسيف صدور الكتائب ، وترد الظماة منها مورد السحائب ، وتحدث عن البحر وكم في البحر من عجائب" ومنها قوله : " لا أخلى الله من ودها ولا قطع وظائف حمدتها ، ولا قضى مغايبها إلا جعل لها ذكرى بعدها " وآخر منها : " لا زالت في تقليد المنن سابقة في الجود العزى ، مقتسمة في مكارم التكريم : باطنها للندى وظاهرها للقبل " (٣) .

لا حظ الباحث أن هذه الأدعية ، قد استنبطت معانيها مما اختصت به السيوف ، سواء كانت صفات لها ، أم مما تقوم به من في الحروب .

(١) المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ١٤٨ - ١٤٩

(٢) المصدر السابق نفسه ، ج ٧ ، ص ١٤٣ - ١٥٣

(٣) المصدر السابق نفسه ، ج ٨ ، ص ١٩٢ - ١٩٣

كما أن هنالك ألقاباً اختصت بأرباب الأقلام ، تؤخذ معانيها من بعض المعاني المختصة بالأقلام ، وتلك المعاني التي يتداولها من يتعامل بهذه الصنعة ، ومما ذكره القلقشندي في هذا المجال قوله : " لا بردت مفاخره مفصلة ومحبتها في الخواطر ممثلة ، والكواكب تود لو فارقت فلکها وأصبحت لديها مسبلة " ومنها : " لا زالت صحائف الإحسان مسطرة ، ولقلوب الأعداء مفطرة ، وصنائع المعروف إذا أمسكت الأخواء ممطرة " (١) .

وثمة أدعية تكتب في المناسبات ولكل مناسبة أدعية تناسبها على وجه الخصوص ، وتكون هذه الأدعية دالة على المناسبة ، فيما يكتب في الهناء غير ما يكتب في العزاء ، " فإنه متى خرج الدعاء عن المناسبة وباين المقصود ، خرج عن مادة الصناعة ، وتوجه اللوم إلى الكاتب ، لاسيما إذا أتى بما يضاد المراد " (٢) .

ويبقى الاختلاف قائماً بحسب حال المكاتبات ، ففي معنى البشارة بجلوس الملك على تخت الملك وكتب : " لا زال أمره وأمتعته من البشائر بما يتضح على جبين الصباح بشره ، وما يترجح على ميزان الكواكب قدره ، وما يفسح عن أوقات أمن ، آيات النصر تشي عليه من صحف البشائر ، ونفائس

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٦ ، ص ٢٨٧

(٢) المصدر نفسه ، ج ٦ ، ص ٢٨٧

الظفر تجلى على سره في أسعد طائر ، وفواتح الفتح تزهى به الأسرة ،  
وتزهو بنوره المنابر " (١) .

ومنها ما يكتب في التهئة بعافية بقوله : " ولا برح في برد الصحة  
راكنا ، ولا زال الزمان بعزمه وحزمه كافلا ، والإقبال لجنابه العالي بالهناء  
بعافيته واصلا " (٢) .

وقد يكون الدعاء مناسباً للحال الذي يكون عليها المكتوب إليه ، فيكتب  
لمن خرج إلى الغزو : " وحظه بلطفه فلا يخيب ، وهياً له النصر والفتح  
القريب ، وجعل على يديه دمار الكفار ، حتى لا يبقى لهم من شدة بأسه من  
السلامة نصيب " ، وكذلك يكتب لمن خرج إلى الصيد : " وأمتعته بصيوده ،  
وجعل الأقدار من جنوده ، وأراه من مصارع أعدائه بسيوفه ورماحه ، ما يراه  
من مصارع صيد بازاته وفهوده " ومنه ما يكتب لمن خرج في سفر : " وقضى  
بقرب رجعتة ، وجعله كالهلال في مسيره سبب رفعته ، وسكن بقدمه أشواق  
أوليائه وأهل محبته " (٣) .

وتارة يكتب باعتبار الوظيفة التي يزاولها المكتوب إليه ، من ذلك ما  
يكتب إلى قاضٍ : " وفصل بين الخصوم بأحكامه المسددة ، وأقضيته التي بها

(١) المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٢٨٧ - ٢٨٨  
(٢) المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ، ص ٢٨٨  
(٣) المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ، ص ٢٨٨

قواعد الإسلام ممهدة ، وأبنية الشرع المطهرة وأركانه المشيدة " ومنها ما يكتب للمتصوف : " وأعاد من بركان تهجداته وأنار الليالي بصالح دعواته" (١) .  
ومن الأمور التي تؤخذ بالاعتبار في الدعاء لقب أو اسم المكتوب إليه ، فمن ذلك ما يكتب لمن لقبه سيف الدين : " ولا زال سيفه في رقاب أعدائه مغمداً ، ومدّه يزر كل مُلجِدٍ ملحداً " ويكتب لمن لقبه عز الدين بقوله : " ولا زال عزه دائماً والزمان في خدمته قائماً ، وطرف الدهر عن مراقبة سعادته نائماً " وكذلك لمن لقبه شمس الدين : " ولا زالت شمس سعادته مشرقة ، وأغصان فضله بالعوارف مورقة ، وعيون طوارق الغير عنه في محل زمن مطرقة " أما لمن لقبه ناصر الدين فيكتب له : " ونصر عزائمه وشكر مكارمه ، ووفر من الحسنات مغانمه " (٢) .

وقد أجزى الدعاء لأهل الكفر ، وأجاز العلماء من ذلك الدعاء لهم بطول البقاء ، ولعل ذلك عائد لما فيه فائدة تعود على المسلمين ، من دفع الجزية أو الغنيمة أو أجر الجهاد ، إلى أن الدعاء لهم يقتصر على ما لا يعين على المسلمين ، أو يجلب لأهل الكفر منفعة فقد عوتب الشافعي \_ رضي الله عنه \_ عندما دعا لنصراني بقوله : " أعزك الله فلربما ذلك أدى إلى انتكاس حال المسلمين " ، وقد استدلوا على جواز الدعاء لهم بما روي أن الرسول ﷺ \_

(١) المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٢٨٩  
(٢) المصدر السابق نفسه ج ٦ ، ص ٢٨٩

استسقى فسقاه يهودي ، فقال له جملك الله ، فما روي الشيب في رأسه حتى مات ! فدل على جواز الدعاء للكافر بما لا ضرر فيه للمسلمين ، ما لم تنظر إليه قوة ونحو ذلك " (١) .

وقد رتبوا المكاتب بالدعاء على ثلاث مراتب : المرتبة الأولى \_ الدعاء للمقر ، وثمة فوارق فيما يكتب في هذه الرتبة من الأدعية ، فإن كان المكتوب له من أرباب السيوف ، كتب له : أعز الله أنصار المقر الكريم ، ثم يؤتى بألقابه ثم يدعى له بما يناسبه مثل : " ولا زالت جيوشه جائلة ، وجنوده بين الأعداء وبين مطالبها حائلة ، وأولياؤه على سهوات خيلها لديه قائلة " وكذلك مثل قوله : " ولا برحت الآمال بكرمه تعترف ، وبوارق صوارمه لأبصار الأعداء تختطف " .

أما إذا كان من رؤساء الكتاب ، فيكتب له : بسط الله ظل المقر ، أو أسبغ الله ظلال المقر الكريم ، ثم يؤتى بألقابه ، ويتلو ذلك بما يليق به من دعاء مثل قوله : " ولا زالت الأمور إليه مفوضة ، ومضارب العز إلا عنه مقوضة ، وصحائف الحسنات بتسويده على أثناء الدهر مبيضة " ومثله : " وصرف لسان قلمه ، وشرف مكان قدمه ، وعرف من كان يناويه أنه أصبح لا يعد من خدمه " (٢) .

المرتبة الثانية : الدعاء للجناب وهو على ثلاث طبقات :

(١) المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٢٨٦  
(٢) المصدر نفسه ، ج ٨ ، ص ١٩٥ - ١٩٦

الطبقة الأولى \_ " أعز الله نصره الجناب الكريم " ، فإن كان المكتوب إليه من أرباب السيوف كتب له : أعز الله نصره الجناب الكريم ويؤتى على ألقابه ، ثم يدعى له ومن ذلك قوله : " ولا زالت عزائمهم تعير السيوف المضاء ، وتعلم السهام النفوذ في الفضاء " ومثله أيضاً : " ولا زال جنابه مرتعاً ، وسحابة مربعاً ، ورعبه لا يدع من قلوب الأعداء موضعاً " . أما إن كان من الكتاب كتب له : أدام الله الجناب الكريم ، ويتلو ذلك بألقابه ، ثم يدعو له بمثل قوله : " وبلغه أشرف الرتب ، وملاً به قلوب الأعداء غاية الرعب ، وشكر ندى قلمه الذي لم يدع للغمام إلا فضل ما وهب " وإن كان قاضياً كتب له : أعز الله أحكام الجناب الكريم العالي ، ويتبع ذلك ألقابه ، ثم يدعو له كقوله : " ونور الله بعلمه البصائر ، وسر بحكمه السرائر ، وجعل فيض يمه مما لا تودع درره إلا في الضمائر " (١) .

الطبقة الثانية : " ضاعف الله تعالى نعمة الجناب العالي " ، وهنا أيضاً تختلف الأدعية حسب المكتوب له فإذا كان من أرباب السيوف كتب له : " ولا زال عزمه مؤيداً وعزه مؤيداً ، واجتهاده وجهاده هذا يسر الأولياء ، وهذا يسوء العداة " وأن كان من الكتاب فيدعى له بقول : " ولا زال يرجع لكل جليل ، ويأمل لكل جميل ، ويأهل لكل منهي تقصر دونه أصابع النيل " فإن كان من القضاة ، كتب له : " دفع عنه الأباطيل ، وأرشد بهداه من الأضاليل "

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٨ ، ص ١٩٧ \_ ١٩٨

ويكتب لرجال الصوفية بمثل قوله : " نفع الله بدعوته التي لا حجاب لها عن الإجابة ، ولا عارض يمنعها عن الإصابة وأمتع ببركاته التي هي أمن للناس ومثابة " (١) .

الطبقة الثالثة : " أدام الله نعمة الجناب العالي " فإذا كان من أرباب السيوف دعي له بالقول : " وموه بجهاده كل سنان ، ونبه بجلاده جفن كل سيف وسنان " فإن كان من الكتاب كتب : " ولا زال قلمه لأبواب الأرزاق فاتحاً ، ونجم رफده لأنواء الفضل مانحاً " وإن كان من القضاة كتب له : " ولا أخلى الله أفق الفضل من كوكبه ولا مجال الجدل من مركبه " وإن كان من مشايخ الصوفية كتب له بعد الألقاب نحو : " نفع الله ببركاته خلواته التي كم أنجلت عن الرشاد ، وبان في مرآتها نور الهدى للعباد ، وأنارت إنارة الشمس لا إنارة الزناد " (٢) .

المرتبة الثالثة \_ " الدعاء للمجلس ، ويختص بالمجلس العالي "

ويكتب لأرباب السيوف في هذه الرتبة بقوله : أدام الله تعالى نعمة المجلس العالي ، ويتلو ذلك ألقاب المكتوب له ، ثم يؤتى بدعاء مثل قوله : " ولا زال سيفاً يدفع مجده ، ويجري ماء النصر من فرنده ، ويتنوع به الظفر فيقتل بتجريده ويخاف وهو في غمده ، وإن كان من الكتاب قيل في الدعاء له : " ولا نزع عنه ثوب سعادة ، ولا غير منه جميل عادة ، ولا عرف سوى بابه

(١) المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ١٩٩ \_ ٢٠٠

(٢) المصدر السابق نفسه ، ج ٨ ، ص ٢٠١ \_ ٢٠٢

الذي لو كان له الحق في جبهة الأسد لاستعاده". ويقال في الدعاء للقضاة :  
"ولا برحت طلعتة مفيدة المطالب ، ومورية الهدى في الغياهب ، قائمة أقلام  
هدايتها في ليالي الحيرة مقام الكواكب " .

وإن كتب لمشايخ الصوفية قيل " أعاد الله من بركاته على الراعي  
والرعية ، وجعل خلواته خلوات كل نفس مرضية " (١) .

ما كره من الأدعية :

وقد كره استخدام بعض الأدعية لما فيها من تملق وتصنع مكشوف ومن  
ذلك قولهم : جعلني الله فداك ، أو قولهم : قدمني إلى السوء دونك ويؤيد ذلك  
ما كتبه أحد الكتاب \_ وهو أخبر في أضرب الدعاء \_ حيث قال : " جعلت  
فداك في الصحة والحقيقة ، لا على مجرى المكاتبة ومذهب العادة " على أن  
ذلك يعتبر من الأمور الجائزة في الدعاء من الخواص ، الذين يرون أن بقائهم  
مرهون ببقاء رؤسائهم وأن ثبات نعمهم مقرون بثبات السلطان ، وأما من ذهب  
لكراهية مثل هذه الأدعية لما روي عن الزبير \_ رضي الله عنه \_ ، أنه قال  
للنبي \_ ﷺ \_ : " جعلت فداك \_ قال له أما تركت أعرابيتك بعد !! " ومن ذهب  
لجواز هذه الأدعية ، فقد استند إلى قوله عليه السلام ، لسعيد بن مالك في  
معركة أحد : " إرم فداك أبي وأمي " وما روي عن ابن عباس رضي الله

(١) المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٢٠١ \_ ٢٠٢



عنهما أن النبي ﷺ \_ قال له : " الا اكلمك كلمات ينفعك الله بهن؟ قال نعم جعلني الله فداك " ولم ينكر عليه (١) .

هنالك من الأعدية ما يكره استخدامه للرجال على وجه الخصوص ، فلم يستحسنوا الدعاء بالإمتاع نحو أمتع الله بك ، وأمتعني الله بك في حق الإخوان ، أما في حق الاتباع فقد أجازهم بعضهم ، محتجين على ذلك بأن الرسول ﷺ \_ دعا لأبي اليسر كعب بن عبيد الله بقوله : " اللهم أمتعنا به " قال ابن عفير فكان آخر أهل بدر وفاة مات سنة ٥٥ للهجرة (٢) .

ومن الأدعية ما يكره استخدامه في الدعاء للنساء ، من ذلك أن لا يقال في مكاتبتهن " وأدام كرامتك " ولا " أتم نعمته عليك " ولكن لديك ، ولا " فضله عندك " ولا " وأدام سعادتك " وحول كراهية الدعاء لهن " بالكرامة " فذلك لما حكاه محمد بن عمر المدائني ، أن بعض عمال زبيدة ، كتب إليها كتاباً بسبب ضياعاً لها ، فوقعت له على ظهر كتابه : " أردت أن تدعو لنا فدعوت علينا ، فأصلح خطأك في كتابك وإلا صرفناك عن جميع أعمالك ! " فأدركه القلق فجعل يتصفح الكتاب ويعرضه على الكتاب فلا يجد فيه شيئاً إلى أن عرضه على بعض أهل المعرفة فقال : إنما كرهت دعائك في صدر كتابك بقولك : وأدام كرامتك : لأن كرامة النساء دفنهن \_ قال رسول ﷺ : " دفن البنات من

(١) المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ، ص ٢٩٠ \_ ٢٩١

(٢) المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ، ص ٢٩٢

المكرمات ) فغير ذلك الحرف من كتابه وأعادها إليها فوقعته على ظهره \_  
أحسننت ولا تعد \_ وأما كراهية الدعاء بأتم نعمته عليك وأبدله بلفظ وأتم نعمته  
لديك : فكأنه لما يلمح فيه من ذكر العلو على النساء " (١) .

وكذلك على الكاتب أن يتجنب الخلاف في الدعاء في فصول الكتاب ،  
ولا يوالي بين دعوتين متفقتين . فأما الخلاف بالدعاء مثل أن يقول : " أطال  
الله بقاء سيدي " بلفظ الغيبة ؛ ثم يقول بعد ذلك : وبلغك أملك \_ بلفظ الخطاب  
. وأما الموالاتة بين دعوتين ولا يأتي بهما متفقتين مثل : حرس الله الأمير أعزه  
الله ثم يقول في الفصل الذي بعده : أعزه الله تعالى (٢) .

وعلى الكاتب أن يتنبه لوقوع اللبس في الدعاء ، فإذا ذكر الرئيس مع  
عدوه لم يدعُ للرئيس حينئذ ، فلو قال : " وقد كان من عدو سيدي \_ أبقاه الله \_  
كذا " لاحتل عودة الدعاء للرئيس ، وإلى عدوه فيقع اللبس . ولكن إذا ما ذكر  
الرئيس وحده فإنه يؤمن اللبس بقوله : " وقد كنت عرفت سيدي \_ أبقاه الله \_  
كذا " (٣) .

\_ مواضع الدعاء ، ويرى القلقشندي أن للدعاء ثلاثة مواضع :  
الموضع الأول في الطرة الولاية ، بعد ذكر ما يكتب في الطرة من ألقابه ، ولا  
يزاد فيه على دعوة واحدة تناسبه ، الوضع الثاني : في أثناء الولاية ، وذلك

(١) المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٢٩٢

(٢) المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ، ص ٢٩٣

(٣) المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ، ص ٢٩٣

بعد استيفاء الألقاب وذكر الاسم ، وهو ما في الطرة من الدعوة المناسبة له  
بغير زائد على ذلك . الموضوع الثالث : في آخر الولاية بالإعانة ونحوها ،  
ويكون أقلها دعوتين ، وأكثرها أربع دعوات ، على أن من استُصغر من  
المولين لا يدعى له في آخر ولايته (١) .

---

(١) المصدر السابق ، ج ٩ ، ص ٢٦٩

## التهنئة

تعتبر التهنئة أحد المظاهر الاجتماعية الضاربة في القدم ، إذ هي تعبير مباشر عن عواطف الاجتماع البشري ، فمن طبع الإنسان أن يسر بما يسر به صديقه أو قريبه ، فلا تكتمل سعادة الإنسان بما طرأ عليه من أسباب السعادة ، دون أن يقاسمه السرور ، إخوانه وأصدقاؤه المقربون ، ومن هنا حرصت المجتمعات وعلى اختلاف بيئتها ، على توطيد العلاقة فيما بين أفرادها ، وتنظيم أساليب المجاملات بين الناس ، وإظهار الغبطة ، وإعلان السعادة ، عندما تتوفر اسباب الابتهاج ، عند من يرتبطون معهم بأسباب الاتصال (١) .

وكتب التهاني ، من التي تظهر فيها مقادير إفهام الكتاب ، ومنازلهم في الصناعة ، ومواقعهم من البلاغة ، وهي من ضروب الكتابة الجليلة النفيسة ، لما في التهنئة البليغة من الإفصاح بقدر النعمة، والإبانة عن موقع الموهبة ، وتضاعف السرور بالغبطة. وأغراضها ومعانيها متشعبة لا تقف عند حد(٢) .

ولما كان هذا النوع من المكاتبات، لا يقيدته فوارق اجتماعية، إذ قد يكتب الرئيس إلى مرؤوسه، أو يكتب المرؤوس إلى رئيسه، بما يطرأ من مناسبات تستوجب ذلك، فإن القلقشندي ينبه على الكتاب مراعاة مرتبة المكتوب إليه والمكتوب عنه في الرسالة اللائقة بهما ، إذ أنه لا تسامح بمثل هذا (٣) .

(١) علي بن محمد : النثر الأدبي الأندلسي في القرن الخامس ، دار المغرب الإسلامي ، بيروت لبنان ط ١٩٩٩ ، ج ١ ، ص ٣٥٦

(٢) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٩ ، ص ٥

(٣) المصدر نفسه ، ج ٩ ، ص ٦

وقد طرق القلقشندي هذا الباب من الرسائل ، فكتب في العديد من مواضيعه ، من ذلك رسالة نظمها يهنئ فيها المقر البدري محمود الكلستاني ، الشهير بالسراي ، باستقراره في كتابة السر الشريف في سلطنة برقوق ، في الدولة الظاهرية في الدولة المصرية يقول فيها :

رفعت للمجد مذ وليت بنيانا      وشدت للفضل بعد الوهن أركاننا  
وأصبح الملك في زهو ومالكة      يمس عجباً ، وهناً التخت إيوانا  
قدمت مصرأ فأمست منك في فره      تهز بالبشر من لقياك أردانا  
وغودر النيل مذ وافيت مبهجاً      وقد رمى الصد والإبعاد جيحانا (١)

بدأ القلقشندي ، هذه الأبيات ، بعقد مقارنة ، بين ما كان عليه الحال قبل مجيء الممدوح ، وبعد استقراره في الديوان ، ويستخدم المجاز في التعبير عن هذا التغير ، الذي طرأ على الديوان ، فيشخص المجد والفضل ، ويجعل لهما بنياناً يرفع ، وإيواناً يشيد .

ويظهر الكاتب فضل الممدوح بشكل كبير عندما يصل تأثيره إلى الملك ، أي قمة الهرم في الدولة ، ويبان ذلك على الملك فيسير تيههاوعجبا ، ويتسع الرخاء حتى يعم مصر بأكملها فتهتز الأردنان تعبيراً عن نشوة الفرخ .

وينتقل الكاتب لايضاح دواعي وأسباب تلك المكانة ، التي احتلها

الممدوح فيقول :

(١) المصدر السابق ، ج ٩ ، ص ٢٢

ألفاظك الغرّ صارت للورى مثلا وكتبك الزهر بعد اللثم تيجانا  
تفوق قسا اذا تبدو فصاحتها وتفصح المصقع الملاق سبحانا  
قد أفحمت في مجازات بلاغتها تركا وروما وبعد الفرس عربانا  
فالدارس لهذه الأبيات يرى أنها تشي بمهنة الممدوح ، اذ هي ذات  
علاقة بالكتابة ، ولما اتصفت به مقدرة الكاتب ، فإنه تبوأ هذه الرتبة العلية في  
ديوان الإنشاء ، فألفاظه أصبحت أمثالا تحتذى ، وكتبه تتوج بها الهامات ،  
والقلقشندي مغرم بأسلوب المقارنة ، حتى فيما يكتب شعرا ، فيجعل ممدوحه  
متفوقا في الفصاحة ، على الخطيب الجاهلي المشهور ، بالفصاحة قس بن  
ساعده ، واذا كان هذا الأخير قد اشتهر في مجال الفصاحة في النثر ، فإن  
ممدوحه قد تجاوز النثر إلى الشعر أيضا ، فهو يربو بفصاحته على سبحان بن  
وائل الشاعر المشهور ، وبذا فإن الممدوح ذو فصاحة تربو على الشعر والنثر  
، بل إن فصاحته وبلاغته قد بزت غير العرب من الترك والفرس والروم .  
والكاتب يرى أن ممدوحه قد أغنى عن كل من سبقه ممن تولى في هذا  
المنصب ، فلا أسف عليهم إذا ما ولّوا ، إذا بقي الممدوح في مركزه .  
ولا بد من التنويه لاستخدام الباحث كلمة " الممدوح " وتكرارها ، مع  
أن الموضوع الذي كتبت فيه هذه الأبيات هو التهئة ، وليس المدح ، ولكن ما  
يراه الباحث أن الأبيات جاءت معبرة بأسلوب مدحي ، أكثر منه تعبيراً عن  
تهئة ، ولعل ذلك ما دفع القلقشندي لكتابتها شعرا ، مع أنه يفضل النثر على

الشعر ، فالمدح من كان موضوعه الشعر ، على أن المدارس للأبيات يجد الشاعر فيها جرح للضرورة ، كما في القافية مما أظهر الخلل عنده في المعاني ، كذكره " سحبان بن وائل " وهو لا يمتاز على غيره من الشعراء كثيراً ، كما امتاز " قس بن ساعدة " على الخطباء في الخطابة .

وكذلك تقديمه " للترك والفرس والروم " على العرب ، إذ أن العرب فاقتهم في الفصاحة والبلاغة ، فيرى الباحث أنه ليس من دافع وراء ذلك إلا اضطراره للقافية النونية ، التي بدأ بها قصيدته ، وللقشندي تهنئة أخرى ، كتبها نظماً ، يهنئ بها المقرّ الأشرف الناصري محمد بن البارزي ، كاتب السر الشريف المؤيدي ، في الممالك الإسلامية بمناسبة حلول شهر رمضان ، وكان ذلك سنة ست عشرة وثمانمائة للهجرة الشريفة ، يقول فيها :

أيا كاتب السر الشريف ومن به      تميمس نواحي تيهامع الشام  
ومن جلتُ الجليّ كتائب كتبه      ومن ناب عن وقع السيوف بأقلام

ويستهل القشندي هذه التهنئة كذلك بمقدمة مدحية ، ولعل السر في ذلك أن النفس الإنسانية أميل لسماع الثناء في استهلال الأحاديث . ويُلاحظ قرب الشاعر من المكتوب له - سواء القرب النفسي ، أو المكاني - من الاستفتاح بالنداء واستخدام الهمزة كأداة نداء للقرب والتحبب ، كقولك : ( أبني ) فهو يخاطبه عن مقربه ، ويكون النداء له باسم الوظيفة التي يشغلها ، مما يدل على أن المنادى يرغب في ذلك لعلو رتبة وظيفته ، وإلا لناداه باسم أو كنية أخرى

، مما يحبب إليه ، و ثمة سبب لاختياره المخاطبة باسم الوظيفة ، فهو كاتب  
يصور الشاعر كتبه بالكتائب ، وأقلامه ذات وقع أشد من بتر السيوف ، وبذا  
استحق أن يفخر بوظيفته وتقدم على كناه وألقابه .

فبعد هذه المقدمة المدحجية يأتي بيتين يحملان التهنئة بقوله :

تهنّ بهذا الصوم والعيد بعده      ومن بعده بالعيد والعام فالعام  
وترقى رقي الشمس في أوج سعدها      وتبقى بقاء الدهر في فيض انعام  
والتهنئة في هذه الأبيات تأتي صريحة باللفظ ، وهي مقرونة بالدعاء  
للمكتوب له بطول العمر ، وكذلك الارتقاء في سلم المجد .

ويفطن القلقشندي إلى أهمية الناحية الفنية في الشعر ، كما هي في  
النثر ، فيلاحظ الدارس لهذه الأبيات الموسيقى الداخلية ، الناجمة عن اختيار  
أحرف معينة لتشكيل هذه الموسيقى كقوله : " والعيد بعده ، ومن بعده العيد  
والعام فالعام " فتردد حرف العين وحرف الدال والقاف في قوله " وترقى رقي  
\_ تبقى بقاء " ويعطي للأبيات جرساً موسيقياً يرتاح له السامع . وثمة تهنئة  
نظمها القلقشندي نثماً للأشرف الناصري محمد بن البارزي ، صاحب دواوين  
الانشاء الشريف ، بالممالك الإسلامية في الدولة المؤيدية " شيخ " بمناسبة عيد  
الفر ، بعد أن قضى للقلقشندي حاجة كان سألها إيها .

سألت نظام الملك كاتب سره      ازالة ضنك أرفه الدهر حده

فمن بجاه زرع الأرض وقعه      وجاد بمال لا يرى الفقر بعده



وبالبارري اردان وصف محارم فاتبه في فضل اباه وجده  
فيهناه صوم ثم عيد مسرة وطالع إقبال يقارن سعده  
ورفع دعاء لا يغب تتابعاً وطيب ثناء خامر المسك نده (١)

يستهل القلقشندي قصيدته التي كتبها في التهنة، بتمهيد مدحي من خلال  
ايراد تلخيص حادثة وقعت أحداثها بين الشاعر والمكتوب له، يشير فيها أنه  
سأل المكتوب له معونة، تعينه على ضيق ألم به، فيصف هذه الضائقة؛ وكأنها  
السيف على عنقه، وأن الزمن عمل على إمضاء حده، فأزال المكتوب له هذه  
الضائقة، ومنحه من العز ما جعل الأرض تهتز له، ومن المال ما يخفي الفقر  
من حياته .

ولعله من الممكن وصف هذه المقدمة بأنها وصفية قصصية، وإن كانت  
تتضمن المدح في ثناياها، ويبلغ المدح أقصاه في البيت الثالث، عندما يجعل  
الشاعر الفضائل تزدان بالمدوح، ويعتبر أن هذا الأمر متوارث فبذلك يشبه  
المدوح آباه وأجداده .

ثم يأتي بعد ذلك بالتهنة والدعاء للمهنىء .

وقد لاحظ الباحث أن القلقشندي قد خص موضوع التهاني \_ وحسب ما  
توفر لديه من نصوص \_ بالشعر دون النثر، ولعل ذلك عائد \_ كما أسلفها \_  
لقرب موضوع التهنة من المديح، إذ لا يخلو نص من نصوصه من المديح

(١) القلقشندي: صبح الاعشى، ج ٩، ص ٤٥

للمكتوب له ، وبالتالي فإن المديح بيته الشعر ، عرف به منذ العصر الجاهلي ،  
وإن القلقشندي قد ارتأى الشعر أكثر مناسبة للمدح ، ولو لم يكن كذلك لكتب  
فيه نثراً ... إذ هو من قدم النثر على الشعر .

## الاستماحات

يتسم هذا النوع من الرسائل بأنه ذو طابع شخصي ، موجه من كاتبه إلى صاحب الشأن والمسؤولية ، مؤملا الكاتب من ذلك قضاء حاجة ، أو تلبية رغبة ، وغالبا ما يكون هذا المسؤول ، هو القادر على قضائها وتلبيتها . وتتنوع هذه الحاجات والرغبات كطلب المنح المالية ، أو تولية المناصب والوظائف ، أو إزالة جور أو ظلم حل للكاتب .

وهذا ما يعود بالذاكرة لأولئك الشعراء ، الذين وظفوا شعرهم بهدف التكسب ، فدفعهم ذلك لإلباس ممدوحهم الصفات الجليلة ، ابتغاء الحصول على العطاء الجزيل ، وتلبية الرغبات المبتغاة (١) .

ولما كانت الحاجات تتنوع والرغبات تختلف لدى الكاتب ، فإننا نجد تنوعاً وتمايزاً في تشكيل هذه الرسائل ، وإن كان ثمة اشتراك في رسم صورة الممدوح ، فهو ذو كرم وجود ، وهو صاحب نخوة وشهامة ، يلبي حاجة الملهوف ويغيث المحتاج ويزيل الظلم عن الم به .

وقد أدرك القلقشندي هذه الأمور فأشار إلى ذلك بما أخذه صاحب " مواد البيان " يقول : " ورقاع الاستماعة يختار أن تكون مودعة من الألفاظ ما يحرك قوى السماح ، ويبعث داعي الارتياح ، ويوجب حرمة الفضل السهلة

(١) انظر محمد الدروبي : الرسائل الفنية في العصر العباسي ، ص ٢٢٢

بذل المال الصعب بذله ، إلا على من وفر الله مروءته ، وأرخص عليه أثمان  
الحامد وإن غلت " (١) .

وثمة ما يدعو للتنبية عليه ، وهو أن هذا النوع من الرسائل يحتاج إلى  
جواب ، وأن هذا الجواب يحمل في طيه أحد أمرين : فإما يكون بالإيجاب  
وتلبية الحاجة ، وإما أن يكون سلباً ويمنع صاحب الرسالة حاجته ، ولا يخفى  
ما لذلك من أثر نفسي سيء على الكاتب ، إضافة لمنعه حاجته ولذلك فإنه :  
"ينبغي للكاتب أن يتلطف فيها ، التلطف الذي يعود بنجاح المرام ، ويأمن من  
الحصول على إراقة ماء الوجه والخيبة ، بالرد عن البغية ويعدل عن التثقل  
والإلحاف المضجرين ولا يضيق العذر على السماح ، إلا أن يتمكن للثقة به ،  
ويعلم المشاركة في الحال " (٢) .

ولعل القلقشندي صاحب الخبرة في شطري الأدب \_ نثره وشعره \_ وهو  
من قدم النثر على الشعر \_ يرى أن الشعر أكثر ملائمة لهذا النوع من الرسائل  
، لما امتاز به من رقة الألفاظ ، ومقدرة على تحريك لواعج الصدور ،  
فاختاره لينظم أبياتاً لأمير المؤمنين ، المستعين بالله أبي الفضل العباس  
ليستسمحه حاجة ، وقد حضر مجلسه ولده يحيى وأخواه داود ويعقوب .

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٩ ، ص ١٧٦ / وانظر علي بن خلف الكاتب : مواد البيان ، تحقيق حسين عبداللطيف ،  
منشورات جامعة الفاتح ١٩٨٢ ، ص ٦١٨ .

(٢) القلقشندي : صبح الاعشى ، ج ٩ ، ص ١٧٦

بقوله :

إن رمت أن تحطى بنيل مآرب      فبادر إلى العباس من آل عباس  
إمام به ثغر الخلافة باسم      وعرنينها يسمو على قمة الراس  
أبى الفضل إلا أن يكون لأهله      دواماً وأن يدعى أباً الفضل في الناس  
فلمستعين أقصد تجد خير منجد      حريص على المعروف يبرأ بإناس  
فيحيا له يحيى وداود له صنوه      ويعقوب أعضادا وحصناً من الباس (١)

يلاحظ الباحث أن القلقشندي قد ابتعد عن التصريح بطلب حاجته في هذه الأبيات ، واكتفى بالتلميح لها من خلال استخدامه ضمير المخاطب " إذا رمت " ، وكان حديثه موجه لصاحب حاجة آخر ، وليس للخليفة ، فهو يدعو من كان ذا حاجة إلى التوجه للعباس الخليفة ، وكان الحديث الدائر ليس في مجلسه وبحضرته ، وربما كان ذلك أبلغ لاشعار القارئ أن الأبيات قيلت بعيداً عن الخليفة ، وإن ما ورد فيها ليس من باب التزلف والتقرب ، وإنما هي وصف لحال قائم ، فيصور أن ثغر الخلافة باسم بالامام ، والتبسم والبشاشة من الدوافع التي تدفع صاحب الحاجة لطلب حاجته ، وكيف إذا ما علمنا أن الخلافة هي التي تبسم ؛ لوجود الخليفة على رأسها ، فإن ذلك أدعى للاستبشار بالخير .

ويوظف الشاعر كنية الممدوح ( أبو الفضل ) ليجعل الفضل باحثاً عن

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٩ ، ص ١٨٠

العباس ، ليدعوه الناس بهذه الكنية ، فهو لم يبتدعها وإنما الفضل من أراد ذلك ، ويتابع الدعوة للإقبال على الخليفة ، وبذلك يستحث الخليفة على إجزال العطاء له ، فيصفه بأنه خير من قدم العون ، والحريص على تقديم العون مؤنساً لمن قصده .

أما البيت الأخير فيأتي مفيداً بالدعاء للممدوح بالبقاء وطول العمر لابنه يحيى ، وأخويه داود ويعقوب ، ليكونا له درعاً يحميه من صروف الدهر .

وهناك رسالة أخرى كتبها القلقشندي في الموضوع نفسه ، قصد بها قاضي القضاة ، شيخ الإسلام ، جلال الدين عبد الرحمن بن عمر البلقيني يطلب فيها حاجة وقد جاءت نظماً يقول فيها :

أيا شيخ إسلام وقاضي قضااته      ومن قد سما في الناس علماً ومنصبا  
لقد عم نوء مئتك كل مؤمل      وحاش لبرق شمت يظهر خلباً \*  
أأحرم معروفاً له كنت أرتجي      ويحجب ذو بُعدٍ من القوم أقربا  
وما زلت أرجو من زمانك رفعة      ولكن جواد الحظ بالبعد قد كبا  
ولن يستعريض الخفض بالرفع ماجدٌ      خصوصاً ومن أخرت ما نال مطلباً  
ولست أرى منى إليك وسليّة      سواك وحسبي باعتلاك تقريباً (١)

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٩ ، ص ١٨٠  
\* خلب : السحاب يومض برقه حتى يرجع مطره ، ثم يخلف وينقشع ، ويشبه به من يعد ولا ينجز / المعجم الوسيط مادة خلب / القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٩ ، ص ١٨٠

إن أول ما يجلب الانتباه في صيغة الخطاب ، التغاير في هذه الأبيات على سابقتها ، ولعل مرد ذلك أن الأبيات الأولى كان صاحب الشأن هو الخليفة ، فانحاز القلقشندي إلى تجريد شخص آخر يخاطبه ، بل وتحدث عن الخليفة في صيغة الغائب ، لما للخليفة من مكانة رفيعة ورتبة عالية ، ربما كان من الكياسة تجنب استخدام ضمير المخاطب معها ، أما في هذه الأبيات فإن المخاطب " قاضي القضاة " وهي رتبة قد قاربها القلقشندي ، كما أنه لا يخفى على الدارس ، ما تشي به الأبيات من علاقة صداقة تربط الشاعر بالمدوح . ومع أن الخطاب جاء مباشراً للمدوح ، إلا أن القلقشندي يحافظ على إجلال مدوحه والثناء عليه ، بل قد يبالغ في ذلك فخير المدوح قد نال كل من ارتجاه ، فهو إن وعد أنجز .

ويلمح الباحث صيغة العتاب في الأبيات ، إذ لا تخل من روح الصداقة ، التي جعلت الشاعر يتأمل من مدوحه أن ينال ما يرتجي منه ، وأنه لم يتوقع منه هذا الحرمان .

وهناك أمر آخر لم نجده في الرسائل السابقة ، وهو التصريح بطلب الحاجة ، ولعل الدافع هنا ما ذكرناه بأنه لا تخلو علاقة القلقشندي ، من المودة والرحمة مع جلال الدين البلقيني ، وذلك واضح في البيت الأخير ، حيث يصرح الشاعر بأنه لا يملك وسلية للمدوح ، سوى المدوح نفسه ، مما يدل

---

على أنه من الأصدقاء والخلان المقربين له ، وللقلقشندي رسائل أخرى جاءت  
نظماً أيضاً طلب فيها حاجات من ذوي الشأن فيها (١) .

ويلاحظ الباحث أن هذه الرسائل ، التي نظمت جاءت على شكل  
مقطوعات ، تتوزع أبياتها بين مقدمة مدحية ، ثم التعريض أو التصريح  
بالحاجة المطلوبة ، كما أنها لا تخلو من الدعاء لصاحب الشأن أحياناً ، وهي  
تنبئ عن مقدرة شعرية لا بأس بها عند القلقشندي ، وإن كان أميل لاستخدام  
النثر في معظم الموضوعات التي كتب فيها .

---

(١) المصدر السابق ، ج ٩ ، ص ١٨١



## رسائل المفاخرات والمناظرات:

لما تعددت موضوعات الرسائل الأدبية ، فقد تبعها تعدد في أشكال التعبير عنها ، فمال الكتاب إلى ابتكار طرائق فنية جديدة ، يقدموا من خلالها رسائلهم ، التي تحمل أغراضاً شتى ، ولعلمهم أحسوا بأن التعبير عن تلك الموضوعات بالصورة النمطية يحتاج إلى التجديد ، وإدخال تغييرات عليه في الأسلوب والشكل ، فظهرت الرسائل التي تحتذي حذو المفاخرات <sup>(١)</sup>

والمفاخرات : ضرب من الرسائل ، التي يعمد فيها الكاتب إلى الحديث على لسان شخص ، أو يلجأ إلى انطاق الأدوات كالسيف والقلم ، والنباتات كالورود ، والمباني كالقصور : وغالباً ما تظهر على شكل حوارية يحاول كل طرف إظهار محاسنه ومناقبه والطعن في محاسن ومآثر الطرف الآخر ، وقد تكون بين أكثر من طرفين ، كالمفاخرة بين العلوم وفي هذه الحالة لاتصل لدرجة الحوارية الكاملة إذ أن كل علم ، يدحض ما قاله من قبله ويذكر محاسنه ، ثم يأتي العلم الذي يليه ليفعل فعلته ، دون العودة للاول ، فلعلها في هذا الجانب قريبة من المفاضلات لا الحواريات .

<sup>(١)</sup> محمد الدروبي : الرسائل الفنية في العصر العباسي ص ٤٠٩

وقد كتب الفلقشندي في كلا الصورتين ، فكتب مفاخرة بين العلوم ،  
أحصى بها نيفاً وسبعين علماً ، ذكراً محاسن كل منها ، مشيراً إلى ما يميزها  
عن غيرها من العلوم ، وله مفاخرة أخرى إعتد فيها الحوارية شبه الكاملة  
وهي بين السيف والقلم .

أما المفاخرة بين العلوم ، فقد أنشأها سنة ثمان وتسعين وسبعمئة ،  
لقاضي القضاة شيخ الاسلام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي حفص عمر  
البلقيني ، ابتدأها بعلم اللغة ، وختمها بفن التاريخ ، وقد ذكر ما إمتاز به كل علم  
 واحتج بما فيه من الفضائل دون غيره من العلوم (١) .

يبدأ الكاتب المفاخرة على شكل خطبة يستهلها بالحمد لله ، الذي منح  
العلم جلالاً جعل الفضائل والأقلام تلهج بالثناء عليه ، ثم التشهد والصلاة على  
الرسول عليه الصلاة والسلام ، الذي أتى بفصل الخطاب فأقر منه الخصوم  
وأهل البلاغة ثم تكون البعدية ، فيذكر أن العلوم بشتى أصنافها مشتركة في  
أصل الفضل ، وأن التفاوت في الشرف فيما بينها يعود لمدى حاجة الانسان لها  
، مع أن كل واحد منها يرى أنه الأفضل والأعلى بينها .

ويهيء للدخول في المفاخرة ، بفقرة يفتتحها باسم الإشارة " هذا " الذي يحمل حرف التنبيه " هاء " ، فيذكر أن العلوم اجتمعت ، وقام بينها الجـدال والتفاوض والتخاطب والتحاور ، كل يدعي الشرف لنفسه دون غيره ، فتفاخرت وتسابقت في تقديم الحجج والبراهين ، وطرح الأسئلة وإقامة الاعتراضات (١) .

يلاحظ الباحث أن القلقشندي بدأ المفاخرة بعلم اللغة ، ولعل في ذلك تقديماً للغة عند الكاتب على غيره من العلوم ، فهي الوعاء الذي فيه توضع بقية العلوم ، وبدلالاتها يميز بين الخاص والعام ، حتى أن الله \_ عز وجل \_ قد علمها دون غيرها ، لأدم \_ عليه السلام \_ فكانت له ميزة على الملائكة ، وربما كان هذا التقديم لهذا العلم مرده اشتغال القلقشندي فيه ، وميله للأدب ، ولذلك يلحظ الناظر أنه رتب العلوم لقربها من اللغة ، التي جعلها أول العلوم يتصدى لها علم الصرف ، فيحاول إيضاح ما وقع فيه علم اللغة ، من ترفعه على غيره من العلوم ، فيحاول جلب الأمثلة ليقرب المعنى ، الذي يرنو إلى توصيله للمتلقي ، " حظ قدر من ترفع على أبناء جنسه، ولو عقدت عليه الخناصر، وما يجري البازي بغير جناح، أو يغني الساعي إلى الحرب بغير سلاح، وأتى يطعن رمح بغير سنان، أو يقطع سيفاً لم يؤيد بقائم، ولم يقبض عليه ببنان " (٢)

(١) القلقشندي صبح الأعشى ج١٤ ، ص ٢٠٤ - ٢٠٦

(٢) المصدر نفسه ج١٤ ، ص ٢٠٦

ويواصل ذلك أنه مهما كان له من فضل ، وعراقة أصل ، فإنه غير مستقل بذاته ، ولا مستغن عن غيره ، فهو يعتمد على علم التصريف في التعرف على أصول الأبنية للكلمة في جميع أحوالها ، من أسماء وأفعال ، وفي أحوال الحروف ترتيبها ومخارجها ، والأصل والمزيد والمهموس والرخو والشديد ، وكيفية التثنية والجمع ، ثم يلتفت لناحية أخرى ، وهي أن علم الخط يكاد يقوم مقام علم اللغة ؛ بل هو يزيد عليه في ترتيب الأحوال وضبط الأموال ، ويعين على نقل الأخبار من زمان لزمان ، ويعين على كتمان السر من مكان لمكان (١)

وهكذا يبرز له علم النحو في اظهار محاسنه ، والطعن في فضائل سابقه ، وتلحق به بقية العلوم في هذا الأسلوب ، حتى تكثر الدعاوي وتتابع الحجج ، فيقوم علم السياسة ويظهر ما لديه من ميزات ، ويثني على حديث العلوم المختلفة بأنها أجادت فيما ذكرت . ولكن يجب ان تسلك مسالك العدالة ، فينصف كل واحد الآخر ويقف عند حده ، عندما يتقدم علم تدبير المنزل ،

---

(١) المصدر السابق ، ج ١٤ ، ص ٢٠٧

فيطري على علم السياسة ويقترح ؛ أنه لا بد من حكم ، يكون على معرفة بكل  
هذه العلوم ، يحكم فيما بينها .

ويلاحظ الباحث أن الكاتب بدأ بالتمهيد " لمديته " التي يريد بها  
ممدوحه ، الذي كتبت له هذه المفاخرة ؛ فيخصص لذلك علم الفراسة - والذي  
تعرف به حقيقة الرجال - ويطيل علم الفراسة الحديث مديحا للمدوح ، جلال  
الدين عبد الرحمن البلقيني ، فيعدد مناقبه وسعة اطلاعه ، ويعقد له مقارنة مع  
علماء شتى العلوم ويجعله فوقهم ، بل هو قدوتهم ، حتى لو أنهم لحقوا به لتخلوا  
عن علمهم له ، وكانوا تلاميذ في مجلسه .

ويتصدى للقول علم الأخلاق ، فيثني على علم الفراسة ، ويبرز للباحث  
غرض آخر يكمن في المفاخرة ، فعلم الأخلاق ينحو منحى آخر يطلب فيه من  
العلوم أن تشهد للكاتب ، وتكون وسيلة له عند الممدوح ، ليشمله بنظره وعنايته  
: " بأن ينتصب كل منكم له شفيعا إلى هذا السيد الجليل ، ويكون له وسيلة إلى  
هذا الامام الحفيل ، أن يصرف إليه وجه عنايته وينظر إليه بعين الإقبال  
والرعاية ، ليعز في الناس جانبه ، ويطلع أفق السعد بعد الأفول غاربه ... " (1)

(1) المصدر السابق ، ج ١٤ ، ص ٢٢٨ - ٢٢٩

ويأتي الدور الأخير في المفاخرة لعلم التاريخ ، ليدلهم على مكان  
المدوح الذي سيحتكمون إليه ، ولا يخلو حديثه من الاطراء والثناء على  
المدوح فيجعله الفرد الذي ينفرد في الصفات ، بين من سبقه ومن عاصره ،  
بل هو من حلت الرياسة في فنائه وألقت السيادة عصا الترحال إليه .

وهكذا تجتمع العلوم على الرحيل إلى المدوح ، ولكنها ترى أنه لا بد  
من تقديم مدحية بين يديه ؛ ولما قدمت من المدح فيه نثرا ، فقد ارتأت ان تلجأ  
للشعر ليسعفها بقصيدة تكون مدحا للمدوح ، وخاتمة للمناظرة فيكتبها الشعر :

" بشرا كم معاشر العلوم أن جُمِعتم بصدر حبر كامل

فنونه لم تجتمع لعالم وفضله لم يكتمل لفاضل (١)

ويستشف الباحث أن مغزى الكاتب من هذه الرسالة كان يدور حول  
أربعة محاور : أولاها المديح للمكتوب له ، وهذا واضح من العبارات المدحية  
، المنتشرة في ثنايا الرسالة ، وخاصة تلك التي كتبها في الدور الذي يقدمه  
( علم الفراسة ) (٢) ، أما ثانيها فهو الاستمناح وطلب العطف ، والرعاية من  
المدوح ، وقد أشار له الكاتب صراحة في حديث علم الأخلاق ، ومشورته  
على العلوم الأخرى ، بذكره عند المدوح والتماس العطف منه للكاتب (٣)  
والهدف الثالث : إبراز ثقافة الكاتب وسعة اطلاعه ، إذ يعرض لنا أكثر من

(١) المصدر السابق نفسه ، ج ١٤ ، ص ٢٣٠

(٢) المصدر السابق نفسه ، ج ١٤ ، ص ٢٢٥ - ٢٢٨

(٣) المصدر السابق نفسه ، ج ١٤ ، ص ٢٢٨ - ٢٢٩

سبعين علماً مظهراً ما يختص به كل علم من العلوم ، ويشير من خلال ذلك  
لكثير من العلماء في شتى العلوم وفروعها ، ومن خلال مقارنتهم بالممدوح ،  
فيذكر أسماءهم وأسماء الكثير من كتبهم التي ألفوها في تلك العلوم المختلفة .  
وأما المحور الأخير من هذه الرسالة ، فيدور حول مقدرة الكاتب  
الإنشائية من خلال استخدامه للسجع والموازنة والتجنيس ، وكذلك في التبادل  
بين النثر والشعر ، وتوظيف الموروث ، أضف إلى ذلك ما لاحظته الباحث من  
حسن استهلال ، وانتقال بين أجزاء الرسالة ، وحسن التلخيص والخاتمة .  
وثمة هدف يمكن أن نستخلصه من هذه الرسالة ، فهي رسالة تثقيفية  
تعليمية ، تعطي القارئ نبذة حول العلوم المعروفة ، والتي كتب بها في  
عصر الكاتب والعصور السابقة له ، وكما تعطي للقارئ تصوراً حول الثقافة  
التي تمتع بها كتاب الموسوعات في ذلك العصر ، ومنهم كتاب هذه الرسالة .  
ويذكر القلقشندي أنه : " لم ير من تعرض للمفاخرة بين العلوم ، سوى  
القاضي الرشيد أبي الحسين بن الزبير ، ويذكر الكاتب ، أنها لم تكن جارية  
على نمط رسالته السابقة ، ولا مرتبة على ترتيبها ، إذ أنه اقتصر فيها على  
علوم قليلة ، عمل على المفاضلة بينها " (1)

(1) المصدر السابق نفسه ، ج ٤ ص ٢٣١

وهناك رسالة مفاخرة أخرى للقلقشندي ، كتبها في المفاخرة بين السيف والقلم ، أنشأها للمقر الزيني أبي يزيد الدودار الظاهري ، في سنة أربع وتسعين وسبعمائة أسماها " حلية الفضل وزينة الكرم بين السيف والقلم " (١) .  
بدأها الكاتب بخطبة ، مفتحة بالحمد ، جعل السيف والقلم فيها متحدان في علو المكانة والرتبة ، والتفرد والاقتران في المجد ، فالسيف رمز القوة للحكم والسيطرة في حين جعل القلم رمز العلم والحكمة والسياسة ، منها للدولة كالجناحين للطائر ، لا يطير بأحدهما دون الآخر .

ولكن الكاتب يلتفت إلى الممدوح في هذه الرسالة منذ البداية ، إذ هو يحمل شرف هاتين الأدوات ، ويجمع بين فضليهما ، ولما قلّ ذلك وندر وجوده ، فقد حمد الكاتب الله على ذلك ، وتلاه بالتشهد والصلاة على نبيه \_ عليه السلام \_ لينتقل إلى البعدية ، ويكون الحديث فيها على دواعي المفاخرة والمنافرة : " فإنه ما تقارب اثنان في الرتبة إلا تحاسدا ولا اجتماعا في مقام رفعة إلا ازدحما على المجد وتواردا ، وراح كل منهما أن يكون الفائز بالقدر \_ العلم وأن يكون مفرقه هو المتوّج وجيده هو المحلّي ، وادعى كل منهما أن جواده هو السابق ، في حلبة السباق والفائز بقصب السبق في السباق (٢)

وبعد هذا التمهيد العام ، يعرض الكاتب للسيف والقلم المتفاهرين ، اصفا ما هما عليه من تقارب ومركزية ، تدور حولها دوائر الكمال " وسعدين

(١) المصدر السابق نفسه ، ج ١٤ ، ص ٢٣١  
(٢) المصدر السابق ، ج ١٤ ، ص ٢٣٢



يجتمعان في دائرة الاعتدال ، ونجمين يهريان إلى المعالي ، ومصباحين يستضاء بهما حنادس<sup>(١)</sup> الليلي وقاعدتين تبنى الدول على أركانهما ... " (٢)  
فتوقدت بينهما نار المنافسة واحتدت الشحاء فقامت بينهما المناظرة ، وأخذ كل منهما يفرغ ما في صدره لنفسه من عجب ومفاخر ولنقيضه ما يكن في نفسه من نقض واقلال من الشأن .

وتكون التقدمة للقلم ، ويصفه الكاتب بصدق العزم وعدم التلثم ، ولعل في هذا ما يشي بميل الكاتب لأرباب الأقلام الذين هو منهم ؛ إذ يرى الكاتب أنه يرمز لهم بالقلم ، فيحتج القلم بأنه أول مخلوق ، وأن الله أقسم به ، وشرفه بذكره له في كتابه الكريم بقوله: ﴿ ن والقلم وما يسطرون ، ما أنت بنعمة ربك بمجنون ﴾<sup>(٣)</sup> وقوله عز وجل : ﴿ اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم ﴾<sup>(٤)</sup> . ويرد عليه السيف بأن القلم وإن ذكر في القرآن الكريم ، فقد حرم الله تعالى على رسوله الخط به ، وهذا شرف ناله السيف إذ به قاتل الرسول \_صلى الله عليه وسلم\_ ، على أنه تعالى قد ذكر صنفه في القرآن الكريم بقوله : ﴿ وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس ﴾<sup>(٥)</sup> ولكن القلم يرد عليه بأنه فر من الشريعة إلى الطبيعة التي تميل إلى القوة والعدوان وأنه

(١) الحنادس : ثلاث ليال تكون في آخر الشهر ، الحنادس : الليل شديد الظلمة ، انظر المعجم الوسيط مادة حندس

(٢) القلقشندي : صبح الأعشى ج ١٤ ، ص ٢٣٢

(٣) سورة القلم آية ١-٢

(٤) سورة العلق آية ٣-٥

(٥) سور الحديد : آية ٢٤

يؤثر المساواة ويكدر أوقات الصفاء ، ويؤكد مواقع الجفاء ، ويمدح القلم نفسه فهو صاحب الحق والفضل ، وهو الذي يخط السطور فيهزم بها الجيوش ، فيثير هذا غضب السيف ليرد عليه بلهجة غاضبة ، يصفه بإطالة الغيبة ، والعودة بالخيبة ويتفاخر بأفعاله :

" السيف أصدق إنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب (١)

إن نجادي لحلية العواتق ومصاحبة آمنة من البوائق ، ما تقلدني عاتق إلا بات عزيزا ولا توسدني ساعد الا كنت له حرزا حريزا (٢) "... (٣)

وتطول المناظرة والجدال بين المتفاخرين ، فهذا يذكر مآثره ومناقبه ويهجو الطرف الآخر ، مفصحا عن مثالبه ومعايبه ، وينبري الآخر ليرد على صاحبه بأقبح مما قال ، ويبسط قوله فيما يرى أنه من محاسن صفاته على أن " السيف يحرص على المسائل البينة والفوائد المادية الملموسة والصفات المجسدة التي لا يختلف اثنان على حقيقتها ، وهي القدرة على التفريغ عن حمله وقيمه في نصره الحق ، ويحاول القلم أن يحرز نوعا من السبق عندما يقرر أن الممالك تدور على الكتابة ، وما تنتجه الأقلام من المخاطبات " (٤)

ولما لم يجد أحدهما على الآخر سبيل ، ولم يعترف أي منهما لصاحبه بالأفضلية ، فدفع به الأمر للبحث عن بديل لهذه المحاوراة والمساببة التي تبدو

(١) أبو تمام ، حبيب بن أوس الطائي ، الديوان ، تحقيق حمد عبده عزام ، دار المعارف بمصر ، ط ٢ ، ج ١ ، ص ٤٥ .

(٢) (حرزا حارزا) منيع لا يدرك ، انظر المعجم الوسيط مادة حرز .

(٣) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١٤ ، ص ٢٣٤ - ٢٣٥

(٤) علي بن محمد : النثر الأدبي الأندلسي في القرن الخامس ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٩٩٠ ، ج ١ ، ص ٤٥٢

بلانهاية ، ومرة أخرى يكون القلم صاحب السبق في الجنوح للسلام والدعوة له ، ويرى الباحث أن ذلك ليس محض مصادفة بل هي النزعة المسيطرة على العقل الباطن للكاتب وميله ثانية لأرباب الأقلام ، فجعلهم القادة اللذين بدأوا المفاخرة والمناظرة وقالوها عبر هذه الحوارية إذ رمز لهم بالعلم ، فجعله يهتدي لطريق النهاية : " فمال إلى الصلح وجنح للسلام ، وأعرض عن الجهل وتمسك بالحلم ، وأقبل على السيف بقلب صاف ... " (١)

وثمة ملاحظة أخرى ، وهي أن القلم مع مقاربتة من السيف والثناء عليه ، فهو يبقي على مدح نفسه ، والثناء على ذاته ، كصديقين متكافئين ، في قرابة الشرع وشقيقه في الكرم ، وأخوين في المجد ، فيقره السيف على ذلك ويتفان على الالتقاء لدى الحكم الذي هو أهل لذلك .

وهنا يظهر دور الكاتب مرة أخرى ، بين شخصي المفاخرة ، لتحقيق هدف آخر ولعله الهدف الأول من إنشاء هذه المفاخرة ؛ وهو المدح للمقر الزيني أبي زيد الدودار الظاهري فيبسط له فنون المدح ، ويحشد له النعوت والألقاب ، التي يرى أنها مناسبة لرتبته ، ويلحظ القارئ أن الكاتب استخدم ضمير المثني في أثناء هذا المديح إذ إن الكاتب يجعل السيف والقلم متفقين على ذلك ، ويدخل الكاتب شخصية جديدة في المناظرة وهي شخصية المنشد نيابة عنه عدد من الأبيات التي تشكل الخاتمة لهذه المفاخرة ، على أن هذه

(١) الفللسندي : صبح الأعشى ج ١٤ ، ص ٢٣٧-٢٣٨

الأبيات هي جزء من المديح للمدوح ، وقد لاحظ الباحث أن هذه المفاخرة إذا ما استثنينا المقدمة التي يظهر فيها دور الكاتب ، فإن المناظرة خلت في البداية من أسلوب المجاملة ، والمقاربة في بداياتها وهذا ما يظهر أيضاً عند ابن برد الصفي في مفاخرته بين السيف والقلم <sup>(١)</sup> كما نلاحظ أن هذه الرسائل الحوارية يتناوب فيها المتحاوران على الكلام إذ بدأ القلم ورد عليه السيف وهكذا .

---

(١) علي بن محمد : النثر الأدبي الأندلسي ج ١ ، ص ٤٥٢

## الإجازات

الإجازات مفردها إجازة ، وهي : ما يصدر عن الشيخ للتلميذ من السماح والموافقة أو الإقرار بالشأن الذي طلبت فيه الإجازة فإن الإجازة بالفتوى ، يحتاج التلميذ فيها لموافقة شيخه ، الذي يخضع لامتحانه ، والسماح له بمزاولة هذه الوظيفة ، وكذلك الإجازة بالتدريس ، في حين أن الإجازة بعراضة الكتب تحتاج لإقرار الشيخ ، بأن تلميذه قد حفظ ذلك الكتاب الذي امتحن فيه .

على أن تطوراً نال هذا الجانب من الكتابة ، من حيث الطرائق والشروط المنهجية ، المتبعة في حصول التلميذ على الإجازة ، وكتابة الشيخ له بها ولم تعد الإجازة شفوية من الشيخ لتلميذه ، بل يكتب له بذلك إجازة خطية ، وجرت العادة أن يكون ما يكتب في الغالب في قطع عريض ، إما في فرخة الشامي ، أو نحوها من البلدي ، وتكون الكتابة بقلم الرقاع أسطراً متوالية ، بين كل سطرين إصبع عريض <sup>(١)</sup> وقد حصل القلقشندي على إجازة بالفتوى والتدريس والرواية ، اجازته بها : الشيخ العلامة ، سراج الدين أبو حفص عمر بن أبي الحسن الشهير بابن الملقن ، في سنة ثمان وسبعين وسبعمائة ، وقد كتب تلك الإجازة القاضي تاج الدين بن غنوم ، موقع الحكم العزيز بالاسكندرية وكان سن القلقشندي في ذلك الوقت إحدى وعشرين سنة <sup>(٢)</sup>

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ج ١٤ ، ص ٣٢٢

(٢) المصدر نفسه : ج ١٤ ، ص ٣٢٢

وفي هذه الإجازة التي تحوي ثلاث إجازات أثنى الكاتب على القلقشندي بقوله : " ولما كان فلان أدام الله تعالى تسديده وتوفيقه ، ويسدد على الميزان طريقه ، ممن شب ونشأ في طلب العلم والفضيلة ، وتخلق بالأخلاق المرضية الجميلة الجليلة ، وصحب السادة والفقهاء والقادة من الأكابر والفضلاء ، واشتغل عليهم بالعلم الشريف اشتغالا يرضي ، وإلى نيل السعادة \_ إن شاء الله \_ يفضي ، استخار الله تعالى سيدنا ... أبا حفص عمر بن أبي الحسن ، أذن لفلان المسمّى فيه أدام الله تعالى معاليه ، أن يدرس مذهب الامام المجتهد أبي عبدالله محمد بن إدريس الشافعي ، وأن يقرأ ما شاء من الكتب المصنفة فيه ، وأن يفيد ذلك اطلاليه حيث حل وأقام ، كيفما شاء متى شاء وأين شاء وأن يفتي من قصد إستفتاءه خطأ ولفظاً على ما اقتضى مذهبه الشريف المشار إليه ، لعلمه بديانته وأمانته ومعرفته ودرايته ، وأهليته لذلك وكفايته " (1) وقد كتب ابن الملقن نفسه بعد هذه الشهادة : " ما نسب إليّ في هذه الإجازة المباركة ، من إذن باجازة فلان أدام الله النفع به ، وأجرى كل خير بسببه ، في تدريس مذهب الامام المطلبي محمد بن إدريس الشافعي ... والإفتاء به خطأ ولفظاً ، صحيح ؛ فإنه ممن فاق أقران عصره بذكائه ، وبرع عليهم بالاستحضار وتحرير المنقول ووفائه ... وأجزت له مع ذلك أن يروي عني مالي من التأليف ... وأجزت له مع ذلك ما جاز لي وعني ، بروايته بشرطه عند أهله ،

(1) المصدر السابق ج ١٤ ، ص ٣٢٤-٣٢٥

زاده الله وإياي من فضله " (١) .

وأما النوع الآخر من الإجازات فهو عراضة الكتب ، والعادة الجارية فيها أن بعض الطلبة إذا حفظ كتاباً في الفقه ، أو النحو ، أو غير ذلك من الفنون ، يعرضها على مشايخ العصر فيقطع الشيخ المعروض عليه ذلك الكتاب ، ويفتح منه أبواباً ومواضع ، يستقرئه إياها من أي مكان اتفق ، فإن مضى فيها من غير توقف ولا تلعثم ، استدلَّ بحفظه تلك المواضع على حفظه جميع الكتاب ، وكتب له بذلك كل من عرض عليه في ورق مربع صغير ، يأتي كل منهنهم بقدر ما عنده من الملكة في الإنشاء ، وما يناسب ذلك المقام من براعة الاستهلال ونحوها من عالٍ وهابط ، وربما خفف بعضهم فكتب " وكذلك عرض علي فلان " أو " عرض علي وكتبه فلان " إما رياسة وتأبياً عن شغل فكره وكد نفسه فيما يكتبه ، وأما ما عجز عن مضاهاة من يكتب معه (٢) .

وقد مارس القلقشندي هذا النوع من الإجازات ، ومن ذلك إجازة كتبها لمن اسمه " محمد " ولقبه " شمس الدين " من أبناء بعض أصدقائه ويذكر أنه عرض عليه أربعين حديثاً للإمام النووي ، وورقاتٍ في الأصول واللمحة البدرية في النحو للشيخ أثير الدين أبي حيان دفعة واحدة ، ولم يبلغ هذا الفتى العاشرة من العمر (٣) .

(١) القلقشندي: صبح الأعشى ج ١٤ ، ص ٣٢٦

(٢) المصدر السابق : ج ١٤ ، ص ٣٢٧

(٣) المصدر نفسه : ج ١٤ ، ص ٣٣١

صم القلقشندي جاره الصص بهذا التعريف \_ وهو على غاية الاهمية \_

لأنه يعطينا الثقافة المطلوبة من الطلبة الصغار ، وهم في العاشرة من العمر \_  
، والمفروض أنه حفظ القرآن الكريم وتلاه كاملاً ، يضاف إليه كتاب  
" الأربعين حديثاً " " الورقات " " اللحة البدرية " ليستكمل بذلك دراسة  
الأصول وعلوم اللغة العربية " (١) .

وقد لاحظ الباحث أن القلقشندي قد طبق ما أشار إليه في تقديمه لهذا  
النوع من الإجازات ، حيث قال : " ويأتي كل منهم بقدر ما عنده من الملكة  
في الإنشاء ، وما يناسب ذلك المقام من براعة الاستهلال " ، فيدرك الناظر في  
هذه الإجازة براعة الاستهلال ، إذ استهلها بالحمد ، على نعمة النجاسة التي  
امتاز بها تلميذه ، وأنها لم تكن أمراً طارئاً بل هي متوارثة في آباءه ، ثم يعمد  
لاستخدام التورية - وهي من الأساليب الفنية التي اشتهرت في ذلك العصر -  
فيوظفها القلقشندي في التعبير عن مقدرة ذلك الصالب في اتقان محفوظاته "  
فأدرك العربية في لمحة ، وسمى بفهمه الثاقب على الأمثال فأمسى ، وفهم  
( الورقات ) لديه كالصفحة ، وفرق بكرم بدايته العادة فجاز الأربعين لدون  
العشر وأتى على ذلك بما يشهد له بالصحة " (٢) .

(١) عمر موسى باشا : تاريخ الأدب العربي ( العصر المملوكي ) دار الفكر المعاصر بيروت لبنان دار الفكر دمشق ط ١  
١٩٨٩، ص ٥٥٨

(٢) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١٤ ، ص ٣٣١



ثم تكون البداية ليذكر أن التلميذ - ويذكر اسمه - قد عرض عليه مواضع من كتاب كذا وكتاب كذا ، ولم يأتِ وصف الكاتب لحفظ الطالب مباشرة بل شبهه " فمر فيها مرور الصبا ، وجرى في ميادينها جري الجواد فما حاد عن سنن الطريق ولا كبا " (١) .

ولعل مجيء هذه الإجازة مجملة النص لحدائثة سن التلميذ ، في حين تكون الإجازة للفقهاء والعلماء أطول ، ويسهب فيها الاستاذ اسهاباً كبيراً (٢) .

---

(١) المصدر نفسه : ج ١٤ ، ص ٣٣١  
(٢) عمر موسى باشا : تاريخ الأدب العربي ( العصر المملوكي ) ، ص ٥٥٩

## تقريض القصائد

التقاريض نوع من الكتابة ، الذي يعتمد فيها إلى المدح والتثناء على المصنفات المصنفة والقصائد المنظومة ، " فقد جرت العادة أنه إذا صنفت في فن من الفنون ، أو نظم شاعر قصيدة فأجاد فيها أو نحو ذلك ، أن يكتب له أهل تلك الصناعة على كتابه أو قصيدته بالتقريض أو المدح ، ويأتي كل منهم بما في وسعه من البلاغة في ذلك " (١)

وقد كتب القلقشندي تقريضاً على قصيدة نظمها شرف الدين عيسى بن حجاج العاليه ، في مدح النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ جاء فيها من أضرب البديع ما يضاها قصيدة صفي الدين الحلبي .

ويلاحظ الباحث أن هذا التقريض قد جاء طويلاً مقارنة بتقاريض أخرى ، كتبها المقر الشهابي بن فضل الله على قصيدة ميمية ، للشيخ غرس الدين خليل الصفدي ، وتقريض للشيخ صلاح الدين الصفدي ، كتبه على مصنف وضعه الشيخ تاج الدين علي بن الدرهم الموصلية (٢) ، و مما يلاحظ على هذا التقريض أيضاً أنه النوع الوحيد من الكتابة الذي أفتتح عند القلقشندي بالبعديّة " أما بعد " ثم تلاه بالتحميد لما أنعم الله على الأدباء من بديع خيال ، وذلك لأفكارهم صعاب الألفاظ ، وأوضح لهم سبل الفصاحة فانقادت لهم بيسر . بهذا التمهيد يتقدم الكاتب في تقريضه حتى يصل لقوله : " وقفت على البديعية

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١٤ ، ص ٣٣٥

(٢) المصدر نفسه : ج ١٤ ، ص ٣٣٦-٣٣٥

البديعة التي نظمها الفاضل الأرفع ، أديب الزمان ، وشاعر الأوان شرف الدين أبو الروح عيسى العالية " (١) .

ويتابع مدحه وثناءه على الشاعر والقصيدة ، مستخدماً في ذلك الشعر والنثر بالتناوب وموظفاً ذلك بعض الآيات القرآنية ، وتلحظ المبالغة والتوهويل من الكاتب في مدحه لهذه القصيدة حتى جعلها أم القصائد وكعبة القصاد ، ومحط الرحال ومنهل الوراد (٢) .

ويستشف القارئ أنه لا يخلو من أسلوب نقدي ، يفصل فيه الكاتب مواقع القوة في القصيدة فألفاظها كالدر المنثور ، ومعانيها أخلت الروض الممطور ، كما أن وزنها من الدقة يفوق وزن الذهب ، وقوافيها تزكو على غيرها ، ويعلل في بعض المواقع سبب تفضيلها على غيرها من القصائد ، فاطنابها لا يعد إطناباً ؛ لفصاحتها ، وإيجازها لا يعيبها ؛ لأن بلاغتها جعلت من معانيها إطناباً في مواضعها ، ويتنبه الكاتب لما لبراعة الاستهلال من أهمية عند المتلقي ، ويرى أن مطلعها يحث السامع لتتبع ما فيها شغفاً ، ويفطن لأموه اهتم به النقاد ، وهو " حسن التخلص " ؛ إذ أنه وسيلة الانتقال ، وكما كان سلساً جنب القصيدة الوقوع في الفواصل التي تضعف النص ، بل جعل أبياتها مسبوكة سبكاً يجعل أبياتها وأفكارها ، يأخذ بعضها برقاب بعض فيصف التخلص فيها : يسرق الأسماع للطفاته ، و القلوب لكفها به ، ولم ينس الكاتب

(١) المصدر السابق : ج١٤ ، ص٢٣٧  
(٢) المصدر السابق نفسه : ج١٤ ، ص٢٣٨

ختام القصيدة ، إن الامور بخواتيمها فيذكر ان حلاوة ختامها يجعل النفوس  
تذوب عليه أسفاً (١) .

ويجمل الكاتب القول ، ومآثر القصيدة لا تحصى وجمائلها لا تستقصى  
، فيقارنها بالنثر ، إذ يرى أن قس بن ساعدة - الخطيب الجاهلي - وكأنه يأخذ  
الفصاحة منها ، وابن المقفع الذي اشتهر في منهجه بالكتابة يهدي بمنهجها  
ويروي بلاغتها ، وامراً القيس يأخذ منها صنعة الشعر ، حتى أن جريراً  
الشاعر الأموي المشهور ؛ لو قرأها لأعتبر ما نظم من الشعر جريرة اقتترفها  
، وهكذا يستمر الكاتب في مقارنتها مع شعر فحول الشعراء اظهراً لعظمتها  
(٢) .

وربما شعر القلقشندي أنه أطال في هذا التقريض ، فيمهد للخاتمة بقوله  
: " ولانطيل فمبلغ القول فيها أن آيتها الحكمة الناسخة لما قبلها ، وبرهانها  
القاطع قاض بأن لاتسمح قديمة أن تنسج على منوالها ولايطمع شاعر أن يسلك  
سبلها وآيتها الكبرى التي دل فضلها على أن من لم يشهد الفضل جاحد " (٣) .

وثمة سمة اتسمت بها التقاريف ، وهي أن الكتاب عمدوا بجعل فاتحتها  
شعراً ، إما بيتاً واحداً كما ورد عند القلقشندي أو عدداً من الأبيات ، كما هو

(١) المصدر السابق : ج ١٤ ص ٣٣٩

(٢) المصدر نفسه : ج ١٤ ، ص ٣٣٩-٣٤٠

(٣) المصدر نفسه : ج ١٤ ، ص ٣٤٠

عند المقر الشهابي ، وكذلك عند صلاح الدين الصفدي في تقريرييهما اللذين  
سبقتا الاشارة لهما .

ولا بد من التوقف عند هذا المديح والثناء ، المبالغ فيهما تحرياً لدوافعه  
ويرى محمد الفقي : أنه كان من السنن المتبعة ، أن يفيض الأدباء في  
تقريريهم لهذه الآثار الأدبية ، التي هي ثمرات لقرائح الأدباء والعلماء ، وربما  
دفع إلى رواج هذه التقريرات ، ما يسودهم من الحب والمودة ، وما يجدونه  
فرصة للتباهي بهذه الفنون البديعية ، التي ملكت عليهم عقولهم حين يقرضون  
بهذه الأساليب <sup>(١)</sup> ولعل سراً آخر يدفعهم لمثل هذه المنهجية في الإطالة ، حيناً  
وفي الاغراق في الأساليب البلاغية والبديعية ، هو رغبة الكاتب في اظهار  
قدرته البلاغية والانشاءة في مثل هذا الضرب من الكتابة .

(١) محمد الفقي : الأدب في العصر المملوكي ، انبيئه المصرية العامة للكتاب ١٩٧٦ ص ١٢٠

## إسجلات العدالة

الإسجلات جمع إـسـجـال وهو ما يدون في الكتاب ، ومنه السُّـجـل : الكتاب يدون فيه ما يراد حفظه (١) ويذكر القلقشندي أنه " جرت العادة أن أبناء العلماء والرؤساء تثبت عدالتهم على الحكام ، ويسجل لهم بذلك ، ويحكم الحاكم بـعدالة من تثبت عدالته لديه ، ويشهد عليه بذلك ، ويكتب له بذلك في درج عريض " (٢) .

وقد أورد لنا الكاتب نسخة سجل ، أنشأه على ما كتب لولده نجم الدين أبي الفتح محمد- الذي سبقت ترجمته- عند ثبوت عدالته على الشيخ ولي الدين أحمد بن الإمام زين الدين عبد الرحيم العراقي ، خليفة الحكم العزيز بمصر والقاهرة سنة ثلاث عشرة وثمانمائة للهجرة .

استهل هذا السجل بالتحميد فالتشهد والصلاة على النبي \_ عليه السلام \_ ، ثم تكون البعدية ليتها بالحديث عن أهمية العدالة ، ومنها يستشف صفات من وصف بأنه عدل ، فيجعل العدالة أساس الشريعة ، وأنها الركن الأعظم الذي يقاس به الصواب من الخطأ والحق من الباطل ، فمن لا يتصف بها لا تقبل منه شهادة ولا رواية " فقد بنيت الشريعة المطهرة على أركانها ، واعتمد الرواة في صحة الأخبار على أصولها وتعلقت الحكام في قبول الشهادة بأحضانها ، إذ هي الملكة الحاملة على ملازمة التقوى ،

(١) إبراهيم مصطفى وآخرون : المعجم الرسيط ، مادة سـجـل .  
(٢) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١٤ ، ص ٣٤٦ .

والحكمة الثانية عن الجراح إلى ارتكاب الكبائر ، والعنان الصارف عن الجموح إلى الإصرار على الصغائر ، والزماد القائد إلى صلاح أعمال الظواهر وسلامة عقائد الضمائر " (١) ، ومن هنا تظهر أهمية العدالة ، والدور الذي تلعبه هذه السجلات في تقديم حاملها على غيرهم في تبوء المراكز الحساسة في الدولة ، كالولاية والقضاة ، كما أنها تكون رادعا عن ارتكاب الكبائر ، وتجنب حاملها تكرار صغائر الذنوب .

كما وتطلعنا الفقرة السابقة من السجل الذي كتبه القلقشندي على سعة ثقافته ، وإطلاعه على علم من علوم الشريعة ؛ وهو علم الجرح والتعديل ، ودوره في اختيار من يؤخذ عنهم رواية الحديث الشريف ، ومن تقبل شهادته في قضايا الدين والدنيا .

وينتقل الكاتب بعد ذلك لصاحب الإسجال المكتوب له ، وهنا يبدأ بذكر ألقابه فهو الحسين ، القاضي الأجل والفقير الفاضل المشتغل ، سليل العلماء ويأتي على ذكر اسمه واسم ابنه وما يتقلد أبوه من وظائف \_ ونعلم أن الكاتب هو والد المكتوب له \_ فجمع ما يصفه به عن قرب ، إلا أن موضوعيته بوصفه لولده ظاهرة ، فهو من ولد في بيت القلقشندي القاضي الفقيه فكان ميلاده في بيت ديانة وأخذ العلم من أبيه وأصدقائه العلماء ، بالإضافة لما لاح عليه من النجابة وتزين بمحاسن الفضائل ، قبل أن يصل سن التكليف ، فدلّت

(١) المصدر السابق ، ج ١٤ ، ص ٣٤٧

هذه النشأة على المكانة التي احتلها نجم الدين ابن القلقشندي ، ومن ثم دفعته  
لكتابة قصة يطلب فيها الإذن بالسماع لبينته ليكتب بذلك إسهال عدالة (١) ،  
فهذا يدل على أن العدالة كانت تنال بعد كتابة قصة ، يطلب فيها الإذن بتقديم  
الامتحان ، للحصول على إسهال العدالة .

وهكذا يتدرج الكاتب في خطوات نيل إسهال العدالة ، فينتقل لمتولي  
هذا الأمر ويسبغ عليه من النعوت والألقاب الشيء الكثير ، ويتلو ذلك بالدعاء  
حتى يصل لاسمه ، وهو "جلال الدين البلقيني الناظر في أحكام الشريعة في  
الديار المصرية ، فيشير إلى أبي زرعة أحمد بن أبي الفضل عبد الرحيم ابن  
بن أبي عبد الله بن الحسين العراقي الشافعي ، للنظر إلى تلك القصة التي  
رفعت من طالب الإسهال \_ على الوجه الشرعي \_ ولا يفوت الكاتب أن يذكر  
من ألقاب هؤلاء ما يستحقونه .

فيستمع أبو زرعة العراقي إلى البينة بتزكية الطالب ، وتقبلها القبول  
الشرعي حسب ما هو دارج في مثل هذا الموقف ، فيشهد على نفسه من حضر  
مجلس حكمه وقضائه ، ويثبت تاريخ المجلس ، ويشير إلى أنه ثبت عنده  
وصح الدين على الوضع المعترف الشرعي والقانون المحدد المرعي ، بالبينة  
العادلة المرضية ، التي تثبت بمثلها الحقوق الشرعية ، عدالة القاضي الأجل  
العدل الرضي ، نجم الدين محمد زاده الله تعالى توفيقاً ، وسهل له إلى الخير

(١) القلقشندي : صبح الأضنى ، ج ١٤ ، ص ٣٤٧



طريقاً ، وما اشتمل عليه من صفاتها ، وتحلى به من أدواتها ، ثبوتاً صحيحاً  
مستوفي الشرائط محرراً<sup>(١)</sup> فيحكم بعدالته ، وقبول شهادته ، ويأذن له في  
تحمل الشهادة وأدائها ، ويدعوه إلى الكتابة فيها والتأليف على شروط أدائها .  
ويكون بعد ذلك الوصايا ، التي لا يكاد يخلو منها كتاب ، وتأتي بصيغة  
الأمر ، موجه على لسان مانح إسهال العدالة لطالبه : " وليحمد الله تعالى على  
ما منحه من ملابسها الجميلة ، وأناله من الترقى لرتبتها الجليلة ، وليتق الله  
تعالى في موارده ومصادره ، وليسلك مسالك التقوى في أول أمره وآخره ... "

(٢)

على أن الحاكم هو من يعلم " العلامة " بعد البسمة ، ويضع التاريخ في  
الوسط والحسبة في الآخر ، كل ذلك بخطه ، ويشهد عليه فئة من كتاب الحكم  
وغيره (٣) .

أما الورق الذي يستخدم ؛ فهو فرخ الشامي أو نحو ذلك من الورق  
البلادي ، ويكتب بقلم الرقاع وأسطره متوالية ، بين كل سطرين تقدير عرض  
إصبع (٤) .

(١) المصدر السابق ، ج ١٤ ، ص ٣٤٩

(٢) المصدر السابق نفسه ، ج ١٤ ، ص ٣٤٩

(٣) المصدر السابق نفسه ، ج ١٤ ، ص ٣٤٩

(٤) المصدر السابق نفسه ج ١٤ ، ص ٣٤٦

## المقامات

جمع مقامة بفتح الميم ، وجاءت في المعجم بمعنى الجماعة من الناس ،  
والمجلس <sup>(١)</sup> ومنه أخذ المعنى الاصطلاحي ، فأطلقت على الأحداث من  
الكلام فهي تحكى في جلسة واحدة يحضرها الناس <sup>(٢)</sup> ، ولم تكن هذه  
الأحاديث تتجاوز النصح والإرشاد في الدين ، وإذا تجاوزتها فإلى وقائع  
التاريخ : " كأيام العرب وأخبارهم ، فلم تتميز بقواعد محددة تضبطها من حيث  
الشكل والمتن " <sup>(٣)</sup> .

وهكذا مرت المقامة في مراحل النشوء والتطور ، حتى أخذت قالبها  
الخاص ، وشخصيتها المستقلة بين الأنواع الأدبية المختلفة ، ويذكر القلقشندي  
أن أول من كتب فيها بديع الزمان الهمذاني ( ت ٣٩٨ هـ \_ ١٠٠٧ م ) ثم  
تلاه في ذلك أبو عبد الله محمد القاسم بن علي الحريري ، الذي رزق الحظوة  
التامة في عمل المقامات ، وفضلها أكثر من أن يحصر ومن عرفها حق  
معرفتها ، استدل بها على فضل هذا الرجل وغزارة مادته وكثرة اطلاعه <sup>(٤)</sup>

<sup>(١)</sup> المعجم الوسيط ، مادة ( قام )

<sup>(٢)</sup> القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١٤ ، ص ١١٠

<sup>(٣)</sup> عبد الله إبراهيم : السردية العربية ، بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي ، مركز الثقافة العربي ببيروت ، ط ١ ، ١٩٩٢ ، ص ١٧٥

<sup>(٤)</sup> عبد الرحيم بن أحمد العباسي ( ت ٩٦٣ هـ ) معاهد تنصيص على شواهد التلخيص ، تحقيق محمد محسي الدين عبد الحميد ، عالم الكتب ، بيروت ، بلا طبعة ، ١٩٤٧ ، ج ٣ ، ص ٢٧٢ \_ ٢٧٣

وبفضل هؤلاء الرواة الأوائل عرفت المقامة كنص أدبي يعتمد السجع  
والمحسنات البديعية من حيث الشكل وتتخذ بطلاً وراوياً من حيث الإسناد \_  
وإن حدث بينهما اندماج في العصور اللاحقة \_ وأما الموضوعات فقد بقيت  
في تطور وتغير مستمر ، فلم تعد موضوعاتها تدور على الكدية والاستجداء ،  
بل وظفت في أغراض شتى فدخلت في خدمة الغزل والمجون ، والموعظة  
والحكمة والتعليم والوصف والمديح ، وافتن فيها الكتاب فنوناً كثيرة .

وما أن جاء العصر المملوكي ، و قد حفل كتابه في الصنعة البديعية  
أيما احتفال ، فقد كان المناخ المناسب ازدهار المقامات وتطور موضوعاتها  
فكتب جلال الدين السيوطي ( ت ٩١١ هـ ) مقامته في النحو والفقه والتاريخ  
، وكتب صلاح الدين الصفدي ( ت ٧٦٤ هـ ) مقامتين ، الأولى : " مقامة  
رشف الرحيق في وصف الحريق " تحدث فيها عن الحريق الذي شب في  
دمشق وأما الثانية فهي " لوعة الشاكي ودمعة الباكي " ويحدث فيها عن  
غرامه لغلام تركي صادفه في رحلة له مع صديق في الرياض ، وكذلك  
نجد " مقامة العشاق " لشهاب محمود الحلبي ، ومقامات العشاق للشاب  
الظريف ( ت ٦٨٨ هـ ) وهناك أيضاً مقامة الشيخ جمال الدين عمر بن  
الحسين الرسعني ، " في وقعة حلب مع التتار " وكتب بها عمر بن

الوردى ( ت ٧٤٩ هـ ) " وقد كتب فيها كثيرون من أشهر الأدباء ، بل لا نكاد نجد أديباً كبيراً لم يحاولها أو لم يكن له فيها نصيب " (١) .

وعلى الرغم من هذا الكم في كتابة المقامة والتنوع في موضوعاتها ، إلا أن آراء الباحثين المحدثين تكاد تتضارب حول ازدهارها ، وتطورها في العصر المملوكي ، إذ يرى عمر موسى باشا : " أن فن المقامات لم يزدهر في هذا العصر ولم يهتم به أدباؤه ... كما أن قلة النصوص التي وصلتنا عن هذا الفن تحول بيننا وبين الحكم عليه حكماً موضوعياً قائماً على البحث والدراسة " (٢) في حين يرى محمد كامل فقهي أنه " لم يقصر كتاب هذا العصر في تناول المقامة بل كان إليهم أدنى ، ولهم أطوع إذ المقامة فن يعتمد على الصناعة ، ويشهد كيانه من البديع وضروبه ، وهم أسرى البديع وأرقاؤه لقد وسع الكتاب المملوكيون دائرة المقامة ... " (٣) وقريب من ذلك مقولة محمد زغلول سلام : " وإذا ما تركنا فن الرسائل فإننا نلتقي من فنون النثر بهذا العصر بالمقامة . وتلي الرسالة أهمية وشهرة ، بل لعلها تقدمت عليها عند بعض الأدباء إذ فضلوها لصياغة أعمالهم ، وقد كتب فيها كثيرون من أشهر الأدباء ... " (٤) وقوله : " ومن المقامات ما يتصل بموضوع أو مناسبة ، وقد قامت المقامة بدور الشعر في العصور السابقة ، واختلف عن دور المقامة في القرنين الرابع

(١) محمد زغلول سلام : الأدب في العصر المملوكي ، دار المعارف ، مصر ١٩٧١ ، ج ٢ ، ص ١٧

(٢) عمر موسى باشا : أدب الدولة المتتابعة دار الفكر الحديث ، ط ١ ١٩٦٧ ، ص ٨٠٦

(٣) محمد كامل الفقهي : الأدب في العصر المملوكي ، ص ١١٧

(٤) محمد زغلول سلام : الأدب في العصر المملوكي ، ج ٢ ، ص ١٧

والخامس وبهذا شاركت المقامة في الأحداث الجارية ، وكانت شكلاً من أشكال التعبير عنها ، ولم تقتصر على المتعة الذهنية بين الخاصة أو الذمّلح والتفكّه ، أو إبداء المقدره " (١) .

ومما سبق فإن الباحث يرى أن المقامة قد قامت بالدور الذي أسند إليها في العصر المملوكي ، فجاءت معبرة أكثر من أي عصر مضى ؛ عن الحياة الاجتماعية التي عاشها الناس في هذا العصر فهي تروي أحداثه ، وتصور اهتمامات أهله المتنوعة وأخلاقهم المتباينة ، وطرائقهم المختلفة في تناول سبل الحياة .

ومن تجديدهم المجيء باسم الراوي بما يشي بالمناسبة التي كتبت بها المقامة أو الموضوع الذي تتحدث عنه ، فصلاح الدين الصفدي يختار لمقامته " رشف الحريق في وصف الحريق " راوياً يحمل اسماً يناسب هذه الحادثة فيسميه " شعله بن أبي لهب عن أبي زناد شهاب " ولا يخفي ما لهذه الأسماء من علاقة بالحرق ، فهي إما من مسمياته أو أدواته ، وكذلك في مقامة ابن الوردي " صفو الحريق في وصف الحريق " إذ يستهلها بقوله : " حديث غيث بن سحاب عن ندى بن بحر " وغير خافٍ تمام المناسبة بين الحريق والماء الذي أشار إليه بهذه الأسماء ؛ إذ الحريق يستدعي الماء وهو عدة إطفائه (٢) .

(١) المرجع السابق : ص ٢١

(٢) محمد على الفقي : الأدب في العصر المملوكي ، ص ١١٨

وقد ساهم القلقشندي في هذا النوع الأدبي الذي شاع في عصره ، فكتب في مقامته التي وسمها بـ " الكواكب الدرية في المناقب البدرية " (١) وتناول فيها موضوعين الأول : المديح ، وفي ذلك يقول : " ووجهت القول فيها لتقريض المقر البدري بن المقر العلاني بن المقر المحيوي بن فضل الله صاحب ديوان الإنشاء بالأبواب السلطانية بالديار المصرية يوم إذ " (٢) أما الموضوع الثاني الذي طرحه القلقشندي ، فهو فضل الكتابة ومدلولها وتفضيل كتابة الإنشاء على باقي أنواع الكتابة ، وصفات الكتاب وآدابهم . ويشير لذلك في مقدمة كتابه صبح الأعشى إذ يقول : " أنشأت مقامة بنيتها على أنه لا بد للإنسان من حرفة يتعلق بها ، ومعيشة يتمسك بسببها ، وأن الكتابة هي الصناعة التي لا يليق بطالب العلم من المكاسب سواها ... وجنحت فيها إلى تفضيل كتابة الإنشاء وترجيحها وتقديمها على كتابة الأموال وترشيحها ، ونبهت فيها على ما يحتاج إليه كاتب الإنشاء من المواد وما ينبغي أن يسلكه من الجواد ... " (٣) .

ويلحظ الباحث أن القلقشندي وشى بهذين الموضوعين الأول من خلال عنوانته للمقامة ، " فأسمها بالكواكب الدرية في المناقب البدرية " ، والموضوع الثاني باختياره اسم الراوي الناثر بين النظام ، ولا تخفى علاقة هذا الاسم

(١) القلقشندي صبح الأعشى ، ج ١٤ ، ص ١١٠

(٢) المصدر نفسه ، ج ١٤ ، ص ١١١

(٣) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٩

بالكتابة فقد حمل شقيها النثر والنظم ، على أن هذا من التجديد الذي ألم بهذا الفن في عصر القلقشندي وقد أشرنا إليه .

ونالت هذه المقامة استحسان الباحثين المحدثين ، كقول محمود رزق سلام : " ومقامته تلك واسمها الكواكب الدرية في المناقب البديرة ، عظيمة القيمة ، لا لأسلوبها وما به من طرف الفن البديعي فحسب ، ولكن أيضا لما تضمنته من معان متجددة وأفكار جيدة ، ولأنه أرخ بها لأصول صناعة الكتابة ، وما ينبغي لكاتب الإنشاء أن يتحلى به من ضروب المعرفة إلى غير ذلك ، فهي مقامة تعليمية تهذيبية " (١) أما مصطفى الشكعة فيعتبرها : " صورة جليلة صادقة للأدب العربي إنشاء وفكرا وصناعة في فترة من فترات حقبه المتطاولة ، وهي الفترة التي عاش فيها القلقشندي ... " (٢) وفي موقع آخر يصفها بقوله : " على أن هذه المقامة المغمورة تعتبر في رأينا عملا أدبيا كبيرا وجهدا ثقافيا مرموقا تنبئ عن أعماق أدبية ثرية في نفس القلقشندي " (٣) ويصنف محمد الفقي ، كاتب هذه المقامة ؛ بين أشهر كتاب المقامة في العصر المملوكي (٤) .

(١) محمد رزق سلام : عصر السلاطين المماليك ، ج ١ ، ص ٤١٣

(٢) مصطفى الشكعة : أبو العباس القلقشندي ، وكتابه صبح الأعشى تأليف نخبة من الأساتذة \_ الجانب الأدبي في صبح الأعشى بقلم مصطفى الشكعة الهيئة المصرية العامة للكتاب \_ القاهرة ١٩٧٣ ، ص ٢٣٥ \_ ٢٣٦

(٣) المرجع نفسه . ص ٢٤١

(٤) محمد الفقي : الأدب في العصر المملوكي ، ١١٩ \_ ١٢٠

ويعتمد القلقشندي في مقامته الحكاية البسيطة في حبكتها، والحوار الذي نكاد نفقده بين الشرح المطول، والوصف الذي يطنب فيه الكاتب، بين كل حوارين حتى يعود للقول : " قال " أو " قلت " كما أنها تكاد تخلو من الخيال . ويرى الباحث أن الكاتب يوفق في استهلاله لمقامته من جهتين الأول،: في حسن اختيار اسم الراوي، لموافقته الموضوع الأول في المقامة \_ الكتابة إذ أسماه " الناثر بن النظام " ومن جهة أخرى، جعله يستخدم ضمير المتكلم مما يدل على أنه شاهد أحداث المقامة، بل هو بطلها الذي شارك في هذه الأحداث، كما أن عبارة الاستهلال لم تخرج عن تلك العبارات المعهودة في استهلال المقامات منذ بدايتها كقوله : " حدثنا عيسى بن هشام " ... " روى الحارث بن همام " "حكى القاسم بن جريال" وعند القلقشندي "حكى الناثر بن النظام" فهذه الأفعال تفيد معنى متقارب في الحكاية والحديث والرواية .

وتتنمي هذه الصيغ الاستهلالية للماضي ، هادفة لكشف واقعة حصلت في الماضي <sup>(١)</sup>، ويتابع الراوي الحديث مهيباً الجو المناسب لاستقبال الأحداث، ولفتح أفق التوقع عند المتلقي ، فيكون حديثه عن نفسه كبطل للقصة، فيسرد ما ألم به من حب للعلم وما أنفق في سبيل ذلك من جهد ومال، مستخدماً في ذلك جملاً مسجعة ، تتباين بين الطول والقصر : " لم أزل من قبل أن يبلغ بريد عمري مركز التكليف ، ويتفرق جمع خاطري بالكلف بعد التأليف ،

(١) عبد الله إبراهيم : السردية العربية . ص ١٩٤



انصب لاقتناص العلم أشراك التحصيل ، ... واغتنم الصحة قبل تجافيتها ، قد حالف جفني السهاد وخالف طيب الرقاد ... و أنس من شوارد العقول وحشيتها ، وأشرد عن روايض المنقول حوشيتها ، والتقط ضالة الحكمة حيث وجدتها ، وأقيد نادرة العلم حيث أصبتها ، مقدماً من العلوم أشرفها ، ومؤثراً من الفنون أطفها ، معتمداً من ذلك ما تألفه النفس ويقبله الطبع مقبلاً منه على ما يستجلي حسنه النظر ويستحلي ذكره السمع " (١) .

ويجد الباحث في هذه المقدمة إضافة ، للتمهيد سبيلاً للولوج في قصة المقامة فائدة أخرى ، حيث يستطيع الدارس أن يتتبع منهج " الناثر بن النظر " الممثل لدور القلقشندي نفسه ، فيتعرف على منهجه في تلقي علومه وطريقته في اختيار العلوم ، التي يراها لاثقة بطالب العلم تعلمها ، فهو يختار من الحكمة ضالتها ومن العلوم أشرفها ، ومن الفنون أطفها ، مقياسه في ذلك ما تألفه النفس ويقره الطبع ، ويرتاح له السمع ويكتشف حسنه النظر ، ويتتبعه القلقشندي لما لظرفي الزمان والمكان من أهمية في بنية العملية التعليمية ، فيتخير لهما أليق الأماكن ومن الزمان أوفقها .

ويبقى العنصر الرئيس في هذه العملية ، فالتعليم لا يتم دون مصادر يستقي منها الطالب علمه ، ولا يغترب القلقشندي ذلك ، فمصادره متنوعة متوزعة بين الشيوخ والكتب والدفاتر ، وهذه المصادر لها مواصفات خاصة

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١٤ ، ص ١١٢

تمتاز بها ، على غيرها من المصادر فيتخير منها ؛ " منتقياً من الكتب أمتعها  
تصنيفاً وأتمها تحريراً وأحسنها تأليفاً ، منتخباً من الأشياخ الإفادة أوسعهم علماً  
وأكثرهم تحقيقاً ومن أقران المذاكرة أروضهم بحثاً وأطفهم تدقيقاً عارفاً لكل  
عالم حقه ، وموفياً لكل علم مستحقه " (١) ، فهو لا يكل ولا يمل في سبيل  
جمع العلم وتحصيله ، " وأشن غارات المطالعة على كتائب الكتب فأرجع  
بالغنيمة ، وأهجم على حصون الدفاتر ثم لا أولي عن هزيمة بل كلما لاحت  
لي فئة من البحث تحيزت إليها ، أو ظهرت لي كتيبة من المعاني حملت عليها  
" (٢) .

وعلى نهج المقامات فهي لا بد وأن تحمل في طيها " المفاجئ " ، فيرى  
الباحث أن القلقشندي يصطنع المفاجأة اصطناعاً ، إذ إن سن التكليف ، لا  
يفاجئ الإنسان ، وإنما هي سن يتدرج الإنسان في سنوات عمره حتى يصلها ،  
ولعل الكاتب أراد إظهار مدى انشغاله في العلم ، وانغماسه في البحث فيه ،  
ليصحو على أجراس هذا السن وقد غشيه ، فيقع البطل في حيرة الاختيار بين  
العلم وطلب الرزق ، ولما لم يجد للسبيل استقامة لأحدهما دون الآخر ، أخذ  
يبحث على الجمع بينهما ، فيحاول إيجاد مهنة يقات بها دون تركه للعلم والتعلم  
. وفي خضم هذا البحث يلتقي بأحدهم ، وربما جازت تسميته " بالراوي  
المساعد " الذي سمح له الراوي البطل المعروف لدينا " بالنائر بن النظام "

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ج ١٤ ، ص ١١٢

(٢) المصدر نفسه ، ج ١٤ ، ص ١١٢ - ١١٣

تقديم جزء من المقامة ، بلغته كعارف بالأحداث يستخدم في ذلك ضمير المتكلم كالراوي الأول .

ويتوقف الباحث أمام طريقة التعرف بين الراوي والرجل الذي صادفه ، وهي كما وصفه في المقامات تبدأ بالسمع قبل البصر : " إذ رفع صوت قرع سمعي برنته ، وأخذ قلبي بحنته ، فقفوت أثره متبعاً وملت إليه مستمعاً ، فإذا رجل من أحسن الناس شكلاً ، وأرجحهم عقلاً ، وهو يترنم وينشد " (١) ، فينشد هذا الرجل الأبيات التي يصف بها الكتاب ، فيعجب بهم " الناثر بن النظام " ، ويمتدح هذه الصفات وكأنه وجد ضالته في مهنتهم ، فالكتابة هي المهنة التي تجمع بين العلم وطلب الرزق ، فيعود الرجل لمدحه للكتاب والكتابة ، ويحشد في سبيل ذلك ما يلائمه من الآيات القرآنية ويظهر من أسباب منع الرسول \_ عليه السلام \_ من الكتابة ، ويظهر من مرتبة الكتابة ومكانة الكتاب " فالكتابة قانون السياسة ورتبتها غاية رتب الرياسة عندها تقف الإنافة ، وإليها تنتهي مناصب الدنيا بعد الخلافة والكتّاب عيون الملوك المبصرة ، وأذانهم الواعية وألسنتهم الناطقة وعقولهم الحاوية بل محض الحق الذي تدخله الشكوك ، وإن الملوك إلى الكتّاب أحوج من الكتّاب إلى الملوك وناهيك بالكتابة شرفاً وأعلى بذلك رتبة وكفى أن صاحب السيف والقلم يزاحم

(١) القلشدي : صبح الأعشى ، ج ١٤ ، ص ١١٣

الكتّاب في قلمه ولا يزاحم الكتّاب صاحب السيف والقلم في سيفه وعلمه " (١) .  
ويبلغ إعجاب الناثر بن النظام غايته ، فيطلب إلى الرجل أن يدلّه على هؤلاء  
القوم ، لعله ينتسب إليهم ليجتمع بالعلم شملي ، ويتصل بالاشتغال حبلّي فلكون  
قد ظفرت بمنيّتي وفزت ببغيّتي (٢) .

ولكنه يقع في حيرة بين أنواع الكتابة ، فيسأل الرجل أي أنواع الكتابة  
قصد ؟ فيجيبه بما يفهم منه أن كتابة الإنشاء هي المقصودة ، ولكن القلقشندي  
يعمد إلى إدارة الحوار بينهما ، حول أيّتهما أهم كتابة الإنشاء أم كتابة الأموال  
؟ مضمناً لذلك من مقامات الحريري ، ويكون الرد أيضاً من مقامات الحريري  
؛ وبذا تقر عين الناثر بن النظام لمكانة كتابة الإنشاء وعلو رتبة كتابها ، فيسأل  
الرجل عما يحتاجه كاتب الإنشاء فيجيبه الرجل قائلاً : " أعلم أن كاتب الإنشاء  
لا تظهر فصاحته وتبين بلاغته ، وتقوى براعته ، وتجل براعته إلا بتحصيل  
، ومعرفة الاصطلاح والإحاطة بالرسوم " (٣) .

ويجد الباحث القلقشندي ، وقد رتب العلوم المختلفة مراتب حسب حاجة  
كاتب الإنشاء لها ، فيجعل حفظ القرآن الكريم أولى هذه العلوم " فهو معدن  
الفصاحة ، وعنصر البلاغة ، وإدامة قراءته وتكرير مثانيه ، مع العلم بتفسيره  
وتدبر معانيه ... ليكون مستحضراً له في الوقائع التي يحتاج إلى الاستشهاد بها

(٢) المصدر السابق نفسه ، ج ١٤ ، ص ١١٥

(٢) المصدر السابق نفسه ، ج ١٤ ، ص ١١٥

(٣) المصدر السابق نفسه ، ج ١٤ ، ص ١١٨

، ويضطر إلى إقامة الأدلة القاطعة ، عليها، فله الحجة البالغة ولآياته الأجوبة  
الدامغة " (١) ثم يأتي بعد ذلك مرتبة ، كلام النبي \_ عليه الصلاة والسلام \_ ،  
مع النظر في معانيها ومعرفه غريبها ، ومطالعة ما للعلماء في ذلك من آراء  
وأقوال ، فإنها النصوص التي تستند إليها الأدلة ، ويرتب بعد ذلك العلم  
بالأحكام السلطانية ، والتعرف لأشعار العرب القديم والمولد منه ، ومعرفة  
الأمثال نظمها ونثرها ، ومعرفة المحاورات والمناقضات وكذلك مطالعة خطب  
البلغاء ورسائل الفصحاء ، والعلم بأيام العرب ، ووقائعهم والنظر في أخبار  
وتاريخ الدول الماضية ، مع المعرفة في سير الملوك وأحوال الممالك ، أما  
اللغة فيعتبرها القلقشندي رأس مال الكاتب إذ أن النحو ملح الطعام ،  
وبالتصريف تعرف أبنية الكلام وعلوم المعاني ، والبديع والبيان هي حلة  
للسان الكاتب ، ويؤكد على العلم بالخط وآلات الكتابة وأنواعها (٢) .

وبالرغم من ترتيب هذه العلوم في درجات ، إلا أنها لا تأتي في المرتبة  
الأولى فهي : " أصوله التي يبني عليها ، وقواعده التي يرجع إليها فإذا أحاط  
بهذه الفنون علماً وأتقنها فهما غزرت عنده المواد واتضحت له الجواد ، فأخذ  
في الاستعداد وسهل عليه الاستشهاد " (٣) ، وعلى العكس من ذلك " فمتى

(١) المصدر السابق نفسه ، ج ١٤ ، ص ١١٨

(٢) المصدر نفسه ، ج ١٤ ، ص ١١٨ - ١٢٠

(٣) المصدر نفسه ، ج ١٤ ، ص ١٢٠

أخل بشيء من ذلك فاتته الفضائل وقلت بضاعته ، ونقصت صناعته وساءت  
آثاره وقِيمت أخباره ... " (١) .

ثم يذكر له علوماً أخرى تأتي بالمرتبة الثانية ، بل هي كالنافلة للكاتب  
يستزید منها ما يشاء ، منها : علم الكلام والمنطق والجدل وأحوال الفرق  
والنحل ، وأصول الفقه وعلم العروض وعلم والقوافي ، وعلم الفلاحة و  
المساحة ومراكز الأتقال ، والمرایا المحرقة والأرصاد والفلك والنجوم ، وعلم  
الطب والبيطرة والبيزرة ؛ وهذه العلوم تساعد الكاتب على إكمال صناعته  
وزيادة مهارته فيها ، ولكن ثمة علوم ، ذات علاقة بالكاتب نفسه ، وهي في  
المرتبة الثالثة : مثل علم التعبير وعلم الأخلاق وعلم السياسة ، وتدبير المنزل  
والفراسة ، ويرى أنه وإن استغنى الكاتب عن هذه العلوم ، بعض وقته إلا أنه  
يأتي عليه وقت ، لا يجد لنفسه عذراً في الجهل بها ، حتى أنه يتمنى لو أنها  
تشتري فيشترىها (٢) .

وينتقل بالسؤال عن رسوم هذه العلوم فيذكر منها الشيء الكثير ، حتى  
ليكاد يحصيها ويبدأ بالولايات وما يتصل بها من عهود وتقاليد ، وتقاويض  
والمراسيم والتواقيع والخطب ، والوصايا والمناشير والمربعات الجيشية ، كما  
برى أنه يترتب عليه معرفة رتب المكاتبات ، ودرجاتها تلك الصادرة عن  
الأموال السلطانية والواردة عليها ، وغير ذلك من أضرب المكاتبات ، وما

(١) المصدر السابق نفسه ، ج ١٤ ، ص ١٢١

(٢) المصدر نفسه ، ج ١٤ ، ص ١٢٠

يلزمها من طرة وطرءاء (\*) وعنوان وتأليف ، وعلامة توضع على أماكن خاصة في الكتب ليعرف منها مقدار المكاتب والمكتوب له ، وكذلك ترتيب الكتاب وطيه وختمه ، وأساليب إخفاء الكتابة أو تسمية ما فيها باستخدام الرموز الخاصة ، وكذلك الأمانات والدفن والمفاسحات ، وما يتوجب على الكاتب معرفته من أنواع الورق ، وما يناسب كل مكاتبه وما يناسبها من الأقلام ، كذلك معرفة مراكز البريد وأبراج الحمام ، ومراكب هجن الثلج والمحرقات والمناور (١) .

ويلحظ الباحث تركيز القلقشندي على الخط وترجيحه في ذلك ، حتى يجعله واسطة عقد الكتابة ويرى أن خيره ما قرىء ، ويتطرق للسجع والازدواج ويرى أنهما ملاك الحل والعقد في الكتابة ، وأن خير السجع ما جاء على الطبع بعيداً عن التكلف (٢) .

---

\* الطغراء: وصل يوضع في مناشير الكبار كمقدمي الألواف والألقاب السلطانية ويأتي بين الطرة والبسمة أنظر القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١٣ ، ص ١٦٢ \_ ١٦٦ ، ابن فضل الله العمري : التعريف ، ١١٨

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١٤ ، ص ١٢٢ \_ ١٢٣  
(٢) المصدر نفسه ، ج ١٤ ، ص ١٢٤

وينتقل لمحور آخر في المقامة ، ليعمل فيه على المدح والتقريض لصاحب الديوان بدر الدين بن فضل الله ، فكال له المدح حتى يجعل بيت الكتابة قاصراً على " آل فضل الله " ويجعل بيتها أشهر من معلقة امرئ القيس " قفا نبيك من ذكرى حبيب ومنزل ... " ويجعل بدر الدين قطبها الذي عليه تدور ، ثم يذكر عدداً من شيوخ الكتابة ويرى أنهم لو عاصروه ؛ لأقروا له بالفضل والتقدم عليهم ، فبعد هذه الأوصاف يطلب الناثر بن النظام من الرجل أن يدلّه عليه بعد أن عرفه ، فيقرب له الوصف : "إنه صفي الملك ونجيّه ، وكاتب سره ووليه ، والقريب منه إذا بعدوا ، والمخصوص بالمقام إذا طردوا ، والموجه إليه بالخطاب إذا حضروا ، والمستأثر بالورود إذا صدروا ... " (١) . وهنا يعرفه الناثر بن النظام حق المعرفة ، ويأخذ في مدحه ويتقيه فيخير بين كتاب الدست وكتاب الدرج ، فيختار القسم الثاني بموافقة لخاطره ؛ إذ هو باحث عن الكتابة وصناعتها ، وليس بالمركز والمكانة في الديوان فهو عصامي في هذا المجال وليس عظامياً ورثها عن سبقة من آبائه . وبهذا فإنه : " يخيل لنا أنه أراد في هذه الفرصة السانحة أن يبرز للناس ، ولصاحب الديوان مقدار علمه هو ، وإحاطته بما ينبغي لصاحب هذه الصناعة من ضروب المعرفة الشاملة الكاملة ، والنتيجة المنطقية لهذا أنه يتحلى بكل هذه الضروب ، وأن له فيها القدم الراسخة الثابتة ، وتكون هذه المقامة بمثابة "

(١) المصدر السابق ، ج ١٤ ، ص ١٢٥



عرض حال " يثبت فيه لصاحب الديوان كفايته ، ومؤهلاته التي تخول له  
الولوج من باب الديوان ، والقعود بين جلة كتابه " (١) ، وأشار القلقشندي بهذه  
المقامة في مقدمة كتابه " صبح الأعشى في كتابة الإنشا " ، وبين أنها كانت  
الأساس الذي دفعه لتأليف كتابه المذكور ، فيقول مشيراً للمقامة : " إلا أنها قد  
وقعت موقع الوحي والإشارة ، ومالت إلى الإيجاز فاكتفت بالتلويح عن واسع  
العبارة فعزّ بذلك مطلبها . وفات على المجتني بعد التناول أطيبها فأشار من  
رأيه مقرون بالصواب ومشورته عرية عن الارتياب ، أن اتبعها بمصنف  
مبسوط ، يشمل على أصولها وقواعدها . ويتكفل بحل رموزها وذكر شواهدا  
ليكون كالشرح عليها ، والبيان لما أجملته والتتمة لما لم يسقه الفكر إليها  
..... " (٢) ومن هنا يرى الباحث أنه يمكن اعتبار هذه المقامة البنية الأولى في  
معظم مؤلفات الكاتب ، إذ أنها كما أشرنا كانت الأساس والقاعدة التي بنى  
عليها كتابه صبح الأعشى ثم تلاه بكتاب مختصر له وسمه " بضوء الصبح  
المسفر وجني الدوح المثمر " حيث أحدث كتاب صبح الأعشى ضجة في  
عصره ، بين أوساط المفكرين فملاً الدنيا وشغل طلبة العلم ، وقد طلبوا منه  
اختصاره ليستفيد منه العامة ، كما استفاد منه الخاصة من المنشئين ،  
والموقعين في دواوين الإنشاء ، وهذا الاختصار سنة معروفة وأسلوب متبع

(١) محمود رزق سليم : عصر السلاطين المماليك ج ٥ ، ص ١٥ .

(٢) القلقشندي : صبح الأعشى ج ١ ص ٩

في هذا العصر " (١) ولعله ارتأى أن يتوسع في بعض جوانب صبح الأعشى الذي جاء مختصراً فألف كتابه " نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب " سنة ( ٨١٦ هـ ) وتبعه " بقلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان " سنة ( ٨١٩ هـ ) و " مآثر الإنافة في مسائل الخلافة " سنة ( ٨١٩ هـ ) ، فمعرفة ذلك من لوازم الكتابة ، و هذا ما يظهر للدارس أهمية هذه المقامة في البنية الأدبية لأعمال الفلقشندي .

ولما كانت هذه المقامة الوحيدة في أدب الفلقشندي ، أنشأها في أجلّ المواضيع لديه ، فقد حشد لها كل ما لديه من فنون الإنشاء ؛ يصبه فيها، من توظيف للموروث كتوظيفه لقصة " ابن عباس " وسكوته في خلافة عمر بن الخطاب \_ رضي الله عنه \_ (٢) ومن ذلك أيضاً توظيفه لأسماء الأشخاص ، لما تحمل من دلالات ، أفاد منها في رفع قدر ممدوحه مثل ذكره " الفاضل عبد الرحيم " (٣) " وقدامة " (٤) ، " والصابي " (٥) ، " وابن العديم " (٦) ، " وابن مقلة " (٧) ، " وابن هلال " (٨) ، ومن توظيفه كذلك توظيف أسماء الأماكن ، كجبال النيبك (٩) ، وله تناصات كثيرة مع القرآن الكريم ، منها ما

(١) عمر موسى باشا : تاريخ الدب العربي العصر المملوكي ص ٥٥١

(٢) أنظر الفلقشندي : صبح الأعشى ج ١٤ ، ص ١٢٦

(٣) هو القاضي الفاضل عبد الرحيم بوسايف أحد أئمة الكتابة والإنشاء ( ت ٥٩٦ هـ )

(٤) قدامة بن جعفر : أحد الكتاب البلغاء الفصحاء المتقدمين في علم المنطق والفلسفة يضرب به المثل في البلاغة ( ت ٣٣٧ هـ )

(٥) أبو اسحق الصابي : أحد أئمة الإنشاء والترسل ( ت ٣٨٤ هـ )

(٦) محمد بن هبة الله بن محمد بن هبة الله المعروف بن أبي جرادة كان من النساخ الفضلاء ( ت ٦٢٨ هـ )

(٧) محمد بن علي : وزير من الشعراء الأديباء يضرب بخطه المثل ( ت ٣٢٨ هـ )

(٨) هو نفسه ابن البواب علي بن هلال كان خطاطاً مشهوراً هذه طريقة ابن منقذ وكساها رونقاً ( ت ٤٢٣ هـ )

(٩) جبال مرتفعة ظاهرة للعيان تقع بين حمص ودمشق .

جاء اقتباسه كما في قوله تعالى : ﴿ إقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم  
الإنسان ما لم يعلم ﴾ (١) ، وقوله : ﴿ ن ، والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة  
ربك بمجنون ﴾ (٢) ، وقوله تعالى : ﴿ وإنه عليكم لحافظين كراما كاتبين ﴾ (٣)  
صدق الله العظيم ، ومنها ما جاء بطريقة التضمين كقوله : " وإنها لكبيرة  
إلا ، ولكن سأحدث لك مما سألت ذكرى ، وأنبئك بما لم تحط به خبرا " (٤)  
ففي قوله : وإنها لكبيرة إلا تناص مع قوله تعالى : ﴿ واستعينوا بالصبر  
والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين ﴾ (٥) وفي قوله : " ولكن سأحدث لك  
مما سألت ذكرى " تناص مع قوله تعالى : ﴿ قال فإن تبعنتي فلا تسألني عن  
شيء حتى أحدث لك منه ذكرى ﴾ (٦) وأما قوله : " وأنبئك بما لم تحط به  
خبرا " تناص مع قوله تعالى : ﴿ وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا  
﴾ (٧) ، وهنالك تناصات كثيرة مع الشعر من ذلك ، إيراد أبيات لأبي تمام  
حبيب بن أوس الطائي : -

ولضربة من كاتب بينانه      أمضى وأقطع من رقيق حسام  
قوم إذا عزموا عداوة حاسد      سفكوا الدماء بأسنة الأقلام

(١) سورة العلق : الآية ٣ - ٥

(٢) سورة القلم : الآية ١ - ٢

(٣) سورة الانفطار : آية ١٠-١١

(٤) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١٤ ، ص ١٢١

(٥) القرآن الكريم : سورة البقرة ، آية ٤٥

(٦) سورة الكهف : آية ٧٠

(٧) سورة الكهف : آية ٦٨

وثمة تناصات مع الأمثال كقوله " والمنشئ جهينة الأخبار " وهو من  
المثل القائل : " وعند جهينة الخبر اليقين " (١) كما ويجد الدارس أنه وظف  
شيئاً من المقامات فأفاد من " المقامة الفراتية " للحريري .  
ولا شك أن القلقشندي أعطى للسجع أهمية خاصة ، وقد تناوبت سجعاته  
بين السجعات القصيرة كقوله : " إن لها للقدح المعلى ، والجيد المحلى ،  
والذروة المنيفة ، والرتبة الشريفة ، كتابه أس الملك وعماده ، وأركان الملك  
وأطو اده " (٢) وهناك السجعات الطويلة كقوله : " أمرنُ النفس على الاشتغال  
كي لا تمل فتتعرز عن الطلب وتجمع ، مميلاً جانبي قصدها عن ركوب الأهواء  
والميل إليها متخيراً أليق الأماكن وأوفق الأوقات ، قانعاً بأدنى العيش راضياً  
بأيسر الأقوات " (٣) .

ويبرز الاهتمام بالجانب البديعي في المقامة ، ولا غرو في ذلك إذ أنه  
من الأركان التي بنيت عليها المقامات في الأساس . فمن ذلك الجنس ووروده

(١) الميداني : مجمع الأمثال ، ج ٢ ، ص ٣ ، وانظر العسكري جمهرة الأمثال ، ج ٢ ، ص ٤٤

(٢) القلقشندي صبح الأضي ، ج ١٤ ، ص ١١٦

(٣) المصدر نفسه ، ج ١٤ ، ص ١١٢

في المقامة كثير كقوله : " تكليف وتأليف ، أشراك وإشراك ، والأوقات والأقوات ، ووحشي ووحشي ، ويستجلي ويستجلي ، وشقيق وشقيق " ، وكذلك يستخدم العكس كقوله : " هذه صفات الملوك بل ملوك الصفات ، وأكرم الفضائل بل أفضل المكرمات " (١) .

ومن مجازاته التي وردت كقوله : " يبلغ بريد عمري مركز التكليف ، وأنزه توحيد الاشتغال عن إشراك التعطيل " (٢) .

وفي أثناء ذلك يوشي كلامه بالتورية إذ يقول : " أنزه توحيد الاشتغال عن إشراك التعطيل " والتعطيل رفض التوحيد والشريعة ، وهو المعنى القريب لسبق التعطيل بالإشراك والتوحيد ، وهو لا يريد ، وإنما يريد التعطيل عن الاشتغال بالعلم والانصراف عنه ، وبالمثل لا يريد بالإشراك ، الكفر الذي قد يظهر من اقترانه بالتعطيل إنما يريد الشركة أو المشاركة ، وأيضاً لا يريد بالتوحيد توحيد الله ، لاقترانه بالتنزيه وإنما يريد الوحدة والتعبير لذلك كله ملئ بتوريات متعاقبة ، وبالمثل قوله في نهاية كلامه : " الفتح " وقد تلاه بالغنيمة والقسمة مورياً بذلك عن الفتح العلمي ، لا كما يظن من السياق الفتح الحربي ، وبالمثل كلمة " القسمة " ، فهو لا يريد بها المعنى القريب الملائم للغنيمة ، وهو

---

(١) المصدر السابق ، ج ١٤ ، ص ١١٤

(٢) المصدر نفسه ، ج ١٤ ن ص ١١٢

القسمة في الحرب ، وإنما يريد بها المعنى البعيد ، وهو : الحظ من قولهم  
قسمة ونصيب " (١) .

على أن القلقشندي أحدث تغييراً آخر في المقامة ، وفي الخاتمة على  
وجه الخصوص ؛ حيث كانت تختم المقامات بأبيات من الشعر ، في حين  
اختار القلقشندي لمقامته آية من القرآن الكريم تناسب موضوع المقامة ، وتكون  
خاتمة لها . مما يجعل الباحث يعتقد أن القلقشندي ، استطاع توظيف هذا  
الضرب من فنون الأدب ، ليناسب عصره في الشكل والمضمون ، فلا يخفى  
على الدارس طغيان النزعة الدينية على مناحي الحياة كافة ، في العصر  
المملوكي ولعل ذلك كان وراء اختيار القلقشندي لهذه الخاتمة لمقامته ، وتجنبيه  
الخاتمة الشعرية .

(١) شوقي ضيف : عصر الدولة والإمارات ( مصر والشام ) دار المعارف القاهرة مصر ١٩٨٤ ، ص ٤٥٣

# الفصل الثالث

## الدراسة الفنية لأدب أبي العباس القلقشندي

يحاول الباحث في هذا الفصل ، دراسة أدب القلقشندي دراسة فنية ، بعد أن رس مضامينه في الفصل السابق ، وقد جاءت الدراسة الفنية في بعض جوانبها مفيدة من المناهج الحديثة في دراسة التناس ، بأشكاله المختلفة : الديني الأدبي والتاريخي ، ولما كانت الفنون البديعية من أشهر المياسم التي وسم بها ، ب هذا العصر فقد طرقها الباحث في أدب الكاتب كما ودرس لغته وأسلوبه ، الخيال والصورة في إبداعه .

### تناس :

لقد تعرض هذا المصطلح النقدي في تعريفه لكثير من الاجترار منذ أن طالقت الباحثة جوليا كرسيفا تعريفها الأول له سنة ١٩٦٦ م بقولها : " هو النقل عبرات سابقة أو مترامنة وهو ( اقتطاع ) أو ( تحويل ) وهو عينة تركيبية جمع تنظيم نصي معطي التعبير المتضمن فيها أو الذي يحيل إليه " (١) أو جملة المعارف التي تجعل من الممكن للنصوص أن تكون ذات معنى ، وما أن كر في معنى النص ، باعتباره معتمداً على النصوص التي استوعبها وتمثلها ، ننا نستبدل بمفهوم تفاعل الذوات مفهوم التناس " (٢) وجاء رولان بارت في

---

(١) أحمد الزعبي : التناس نظرياً وتطبيقياً ، اربد ، مكتبة الكتاني ، ط ١ ١٩٩٠ م ، ص ٩  
(٢) صبري حافظ : أفق الخطاب النقدي ، دار شرقيات للنشر والتوزيع ، باب لوق القاهرة ط ١ ١٩٩٦ م ، ص ٥٩



كتابته ( من العمل إلى النص ) حيث اعتبر كل نص هو " نسيج من الاقتباسات والمرجعيات والأصداء " (١) ومن ثم يأتي مارك أنجينو ليقول : " إن كل نص يتعايش بطريقة من الطرق مع نصوص أخرى ، وبذا يصبح نصا في نص ، تناسا .. " (٢) أما ( هارولد بلوم ) فيذهب إلى أبعد من ذلك ، إذ " لا يفترض أن علاقات أي نص هي علاقات تناسية بالدرجة الأولى فحسب ، ولكنه يتصور أن علاقة النص بالنصوص الأخرى ذات طبيعة أوديبية ، وأنها في أعماق الأعماق من علاقته بهذه النصوص جميعا ، علاقة أوديبية أساسية بنص رئيس ، هو بمثابة الأب له ، نص يريد أن يدمره وأن يحتل مكانه " (٣) أما من النقاد العرب فقد عرّفه محمد مفتاح بأنه : " تعالق " الدخول في علاقة " نصوص مع نص حدث بكيفيات مختلفة " (٤) وكذلك أحمد الزعبي ، الذي جاء بتعريف مبسط ، يرى فيه أن التناص : " يعني أن يتضمن نص أدبي ما ، نصوصا أو أفكارا أخرى ، سابقة عليه عن طريق الاقتباس ، أو التضمين أو التلويح أو الإشارة ، أو ما شابه ذلك من المقرء الثقافي لدى الأديب ، بحيث تندمج هذه النصوص ، أو الأفكار مع النص الأصلي وتندغم فيه ، ليشكل نصا جديدا واحدا متكاملا " (٥)

(١) أحمد الزعبي : التناص نظريا وتطبيقيا ، ص ١٠

(٢) المرجع نفسه : ص ١١

(٣) صبري حافظ : أفق الخطاب النقدي ، ص ٦١

(٤) محمد مفتاح : تحليل الخطاب الشعري ( استراتيجية التناص ) ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء -

المغرب ، ط ١ ، ١٩٨٥ ، ص ١٢١

(٥) أحمد الزعبي : التناص ، نظريا وتطبيقيا ، ص ٩

ومهما كانت الأبعاد بين التعريفات ؛ فإنها تدور حول ملئقى واحدٍ ؛ وهو علاقة النص المكتوب بالنصوص الأخرى ، ولعله بمقدور الباحث القول : أن جميع التعريفات وقعت في تناص مع التعريف الأول لجوليا كريستفا .

ويرى الباحث ، أنه من الصعب مناقشة التناص بعيداً عن التلقي ، إذ أنه كما للنص إشارات وشفرات تشع ، فإن ذلك مرتبط بأفق المتلقي ، الذي يمتلك هو الآخر ثقافة تدفعه لإعادة صياغة النص ، وإدخاله في تناص مع نص جديد ، قد يأتي مدعماً لمقولته ، أو مضاداً له أو محوراً ذلك في سبيل خدمته وهذا الذي يذهب إليه الباحث ، ليس بجديد على النقد العربي فمن ذلك على سبيل المثال رأيهم في حل المنظوم " وإذا أتمّ معه المعنى المحلول في قرينة واحدة فيفرض له من حال فكره أو من ذخيرة حفظه ، ما يناسبه ، وله أن ينقل المعنى إذا لم يفسره إلى ما شاء ، فإن كان نسيباً وتأتى له أن يجعله مديحاً فليفعل ، وكذلك غيره من الأنواع " (١) ومن المعاني التي كثر انتقالها من نص إلى نص ومن غرض إلى آخر وفق ما يراه متلقيه قوله عليه السلام : " إن من البيان لسحراً " حيث حوّل ليضرب كمثل (٢) في زمن لاحق . ولكن عندما يكون المتلقي شاعراً ، فإنه يلتقط الفكرة ، وتصبح من مخزونه وممتلكاته كمتلقي ، وتخرج من قيده ؛ إذا ما

---

(١) التلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١ ، ص ٢٨٣ ، وانظر الحلبي حسن التوسل ، ص ٣٢٦  
(٢) الميداني أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري (٥١٨هـ - ١١٢٤م) مجمع الأمثال، حققه وعلق حواشيه  
محمد محي الدين ، مطبعة السنة المحمدية ١٩٥٥ ، ج ١ ، ص ٧

أعاد صياغتها في نص جديد مسخرها لما يعتلج في فكره ، وكان الشاعر الذي  
التقط النص ابن الرومي فساغه شعراً في النسب :

وحديثها السحر الحلال لو أنه لم يجن قتل المسلم المتحرز (١)

ولكن التناص مستمر ، ما دام هنالك متلق يستقبل النص ويعيد إخراجَه ،  
وفي هذه الكثرة ، يكون القلقشندي الذي يعيده نثراً ، وفي غرض آخر وهو المديح  
: " فإن تكلم أتى من بيانه السحر الحلال ، أو حاور أتى من البلاغة بما يقصر  
عن رتبته كاتباً في المقالة " (٢) .

هذا المثال ، البسيط من التناص ، الذي حافظ فيه النص الأول على مفرداته  
، أثناء تنقله من متلق إلى آخر ، فكيف لو أن هذه النقلات تعدت الألفاظ لتأتي  
بالمعنى المراد أو المعاكس؟! ولعله من الصعب ، إغضاض الطرف عن ردود  
المتلقي أو القارئ المنتج ، كما يسميه بعضهم ، لأنه الوسيلة التي يتخطى فيها  
النص الزمان ، فمن خلاله يجعل النص في نصوص أخرى ، بصور متعددة  
الملاح .

والقلقشندي كقارئ منتج أو متلق فاعل ، يحفز الباحث على دراسة التناص  
في إنتاجه الأدبي ، علاوة على محاولته لطرح القضية (٣) ، محاولاً تقديم  
الوصايا للكتاب ، وما يحتاجونه في إنشائهم . وقد عمد الباحث لدراسة التناص

(١) ابن الرومي الحسن علي بن العباس : الديوان تحقيق حسين نصار ، مطبعة دار الكتب القاهرة ١٩٧٦ م ،

ج ٣ ، ص ١٦٤

(٢) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١٤ ، ص ١٩٥

(٣) المصدر نفسه : ج ١ ، ص ١٥٠ - ٣٠٦

عند القلقشندي ، ضمن ثلاثة محاور : التناص الديني ، و التناص الأدبي ،  
والتناص التاريخي .

### التناص الديني :

وهو توظيف الكاتب للنصوص الدينية داخل النص الذي ينشأه ، وتقدر  
أساليب التوظيف والاستخدام ، كما أن النصوص الدينية متعددة الأنواع ، ومختلفة  
الأشكال .

### أولاً القرآن الكريم :

" وقد أخرج من الكتاب العزيز ، شواهد لكل ما يدور بين الناس في  
محاوراتهم ، ومخاطباتهم ، مع تصور كل لفظ ومعنى له ؟! وعجز الإنس  
والجن عن الإتيان بسوره من مثله " (١)

واستخدام آيات القرآن الكريم ، يأتي على ثلاثة أضرب :

**الضرب الأول :** الاستشهاد ، وهو إدخال شيء من القرآن الكريم في الكلام  
مع التنبيه عليه ، بقوله : " قال تعالى " أو " كقوله عز وجل " أو " كما ورد في  
كتاب الله " إلى آخر ذلك من أساليب الإشارة والتنبيه لما يجاب من غير كلام  
الكاتب (٢) ويصفه القلقشندي بأنه " أقلها وقوعاً في الكلام ، ودوراناً في الاستعمال  
، في حين يشير شهاب الدين الحلبي لكثرة وقوع الاستشهاد ، بقوله : " وقد أكثر

(١) شهاب الدين الحلبي : حسن التوسل إلى صناعة التوسل ، ص ٧٢

(٢) القلقشندي : صبح الأعشى ج ١ ص ١٩٤

الناس في الاستشهاد : فمفرط في الحسن ومفرط " (١) ولعل الحلبي أراد بالكثرة التي أوردها في مقولته ، شتى أضرِب التوظيف ، وليس الاستشهاد فقط ، وقد لاحظ الباحث قلة لجوء الكتاب لمثل هذا الضرب من التوظيف ، إذ قلما ينبه الكتاب لما يدخل في نصوصه من آيات القرآن الكريم .

ويقدم الباحث عدداً من التناصات القرآنية ، على طريقة الاستشهاد في كتابات الفلقشندي ، وقد لاحظ الباحث أن هذه التناصات جاءت ضمن الكتابات الديوانية وإن خرج بعضها فنجده في ثنايا المقامة أما الرسائل الأخوانية ، فتكاد تخلو من هذا الضرب من التناص .

ومما ورد في بيعة مرتبة على موت خليفة ، قوله : " واشهدوا عليهم بذلك من حضر مجلس العقد من الأئمة الأعلام ، والشهود والحكام ، وجعلوا الله تعالى على ما يقولون وكيلا ، فاستحق عليهم الوفاء بقوله عزت قدرته ﴿ وأوفوا بعهدهم الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها ، وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ﴾ " (٢) (٠) وهنالك استشهاد آخر ، في البيعة نفسها في قوله : " ويلجأون إليه ، أن يجعل أئمتهم ممن أشار تعالى إليه بقوله : ﴿ اللذين إن مكناهم في الأرض أقاموا

(١) الحلبي : حسن التوسل : ص ٧٨

(٢) سورة النحل آية ٩١

(٢) الفلقشندي صبح الأعشى ج ٩ ص ٣١٣

الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الأمور ﴿ (١)﴾  
إن شاء الله تعالى " (٢) .

ومثل ذلك نجد في بيعة مرتبة على خلع خليفة ، فمن ذلك قوله : " ويحقق  
لهم بمن استخلفه عليهم وعده الصادق ، بقوله تعالى : ﴿ وعد الله الذين آمنوا  
منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض ، كما استخلف اللذين من قبلهم  
وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ﴾ (٣) إن شاء  
الله تعالى " (٤) وجاء من ذلك في عهد كَتَبَهُ القلقشندي ، يقول فيه " ... ووصية  
الرجل لبنيه مطلوبة ، فقد قال تعالى ﴿ ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب ﴾ (٥) " (٦)

وثمة استشهادات وردت في التواقيع (٧) ، وأخرى جاء بها القلقشندي في  
مقامته : " الكواكب الدرية في المناقب البدرية " (٨) .

(١) سورة الحج : آية ٤١

(٢) القلقشندي : صبح الأعشى ج ٩ ص ٣١٣

(٣) سورة النور : آية ٥٥

(٤) القلقشندي : صبح الأعشى ج ٩ ص ٣١٩

(٥) سورة البقرة : آية ١٣٢

(٦) القلقشندي : صبح الأعشى ج ٩ ص ٣٧٥

(٧) المصدر نفسه : ج ١٢ ص ٥٠ ، وانظر سورة النور : آية ٥١ والنساء آية ٦٥

(٨) المصدر نفسه ج ١٤ ص ١١٤ وانظر سورة القلم آية ١-٢ ، الانفطار آية ١٠ ، الأنعام آية ٢٥ ،  
العلق ٣-٥

## الضرب الثاني الاقتباس أو التضمين :

وهو إدخال آيات قرآنية ، أو أجزاء منها وتكون منصفة ، ولكن الكاتب لا ينبه عليها ، كما في الاستشهاد ، ويلاحظ الباحث أن هذا الضرب من التتاص ، استخدمه الكاتب أكثر من سابقه ، وإن اشترك معه في مواقع توظيفه ؛ فمعظم ما وجده الباحث في الكتابات الديوانية ، وآخر في المقامة ، في حين تكاد تخلو منه الرسائل الاخوانية .

ومن أمثلة استخدامه في الكتابة الديوانية ، ما أورده الكاتب في بيعة مرتبة على موت خليفة ، مظهراً مكانة المبايع ، وعظم صفاته ، حتى أن الخلافة هي التي تطلبه لنفسها ، لا هو من يسعى إليها ، فيقول : " ولا كفاء تخطبه ، يكون لديها مكينا إلا الإمام الفلاني المشار إليه ، فدعته لخطبتها ، وهي بيت عرسه ﴿ وراودته التي هو في بيتها عن نفسه ﴾ (١) فأجاب خطبتها ، ولبى دعوتها " (٢) وقد يميل الكاتب إلى تضمين الآية التي ترد في أكثر من سورة من سور القرآن الكريم ، وقد وجد الباحث ذلك في تضمين الكاتب ، لآية بسياق حديثه في بيعة مرتبة على خلع خليفة ، حيث يقول : " وأوضح لهم مناهج الحق ، ودعاهم إليها ، وأبان لهم سبل الهداية : ﴿ فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ، ومن أضل فإنما يضل عليها ﴾ (٣) صلى الله عليه ، وعلى آله أئمة الخير ، وخير

(١) سورة يوسف : آية ٢٣

(٢) القلقشندي صبح الأعشى ج ٩ ص ٣١٠

الأئمة" (١) ومثله ما أورده في عهد عن الإمام المتوكل على الله ، محمد بن المعتضد أبي الفتح أبي بكر ، لولده العباس يقول : " ... وأوضح السبيل في التعريف بمقام الآل ، والعترة النبوية " ﴿ فلا يكن أمركم عليكم غمة ﴾ (٢) وفي العهد نفسه أيضا يقتبس آية أخرى ، في قوله : " .... معينا لأبيه في حياته خليفة له من بعده ، وأن يصرح له بالاستخلاف ، ويوضح ويتلو عليه بلسان التفويض ﴿ أخلفني في قومي وأصلح ﴾ \* " (٣) وهناك تضمينات أخرى في العهد نفسه (٤) ، وكذلك في البيعة السابقة (٥) ، وما نجده في نسخة تقليد أنشأه الكاتب بالإشارة ، للأmir جمال الدين يوسف البشاسي ، استدار في الدولة الناصرية فرج يقول فيه : " ... إن أشار برأي ، تمسك الملك منه بالحبل المتين ، أو محضه كلام نصح ، قال : ﴿ .... إنك اليوم لدينا مكين أمين ﴾ \* " (٦) ولعل الإتكاء الواضح على الاقتباس من القرآن الكريم ، في الكتابات الرسمية ، عائد لرغبة الكاتب ، بإصباغ الصبغة الدينية على من يكتب له ، لما لذلك من أثر في نفوس الناس ، حيث طغت النزعة الدينية على شتى مجالات الحياة ، فمن ذلك ؛ ما يورده الكاتب في نسخة تصدير ، أنشأه لقاضي القضاة ، بدر الدين محمود وولده

(١) القلقشندي صبح الأعشى ج ٩ ص ٣١٤ \* انظر سورة يونس آية ١٠٨ ، الاسراء آية ١٥ ، الزمر آية ٤١

(٢) المصدر نفسه ، ج ٩ ص ٣٧١ ، \* انظر سورة يونس آية ٧١

(٣) المصدر نفسه ، ج ٩ ص ٣٧٤ ، \* انظر سورة الأعراف آية ٤١

(٤) المصدر نفسه ، ج ٩ ص ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، وانظر الآيات في سورة الطلاق آية ( ٢ ) وسورة غافر آية ( ٥١ ) وسورة هود ( ١٨ ) وسورة الفرقان آية ( ٣١ ش ) وسورة الذاريات آية ( ٥٥ )

(٥) المصدر نفسه ، ج ٩ ص ٣١٧ ، ٣١٩ ، وانظر الآيات سورة الفتح آية ( ١٠ ) وسورة الرحمن آية ( ٦٠ )

(٦) المصدر نفسه ، ج ١١ ص ١٥٤ ، \* وانظر الآية في سورة يوسف آية ( ٥٤ )



، جلال الدين محمد ، بإعادة تصديرين كانا باسمهما ، بالجامع الأموي بدمشق ، يقول فيه : " والله يقر لهما بهذا الاستقرار عينا ، ويهيج خواطرهما بهذه الولاية ، إيهاج من وجد ضالته فقال : ﴿ هذه بضاعتنا ردت إلينا ﴾ \* " (١) وقد لاحظ الباحث ، أن الكتابات الرسمية غالبا ما تختتم بأية من القرآن الكريم ، تأتي قبل المشيئة .

وضفر الباحث ، بشيء من التضمين للآيات القرآنية الكريمة في المقامة ، التي كتبها القلقشندي ، مثل قوله عندما تعرف الناثر بن النظام على المقر البدري ، بعدما تحدث له الرجل عنه ، وأنشد أبياتا من الشعر يصف له المقر البدري فيها ، فيقول الناثر بن نظام : " حسبك قد دنني عليه عرفه ، وأرشدني إليه وصفه ، وبان لي محتسده الفاخر وحسبه الصميم ، وعرفت أصله الزاكي وفرعه الكريم ﴿ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴾ \* " (٢) .

### الضرب الثالث : التلميح والإشارة

وهو أن يذكر بعض الآية ، وربما كلمة واحدة منها تدل على الآية ، وقد تبين للباحث ، أن هذا النوع من التناص القرآني ، أكثرها انتشارا في كتابات القلقشندي ، ويرى الباحث أن السبب في ذلك ، يعود لكون الضربين الأولين ، استخدمهما الكاتب للتدليل على ما يذهب إليه من آراء ، أو كحجج يجلبها ليدعم

(١) المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ١٨٤ ، \* انظر الآية في سورة يوسف آية ( ٦٥ )  
(٢) المصدر نفسه ، ج ١٤ ، ص ١٢٥ ، \* وانظر الآية في سورة المائدة ( ٥٤ ) وسورة الحديد آية ( ٢١ )  
( وسورة الجمعة آية ( ٤ ) )

فيها آراءه في أغلب الأحيان ، أما التلميح ؛ فإنه بالإضافة لهذا السبب، فإن الكاتب يأتي به لسبب أسلوبى وبلاغى يرمى من ورائه إظهار حسن السبك فى الكتابة ، والتنوع فى الأسلوب .

وقد لاحظ الباحث ، أن معظم هذا الضرب من التناص ، جاء فى الرسائل الديوانية كسابقه ، ومن أمثلة ذلك قوله فى دعاء : " وسقى عهد العهاد وشفى بعدله العباد ، وزان به حسن بلده التى لم يخلق مثلها فى البلاد ، وهى إرم ذات العماد ، أصدرنا إلى المقر الكريم بسلام تسر به النفوس ... " (١) فقوله : " التى لم يخلق مثلها فى البلاد ، وهى إرم ذات العماد " مأخوذ من قوله تعالى ﴿ إرم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد ﴾ (٢) وقوله ، فى دعاء آخر : " ولا زال يعد ليوم تشيب منه الولدان ويعد دونه كل محارب بينه وبين الشهباء والميدان " (٣) ويلحظ الدارس أن قوله : " ولا زال يعد ليوم تشيب منه الولدان ، مأخوذ من قوله تعالى : ﴿ فكيف تتقون إن كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا ﴾ (٤) وقد يكون التناص أكثر تعمية ، وأقل وضوحا للعلاقة بين ما يكتبه الكاتب ، وبين الآية القرآنية الكريمة ، كقوله فى المقامة : " وأهجم على حصون الدفاتر ثم لا أولى عن هزيمة ، بل كلما لاحت لي فئة من البحث تحيزت إليها ، أو ظهرت لي

(١) المصدر السابق ، صبح الأعشى ، ج ٧ ، ص ١٤٦

(٢) القرآن الكريم : سورة الفجر ، آية ( ٨٧ )

(٣) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٧ ، ص ١٤٨

(٤) القرآن الكريم ، سورة المزمل ، آية ( ١٧ )

كتيبة من المعاني حملت عليها " (١) ففي مقولته هذه تلميحاً قد يبدو بعيداً \_ للآية  
القرآنية الكريمة ﴿ ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد  
باء بغضب من الله وماواه جهنم وبئس المصير ﴾ (٢) وكذلك ما ورد في المقامة  
من قوله : " وتساويا في الترجيح ، فلم تجنح واحدة منهما إلى السلم " (٣) فهو  
يشي بالآية الكريمة ﴿ فإن جنحوا للسلم ، فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو  
السميع العليم ﴾ (٤) ومنه ما يكون أكثر وضوحاً في تلميحها للآية ، التي يقع  
معها التناص ، كقوله في كتاب أنشأه في الإجابة على كتاب سلطاني :

" وأجاب داعيه بالامتثال سامعاً طائعاً ، وسجد سجود الشكر لذلك فعرف  
بسيماهم " (٥) فيشير لقوله تعالى : ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على  
الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في  
وجوههم من أثراً لسجود ... ﴾ (٦) .

وقد وجد الباحث أن بعض التناصات في هذا الضرب ، قد عمد الكاتب فيها  
إلى الإشارة لحوادث وقصص قرآنية ، كإشارته لقصة أصحاب الكهف في قوله "  
فوجدت قوماً قد حفهم الحسن وزانهم الإحسان ، فقلت : الحمد لله ! هؤلاء فتية

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١٤ ، ص ١١٨

(٢) القرآن الكريم : سورة الأنفال ، آية ( ١٦ )

(٣) القلقشندي صبح الأعشى ، ج ١٤ ، ص ١١٣

(٤) القرآن الكريم ، سورة الأنفال آية ( ٦١ )

(٥) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٨ ، ص ٣٨٠

(٦) القرآن الكريم : سورة الأعراف ، آية ( ٥٩ )

ذاك الكهف بلا امتراء " (١) ففيها إشارة لقصة أصحاب الكهف الواردة في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا ، إذ أوى الفتية إلى الكهف ، فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة ، وهيئ لنا من أمرنا رشدا ﴾ (٢) وكذلك نجد تكرارا في توظيف قصة يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز ، مثل قوله واصفا حرص الخلافة على العهود له ، وأن يكون الخليفة القائم بأمرها : " وتطمع في قربه ، وتتغالى في حبه ، وتميل إلى أنسه ، وتراوده عن نفسه ، وهو كفؤها المتجمع لشرائطها المتصف بصفاتها " (٣) فهذا في تناص مع قوله تعالى : ﴿ وراودته التي هو في بيتها عن نفسه ، وغلقت الأبواب وقالت هيت لك قال ما عاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون ﴾ (٤) وكذلك نجد يورد قصة حلم العزيز الذي فسره يوسف عليه السلام في قوله : " وترفع بركاتهما عن الأمة حصرا ، وتبدل العسر يسرا ، فتعيد عجاف الزمان سمانا ، وسنبلات الوقت بعد اليبس خضرا ، وسلم تسليما كثيرا " (٥) والتناص فيها مع قوله تعالى : ﴿ وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف ، وسبع سنبلات خضر ، وآخر يابسات ، يا أيها الملأ

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١٤ ، ص ١٢٧

(٢) القرآن الكريم : سورة الكيف ، آية ( ٩ ) وما بعدها

(٣) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٩ ، ص ٣٧٣

(٤) القرآن الكريم ، سورة يوسف ، آية ( ٢٣ )

(٥) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١١ ، ص ١٥٤

افتوني في رؤياي ؛ إن كنتم للرؤيا تعبرون ﴿ (١) \_ وبهذه الطريقة نجده يلمح لقصة زكريا \_ عليه السلام \_ وابنه يحيى ، التي وردت في سورة مريم ، إذ يقول : " وتقبل دعاء أبيه فوهب له من لدنه وليا وأجاب نداءه فيه فمكّن له في الأرض ، وآتاه الحكمة صبيا فاستوجب أن يكون حينئذ للمسلمين ولي عهدهم " (٢) ويأتي التناص مع قوله تعالى : ﴿ ذكر رحمة ربك عبده زكريا ... يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا \* ﴾ (٣) ومنه أيضا توظيفه لقصة طالوت الواردة في القرآن الكريم ، بقوله : " واصطفاه على أهل عصره ، وزاده بسطة في العلم والجسم ، فلا يعزم أمرا إلا كان رشادا ولا يعتمد فعلا إلا ظهر سدادا " (٤) ويأتي هذا تناصا مع قوله تعالى : ﴿ وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم ﴾ (٥) وقد أكثر الكاتب من هذا الضرب من التناص ، حتى أنه يشير لقصتين في القرآن الكريم في العبارة الواحدة ، من ذلك إشارته لقصة مريم \_ عليها السلام \_ ، عندما جاءها المخاض ، وقصة موسى \_ عليه السلام \_ عندما عبر البحر ، هاربا من فرعون وجنوده ، حيث يقول : " وقد

(١) القرآن الكريم : سورة يوسف ، آية ٤٣ \_ ٤٩

(٢) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٩ ، ص ٣٧٣

(٣) القرآن الكريم ، سورة مريم ، آية ١ ، ١٥

(٤) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٩ ، ص ٣٧٢

(٥) القرآن الكريم : سورة البقرة ، آية ٢٤٧

اتخذت من الاحتشام معقلا وحصنا لا يفشى وانتبذت من حسادها مكانا قصيا فلا تخافوا دركا ولا تخشى " (١) ففي قوله : " فانتبذت من حسادها مكانا قصيا " تناص مع قوله تعالى : ﴿ فحملته فانتبذت به مكانا قصيا ﴾ (٢) والمقصود هنا مريم \_ عليها السلام \_ أما قوله : ( فلا تخاف دركا ولا تخشى ) فهو تناص مع قوله عز وجل : ﴿ ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى ﴾ (٣) وهناك تناص آخر مع قصة موسى \_ عليه السلام \_ بقوله : " وصدني كد الكد عن الاهتمام بالطلب والاحتفال ، فغشيني من القبض ما غشيتي ، وأخذني من الوحشة ما أخذني " (٤) ففيه تلميح لقوله تعالى : ﴿ فاتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم ﴾ (٥) ونلاحظ التغيير في معنى الاستخدام هنا ، إذ هو يريد الغم الذي ركبه ، في حين المراد في الآية الكريمة ؛ البحر وأمواجه التي غرقوا فيها ، وثمة موقع آخر نلاحظ فيه إجراء التغيير من قبل القلقشندي في كلمات الآيات ، لتناسب مبتغاه ، كقوله في نسخة بيعة : " الحمد لله الذي جعل بيت الخلافة مثابة للناس وأمنا " (٦) والتناص واضح مع قوله تعالى : ﴿ وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١٤ ، ص ٣٣٧

(٢) القرآن الكريم : سورة مريم ، آية ( ٢٢ )

(٣) القرآن الكريم : سورة طه ، آية ( ٧٧ )

(٤) القلقشندي صبح الأعشى ج ١٤ ، ص ١١٣

(٥) القرآن الكريم : سورة طه ، آية ( ٧٨ )

(٦) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٩ ، ص ٣١٣

إبراهيم مصلى وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين  
والركع السجود ﴿ (١) .

فالبيت الذي ورد في الآية ، يقصد به البيت الحرام في مكة المكرمة ، أما  
البيت الذي قصده الكاتب فهو دار الخلافة في القاهرة ، ولعل هذا التغيير الذي نبه  
شهاب الدين الحلبي على تجنبه ، بقوله : " أما تغيير شيء من اللفظ بغيره أو  
إحالة معنى عما أريد به فلا يجوز ، ولا ينبغي العدول عنه ، مهما أمكن والله  
أعلم " (٢) .

ومثل ذلك ما ذكره القلقشندي في صبحه حيث يقول : " فأما تغيير شيء من  
اللفظ أو إحالة معنى عما أريد به فلا يجوز بحال " (٣) وقد حرص بعضهم على  
عدم جواز الاستشهاد ، بما أراد الله به نفسه ، إلا فيما يضاف إلى الله \_ سبحانه  
وتعالى \_ مثل قوله : ﴿ ونحن أقرب إليه من حبل الوريد ﴾ (٤) مما يقتضيه  
الأدب مع الله تعالى (٤) . على أن الباحث وجد الشيء الكثير من التناص ، جاء  
على طريقة التلميح ، ولعل ما أورده من تمثيل على هذا الضرب من التناص ،  
يفي بالغرض ويكتفي به تجنباً للإطالة (٥) ، ويشير القلقشندي أنه يتوجب على

(١) القرآن الكريم : سورة البقرة ، آية ( ١٢٥ )

(٢) الحلبي : حسن التوسل إلى صناعة التوسل ، ص ٧٨

(٣) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١ ، ص ١٩١

(٤) القرآن الكريم : سورة ق ، آية ١٦

(٥) انقلشندي : صبح الأعشى ، ج ١ ، ص ١٩١

(٥) انظر على سبيل المثال للحصر : صبح الأعشى ، ج ١٤ ، ص ١١٨ وسورة البقرة آية ( ٢٨٩ ) / صبح الأعشى  
، ج ١٤ ، ص ١٩٦ وسورة البقرة آية ( ٢٦١ ) / ج ١٤ ، ص ٢٥٢ ، وسورة لقمان ، آية ( ٢٠ ) / ج ١٤ ، ص ٢٢٩  
وسورة البقرة آية ( ٢٦١ ) / ج ١٤ ، ص ٢٣٨ وسورة النساء آية ( ١٢٨ ) / ج ١٤ ، ص ٣١٩ سورة الحج آية ( ٥ )  
وسورة ق ، آية ( ٧ ) / ج ١١ ، ص ١٩٣ ، وسورة المائدة ، آية ( ٥٤ ) / ج ١١ ، ص ٢٣٧ وسورة مريم ، آية ( ٨٧ )

الكاتب مع حفظه للقرآن الكريم ، وتفسيره لتوظيفه فيما يكتب ، كذلك يحتاج لمعرفة ما يختص به من علوم ، من القراءات السبع ، والشواذ وأشهر من عرف بالقراءة ، ومعرفة رؤوس المفسرين ؛ ليقيم المفاضلة بينهم وبين من يكتب عنهم ، ويوري ويقايس بأعيانهم (١) .

---

(١٨) / ج ١١ ، ص ٢٤٠ ، سورة التوبة ، آية ( ١٠٨ \_ ١٠٩ ) / ج ١١ ، ص ٢٥٢ وسورة النحل ، آية ( ٤٠ ) / ج ١٢ ، ص ٥٠ وسورة العنكبوت آية ( ٥٨ ) / ج ١٢ ، ص ٥١ ، وسورة طه آية ( ٧٢ ) / ج ١٢ ، ص ٥٣ ، وسورة رقصان آية ( ٧٦ ) / ج ١٣ ، ص ٤٧ ، وسورة النساء ، آية ( ٤ ) .  
(١) الفلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١ ، ص ٢٠٠ .



## التناص مع الحديث النبوي الشريف :

وهو القسم الثاني من التناص الديني ، أي بعد التناص القرآني ، ويفيد التناص مع الحديث : توظيف الأحاديث النبوية في خدمة النص ، سواء من الناحية المضمونية أو الشكلية ، ويأتي التناص مع الحديث بإحدى طريقتين ، الأولى : الاستشهاد وهو : توظيف الحديث الشريف مع التنبيه عليه ، وهو في هذه الحالة ، غالبا ما يكون بنصه ، ومن أمثلة ذلك قول القلقشندي ، في نسخه توقيع بنظر صادر : " .. ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي ندب إلى مبرة أهل الفضل وذويه ، ورغب في رعاية المودة للأباء بقوله : " إن من أبر البر بر الرجل أهل ود أبيه " صلى الله عليه وسلم ، وعلى آله وصحبه اللذين عرفت بهم مهمات فقاموا بحقها ... " <sup>(١)</sup> فيتضح أن الكاتب ، قد أخذ الحديث بنصه ، ووظفه بما يناسب موقعه ، إذ إن الحديث في توقيع الصادر ، وهو ما يؤخذ من الفرنج عند زيارتهم الإسكندرية ، ويصرف في أهل الصلاح ، وليؤكد الكاتب المعنى الوارد في الحديث ، نجده يأتي به بعد الشهادة ، ثم يتلوه بالصلاة على النبي ، فيتضح في الكلام ، وتحصل له المكانة المناسبة ، من حيث الحث على ود أصحاب الوالدين ، والحديث كما رواه ابن عمر قال : سمعت رسول الله \_

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ج ١١ ص ٤١٧ .

صلى الله عليه وسلم \_ يقول : " إن من أبر البر صلة الرجل أهل ود أبيه  
د أن يولى " (١)

أما الطريقة الثانية في التناص مع الحديث ، فهي الاقتباس : وهو أن  
سمن الكاتب ، شيئاً من الحديث النبوي الشريف دون أن ينسب عليه (٢) ومثل هذا  
ير الحصول ، ولا يكون مقتصراً على ضرب من ضروب الرسائل ، فقد يقع  
الرسائل الديوانية أو الإخوانية ، كما قد يقع في غيرها من الكتابات ، مثل  
فاخرات والإجازات العلمية .

ومما جاء على هذه الطريقة تضمن الكاتب لقوله \_ صلى الله عليه وسلم \_  
لي بن أبي طالب كرم الله وجهه : " أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون  
ن موسى " (٣) فضمنه الكاتب بقوله : " وجمع الناس في القرآن على صحيفة  
حدة ، وكان من قبل ذلك صحفا ، ومن سرى إليه سر : أما ترضى أن تكون  
ي بمنزلة هارون من موسى . فغدا يجر من ذيل الفخار سجفا " (٤) فلم ينسب  
ي الحديث الشريف ، ولكنه يلاحظ أن الكاتب جاء بنص الحديث كاملاً ، مع  
هذا لا يشترط في الاقتباس ، ولعل المقصد من ذلك أن مفردات هذا الحديث ،

(١) القرطبي توفي (٦٧١هـ) تفسير القرطبي ، تحقيق أحمد عبد الحليم البردوني ، دار الشعب القاهرة ط ٢  
١٣٧٢هـ / ج ١٠ ص ٢٤١ .

القلقشندي : صبح الأعشى ج ١ ص ٢٠٦ .

البخاري : صحيح البخاري ، المناقب حديث رقم ٣٣٥٦ / مسلم ، ابو الحسن ، مسلم بن الحجاج : صحيح  
سلم ، فضائل الصحابة ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، حديث رقم ٤٤٢٠ ؛

القلقشندي : صبح الأعشى ج ٩ ص ٣٠٩ .

يصعب اختزالها مع المحافظة على المعنى ، كما أن الكاتب قد أورد الحديث لإظهار مكانة علي \_ رضي الله عنه \_ فلم يغير باللفظ بل أبقاه على نصه ، ومثل ذلك قوله : " باسم الله تعالى استفتح ، وبحمده اتيمن واستنجح إذ من شأنى الكتابة ، ومن فنى الخطابة ، وكل أمر ذي بال لا يبدأ فيه باسم الله فهو أجذم ، وكل كلام لا يستفتح بحمده فأساسه غير محكم وردائه غير معلم " (١) وهو مأخوذ من قوله \_ عليه الصلاة والسلام \_ : " كل كلام لا يبدأ فيه بسم الله الرحمن الرحيم فهو أجذم " (٢) وكذلك يلاحظ أن الكاتب لم يحور في الحديث ، وإنما اكتفى بعدم الإشارة إليه .

على أن هذه الطريقة من التناص ، تفتح المجال إلى الكتابة ، لاستخدام الحديث الواحد بأكثر من مكان ، وبطرق مختلفة ، من ذلك توظيف القلقشندي للحديث النبوي (٣) .

جاء التوظيف الأول في توقيع بخطابة المسجد الأموي في دمشق ، يقول : " لا سيما الجوامع التي هي منها بمنزلة الملوك من الرعية ، وأمائل الأعيان من بين سائر البرية ، ومن أعظمها خطرا ، وأبينها في المحاسن أثرا ، وأسيرها في الآفاق النائية خيرا ، بعد المساجد الثلاث التي تشد الرحال إليها وتحول في قصر الزيارة عليها \_ جامع دمشق الذي رست في الفخر قواعده ،

(١) البخاري : صحيح البخاري ، المناقب حديث رقم ٢٣٥٦ / مسلم : صحيح مسلم ، فضائل الصحابة ، حديث رقم ٤٤٢٠

(٢) القلقشندي : صبح الأعشى ج ٩ ص ٢٠٩ .

(٣) القلقشندي : صبح الأعشى ج ١٤ ص ٢٢٢ .

وقامت على ممر الأيام شواهدة " (١) وواضح مع إجراء الكاتب في تقديم الكلام وتأخيرته ، واجتزأ من الحديث الشريف ، ما يدل على معناه كاملا ، الذي يرمي من ورائه إجراء المقارنة ، وإظهار مكانة المسجد الأموي بدمشق ، حيث جعله يتلو المساجد الثلاثة مكانة ، ولعل هذا النوع من التناص الذي يقوم على اجتزاء الجزء الصغير من النص ، والدال على المعنى ، والقادر على مساعدة الكاتب من تحقيق هدفه من التناص ، ما يسميه محمد مفتاح بالإيجاز وهو نوع من آليات التناص ، يجعله عكس التمثيط (٢) .

أما التوظيف الثاني للحديث الشريف نفسه ، فقد جاء في نسخة إطلاق أنشأه الكاتب ، بمرتب على الفرنج الواردين على زيارة بيت المقدس يقول فيه : " من طيب الذكر ، وجميل الأثر وصفوة السريرة ، وإقامته بالمسجد الأقصى الذي هو أحد المساجد الثلاثة ، التي تشد الرحال إليها ، وإحدى القبلتين المعول الإسلام عليهما " (٣) فلما كان الحديث في هذا التصدير عن المسجد الأقصى ، يدرك الكاتب مكانة هذا المسجد في نفس المتلقي ، وأنه ليس بحاجة لكبير وصف له ولمكانته ، يمر بالحديث الشريف ذكرا جزء منه ، يفيد المعنى بقوله : " أحد

---

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١٢ ، ص ٧٥

(٢) محمد مفتاح : تحليل الخطاب الشعري ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء \_ المغرب ط ١ ، ١٩٨٥ ، ص ١٢٥

(٣) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١٣ ، ص ٤٦

المساجد الثلاثة التي تشد الرحال إليها " على أن الفلقشندي يبين لإمكانية توظيف أسماء علماء الحديث ، من خلال المقارنة مع المكتوب لهم ، وأسماء الكتب .

### التناص الأدبي :

ويعني تداخل نصوص أدبية يختارها الكاتب ؛ شعرا أو نثرا للنص الأصلي للكاتب ، منسجمة وموظفة ودالة على الفكرة التي حاول طرحها والرؤية التي حاول تنويرها ، للمتلقي (١) .

ويحاول الباحث دراسة هذا النوع من التناص ، ضمن محورين : التناص الشعري والتناص مع الأمثال .

### التناص الشعري :

وهو محاولة الكاتب تسخير النصوص الشعرية السابقة ، لخدمة رؤاه وأفكاره في النص الذي يكتب ، وسبيله إلى ذلك ثلاث طرق : الأولى : الاستشهاد ، " وهو أن يورد البيت من الشعر أو البيتين ، أو أكثر من خلال الكلام المنثور ، مطابقا لمعنى ما تقدم من النثر ، ولا يشترط فيه أن ينبه عليه : ( يقال ) ونحوه ، كما يشترط في الاستشهاد بآيات القرآن الكريم ، والحديث النبوي فإن الشعر يتميز بوزنه وصيغته عن غيره من الكلام ، فلا يحتاج إلى التنبيه عليه " (٢) .

(١) أحمد الزعبي : التناص نظريا وتطبيقا ، ص ٤٢

(٢) الفلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١ ، ص ٢٧٤

ومن الأمثلة على الاستشهاد قوله في المقامة : - " على أنه لو اعتبر نفع  
 كتابة الإنشاء لكان أبلغ ، وإقامة الدليل عليه أسوغ ، وأنى لكتابة الأموال من  
 التأثير في قل الجيوش من غير قتال ، وفتح الحصون من غير نزال ، فهذه هي  
 الخصيصة التي لا تساوى والمنقبة التي لا تناوى :

تلك المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعد أبوالا " (١)

و لما كان الكاتب يعرض في حديثه للمقارنة بين كتابة الحساب وكتابة  
 الإنشاء ، وميله لكتابة الإنشاء ومناقبها ، وأنها تفل الجيوش دون قتال ، وهذا ما  
 لم يتوفر لكتابة الحساب ، فقد جاء بيت النابغة الذي يفيد المقارنة والمفاخرة ،  
 وكان البيت منسجما مع النص دون أن يجري فيه الكاتب أي تغيير . ويظهر مثل  
 هذا الاستشهاد في الرسائل المدحية التقريرية ، كقوله : " فإن رئاسة أهل الدولة  
 تتفاوت ، باعتبار قرب الرئيس من ملكه في مخاطبته ومناجاته ، واعتماد تصرفه  
 في أمور دولته ، وتنفيذ مهماته والاستناد على رأيه في جليل خطوبه وعظيم  
 ملماته :

فعال تمادت في العلو كأنما تحاول ثارا عند بعض الكواكب (٢)

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١٤ ، ص ١١٨  
 (٢) القلقشندي : صبح الأعشى ج ١٤ ، ص ١٩٢ و ٢٩٦ ورشف الرحيق : دراسة وتحقيق سمير الدروبي ،  
 ص ١٠٢ ورواية الصدر في مجمع البلاغة ( معالي تمادت في العلو كأنما ) وفي صبح الأعشى ، ج ١٤ ،  
 ص ٢٩٦ ( إذا أفلعت لجت علوا كأنما ) وفي رشف الرحيق ، ص ٢ ، ( ذوائب تحث في علو كأنما )

ولا خفاء أن صاحب ديوان الإنشاء من هذه الرتبة بالمحل الأرفع ، والمنزلة التي لا تدفع ولا تدافع " (١) ويدرك متلقي هذا النص المجتزأ ، أن الكاتب يحاول فيه التنبيه على مكانة صاحب الديوان من الدولة ، والملك على السواء ، فاستشهد ببيت الشعر لتدعيم البنية التي عمد إليها لتقديم الفكرة .

والمتابع يلاحظ أن الاستشهاد كما قال القلقشندي : أكثر ما يقع في الإخوانيات (٢) وإذا ورد في المكاتبات الرسمية ؛ فإنه يكون في مقام المدح والثناء على المكتوب له ، وكذلك في الكتابة العلمية ، وهناك مثال آخر يظهر بوضوح في المقامة البدرية : " هذا وأنه لألطف من النسيم الساري ، والماء الجاري ، وحتى من العذراء في خدرها ، وأشفق من الوالدة إذا ضمت ولدها إلى صدرها ، وأحلم من معن بن زائدة وإن كان أفصح من قس بن ساعدة يغضي حياء ويغضي من مهابته فلا يكلم إلا حين يبتسم (٣) " (٤) .

حاول الكاتب تقديم صورة الممدوح كشخصية تكتمل فيها الصفات المعنوية والمحسوسة ، يمتلك اللطف والحياء والحلم والفصاحة ، وهو مهيب في صمته ، وإن ملك الفصاحة التي لم يحتاج لإظهارها ، ولما كان بيت الفرزدق قائما على هذه المفارقة ، فإن الكاتب يوظفه بطريقة الاستشهاد ، دون أن يجد حاجة لتحويله

---

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ج ١٤ ، ص ١٩٢ ..

(٢) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١ ، ص ٢٧٤  
(٣) الفرزدق ، همام بن غالب بن صعصعة ، الديوان شرحه وضبطه علي فاعور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٧ ، ص ٥١٢ .  
(٤) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١٤ ، ص ١٢٦

أو حله . ومما جاء في المفاخرة بين السيف و القلم قوله : " فقال السيف أطلت الغيبة وجئت بالخيبة وسكت ألفا ونطقت خلفا .

السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب (١) " (٢) وقد لاحظ الباحث أن الكاتب يمهد للاستشهاد بالشعر ، بتضمين الأمثال ، تكون نقضا لحجة القلم فيكون الاستشهاد بصفات السيف أكثر وقعا ؛ إذ أن المفارقة تتسع ويظهر البون بين المتنافرين .

أما الطريقة الثانية في استخدام التناص الشعري فهي :

التضمين : وهو أن يعمد الكاتب إلى تضمين رسالته ، بيتا من الشعر أو أحد شطريه ويضع له قرينة تناسبه (٣) .

ومما ورد في رسائل القلقشندي ، تضمينه في رسالة المفاخرة بين السيف والقلم حيث يقول : " لكنني قد نلت من هذه الرتبة أسس المقاصد ، وشهدت معه من الوقائع ما لم تشاهد ، وتلاني من كفه شرفا لا يزول حليه أبدا ، وقمت بنصره في كل معترك ، فسل حنينا وبدرا وسل أحدا (٤) " (٥) .

(١) أبو تمام ، حبيب بن أوس الطائي ، الديوان . شرح الخطيب التبريزي قدم له ووضع هوامشه راجي الأسمر ، دار الكتاب العربي : بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٢ ، ص ٣٢ .

(٢) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١٤ ، ص ٢٣٤

(٣) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١ ص ٢٧٦

(٤) البوصيري ، شرف الدين أبو عبدالله محمد بن سعيد : الديوان ، تحقيق محمد سيد الكيلاني ، شركة و مكتبة و مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ، ط ٢ ، ١٩٧٣ ، ص ٢٤٦ ، والبيت كما ورد في الديوان :  
وسل حنينا وسل بدرا وسل أحدا فصول حتف لهم أدهى من الوخم

(٥) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١٤ ص ٢٣٤



لجأ السيف إلى المفاخرة على القلم بما يشهد له به من المشاركة مع الرسول  
\_ عليه الصلاة والسلام \_ في الغزوات الحربية ، ومقارعة المشركين ، ويلاحظ  
أن الكاتب حاول تعداد الغزوات التي شهدها الرسول ، فوجد أن هناك بيت شعر  
سابق ، وما عليه إلا إعداد القرينة المناسبة ، تمهد للشطر الذي يريده من البيت  
الشعري ، فقال : " وقمت بنصره بكل معترك " فتهياً المتلقي لسماع أسماء هذه  
المعتركات فجاء الكاتب بنصف بيت البردة ، الذي ترد فيه أسماء المواقع " فسل  
حنينا ، بدرا وسل أحدا " ، ومثل هذا النوع من التناص في المفاخرة بين العلوم  
كقوله : " قد لبست شرفا لا تطمع الأيام في خلعه ، ولا يتطلع الزمان إلى نزعه ،  
وانتهى إليه المجد فوقف ، وعرف الكرم مكانه فانحاز إليه وعطف ، وحلت  
الرياسة بفنائها فاستغنت به عن السوى وأناخت السيادة بفنائها ، فألقت عصاها  
فاستقر بها النوى (١) " (٢) .

ويلاحظ الباحث أن الكاتب وظف الشطر الأول من البيت لجعله عجزا  
للقرينة ، التي صاغها معه ، ويلحظ أيضا الانسجام بين القرينة وشطر البيت ،  
وأنهما يكملان بعضهما بعضا في المعنى ، ومما استخدم فيه صدر البيت مع  
قرينته عند الكاتب قوله : في نسخه مكاتبه الملوك : " والأجساد إذا تباعدت تعالت

---

(١) البيت لعقر بن حمار الباقري انظر : ابو القاسم ، الحسن بن بشر بن يحيى توفي ٥٣٧ هـ : المؤلف  
والمختلف تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر ط ١ ١٩٦٥ ص ١٢٧ -

١٢٨ - والبيت كما ورد في المرجع

(٢) فألقت عصاها واستقر بها النوى كما قرعنا بالآيات المسافر )

(٣) الفلغندي : صبح الأعشى ، ج ١٤ ص ٢٢٩

بالمكاتبات في بلوغ الأقطار ؛ والديار إذا تتاعت اكتفت بالمراسلة عن تقارب  
الدار ، والمودة إذا صفت لا يؤثر فيها البعاد والمحبة إذا صدقت لا تزال كل يوم  
في ازدياد : " والأذن تعشق قبل العين أحيانا " (١) ، والوصف يحرك من الشوق  
أغصانا وأفنانا " (٢) فجعل الكاتب عجز البيت صدرا للقرينة . والأمثلة على  
التضمين كثيرة في نثر القلقشندي .

وأما الطريقة الأخيرة من طرق التناص الشعري فهي :

حل المنظوم : -

وهو أن يأخذ الكاتب بين الشعر الذي يحمل المعنى الجليل فيحلها من أسباب  
الشعر ؛ كالوزن والقافية ويصيغها في كلامه المنثور . ولعل الدافع وراء لجوء  
الكاتب للشعر ؛ أنه المادة الثالثة ، بعد القرآن الكريم و الحديث الشريف فهو  
ديوان العرب ، وأنفس علومهم في الجاهلية ، به فخرهم وإليه محتكمهم ، فهو  
أكثر كلامهم وفيه تستودع معانيهم . والحل متسع على المجيد مجاله ،  
يتصرف العارف به وينفق منه وقت احتياجه فيحسن نثره و توشيته (٣) .

(١) بشار بن برد : اديوان جمعه ودفقه السيد بدر الدين العلوي ، نشر وتوزيع دار الثقافة ، بيروت لبنان ،  
١٩٨٣ ، ص ٢٢٣ والبيت ( يا قوم أنني لبعض الحي عاشقة والأذن تعشق قبل العين أحيانا )  
(٢) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٧ ص ٣٠٠  
(٣) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢٨١ \_ ٢٨٢

لم يزد في نثره ، على أنه أزال رونق الوزن ، وحلاوة النظر لا غير (١) وهو إما يكون بالتقديم والتأخير ، أو أن يكون الشعر مما يصعب التقديم والتأخير فيه ، فيكون إما بالزيادة أو الحذف .

أما المرتبة الثانية في نثر المنظوم : أن ينثر بعض ألفاظه ، ويستخدم ألفاظ أخرى عن باقي ألفاظ المنظوم ، مما ورد في نثر القلقشندي على هذا الضرب ، قوله : " وأما غير ذلك من الوصايا الراجعة إلى أدب القضاء ، فلديه منها الخبر والخبر ومنه تستلمى وصيته " (٢) وأصل هذا الكلام مأخوذ من قول أبي الطيب المتنبي : \_

واستكبر الأخبار قبل لقائه فلما التقينا صغر الخبرُ الخبرُ (٣)

حيث أبقى الكاتب المعنى العام لبيت الشعر ، وكذلك أخذ بعض ألفاظه " الخبر الخبر " وبنى المعنى بألفاظ أخرى ، خدمة لصفات المكتوب له . وقد ينقل الكاتب، البيت من الغرض الذي كتب فيه إلى غرض آخر يناسب مرماه " فله أن ينقل المعنى إذا لم يفسر إلى ما شاء فإن كان نسيباً وتأتى له أن يجعله مديحاً فليفعل وكذلك غيره من الأنواع " (٤) .

(١) الحلبي : حسن التوسل ، ص ٣٢٣ \_ ٣٢٤

(٢) القلقشندي : صبيح الأعشى ، ج ١ ، ص ٢٨٣

(٣) المصدر السابق ، ج ١١ ، ص ١٤٣

(٤) نسب القلقشندي هذا البيت للمتنبي ويذكر أنه أخذه من قول أبي تمام :

عن أحمد بن سعيد أطيب الخبر  
أذني بأحسن مما قد رأى بصري

كان مساءلة الركبان تخبرني

حتى التقينا فلا والله ما نعمت

أنظر صبيح الأعشى ، ج ٢ ، ص ٣١١

ومن ذلك ما فعله القلقشندي حين حل بين ابن الرومي :

وخديثها السحر الحلال لو أنه لم يجن قتل المسلم المتحرز (١)

فقال الكاتب : " فإن تكلم أتى من بيانه بالسحر الحلال ، أو حاور أتى من بلاغة بما يقصر عن رتبته سبحانه في المقال " (٢) وواضح أن بيت ابن الرومي جاء في الغزل ، حيث يصف حديث محبوبته بالسحر الحلال ، فنقله لكاتب من النسب إلى المديح ، ومن ذلك أيضاً نقله لبيت الخنساء :

أغر أبليج تأتم الهداة به كأنه علم على رأسه نار (٣)

والبيت من قصيدة قالتها الخنساء في رثاء أخيها صخر ، فعندما حوله لكاتب للمديح في قوله : " لا زال جزيل إحسانه ، أوضح من نار على علم ، مزيد امتنانه ، يشمل أرباب السيف والقلم ، وسحب بنانه تسح فلا تشح لجزيل كرمه " (٤) .

ومما جاء موافقاً للمعنى الذي وضع من أجله الشعر دله لبيت خالد بن

لوليد:

عند الصباح يحمد القوم السرى وينجلي عنهم غيابات الكرى (٥)

\* شاعر يقصد حميد فعلهم ، إذ سرى خالد بن الوليد بالجيش من العراق إلى الشام

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١ ، ص ٢٨٣

(٢) الخنساء : نماضر بنت عمرو بن الحارث ، ( ت ٤٢ هـ ) ديوان تحقيق أنور أبو سويلم دار عمار نشر ، عمان الأردن ط ١٩٨٢ ، ص ٣٨٦

(٣) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١٤ ، ص ١٩٥

(٤) الميداني : مجمع الأمثال ، ج ٢ ، ص ٣ \* ( هكذا في صبح الأعشى ج ١ ، ص ٢٩٧ أما في مجمع مثال فيذكر أن خالد بن الوليد ، سرى من اليمامة إلى العراق ) ج ٢ ، ص ٣

، إذ كان يسير ليلا . فحله الكاتب قريب من معناه بقوله : " وقابلوني بالجميل قبل المعرفة ، وعاملوني بالإحسان والنصفة ، فلما رأيت منهم ذلك حمدت مسراي وشكرت مسعاي " (١) فالكاتب يحمد صنيعه ، إذ أصر على الوصول لمهنة تجمع له كسب العيش ، مع التوصل مع العلم ، ومثل ذلك أيضا حله لبيت الأخنس بن كعب الجهني ، الذي قاله ضمن أبيات عقب قتله للحصين بن عمور الكلابي : -

تسائل عن حصين كل ركب      وعند جهينة الخبر اليقين (٢)

فحله وذكر معناه بقوله : " ورأس ذروتها العلياء وسنامها ، وجهينة خبرها وحقيبة وردها وصدرها ومبلغ أنبائها وسفيرها ، وزند رأيها المواري ومشيرها " (٣) ومرة أخرى في هذا المثال ، نجد الكاتب يحوره عما وضع له في الأصل ، حيث أن الشاعر أراد الفخر والاستهزاء بالحالة التي حال إليها عدوه ، ولكن الكاتب حول المعنى ليجعله في مدح صاحب الديوان ، وإظهار مقدرته على جمع العلوم ، وأنواع المعرفة وأنه الخبير في هذه الأمور كلها .

(١) الفلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١٤ ، ص ١٢٨

(٢) الميداني ، مجمع الأمثال ، ج ٢ ، ص ٣

(٣) الفلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١٤ ، ص ١٩٣

أما الطريقة الأخيرة من حل الشعر ؛ فهي أن يأخذ الكاتب من بيت الشعر معناه ، ويكسوه بألفاظ من عنده ، وهي أعلى الطرق رتبة ، فإن زاد في المعنى فتلك درجة متقدمة ، وإن لم يزد فإنه أحسن التصرف (١)

ومن ذلك ما فعله القلقشندي في بيت الشعر التالي : -

ونفس عصام سودت عصاما      وعلمته الكر والإقداما (٢)

فقال حين حله نثرا : " إذ كنت في هذه الصنعة عصاميا لا عظاميا ، متهما لا تهاميا تعلقت منها بحبال القمر ، واستوقدت نارها من أصغر الشرر " (٣)  
فطرق المعنى ودعمه بأن جاء بنقيضه " لا عظاميا " والعظامي " من توارث الأمر عن آبائه ، فهو يبني على أثر سابق ، أما العصامي ؛ فهو يبدأ من عدم فيكون أعلى درجة ، ثم يؤكد الكاتب ما رمى إليه بقوله : " واستوقدت نارها من أصغر الشرر " أي أنه بذل في سبيل ذلك جهده ، وأعمل فكرة ، حتى وصل هذه الدرجة .

ومثل ذلك قوله : " فلم تلف لها بعلا يكون لها قرينا ، ولا كفئا تخطبه يكون لديها مكينا ، إلا الإمام الفلاني المشار إليه ، فدعته لخطبتها ، وهي في بيت عرسه " وراودته التي هو في بيتها عن نفسه " فأجاب خطبتها ، ولبى دعوتها ، لتحقيق رغبتها إليه ، وعلمه بوجوب إجابتها عليه ... " (٤) وهذا النص المأخوذ

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١ ، ص ٢٨٨

(٢) الميداني : مجمع الأمثال ، ج ٢ ، ص ٢٣١ ولم ينسبه لقائله

(٣) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١٤ ، ص ١٢٧

(٤) المصدر نفسه ، ج ٩ ، ص ٣١٠

من بيعة مبنية على موت خليفة ، يعتقد الباحث أنه حلا لأبيات عباس بن الأحنف:

أنته الخلافة منقادة إليه تجرر أذيالها  
فلم تلح تصلح إلا له ولم يلك يصلح إلا لها  
ولو رامها أحد غيره لزلزلت الأرض زلزالها (١)

فقد ضمن الكاتب المعنى المراد في أبيات عباس بن الأحنف ، وزاد عليها ، بأن عاضد المعنى بالآية القرآنية من سورة يوسف ، والتي تشي برغبة امرأة العزيز بيوسف عليه السلام .

### الأمثال :

ومن التناصات الأدبية ؛ التناص مع المثل فهو كالرموز والإشارات ، التي يلوح بها على المعاني تلويحا ، إذ هي " وشي الكلام وجوهر اللفظ ، وحلي المعاني والتي تخيرتها العرب ، وقدمتها العجم ، ونطق بها في كل زمان على كل لسان ، فهي أبقى من الشعر وأشرف من الخطابة لم يسر شيء كسيرها ولا عم عمومها " (٢).

وقد كثر ورودها في أدب الفلقشندي ، ومن ذلك قوله في توقيع لقضاء : " نحمده على أن أعطيت القوس باريها ، وأعيدت مياه الاستحقاق إلى مجاريها ،

(١) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٢٠

(٢) المصدر السابق نفسه ، ج ١ ، ص ٢٩٦

وردت الشاردة إلى مالك ألفت منه بالآخرة ما ألفت من خيره في مبادئها " (١)  
وجاء المثل في قوله : " أعطيت القوس باريها " والأصل في هذا المثل قول  
الشاعر :

يا باري القوس بريا لست تحسنها لا تفسدنها وأعط القوس باريها (٢)  
ويذكر الفلقسندي ، أن طريقة استخدام الأمثلة وتوظيفها ، تختلف عنها في  
الشعر ، حيث أنه بإمكان الكاتب حل ما يشاء من الشعر ، أما المثل فليس له ذلك  
فلا يجوز له تبديل الألفاظ ، ولا تغيير أوضاعها لأنها بذلك عرفت واشتهرت (٣)  
إلا أن الباحث يرى أن الكاتب لم يتقيد بذلك ، إنه يتصرف بالأمثلة ، وإن كان  
يبقي من ألفاظها ما يدل عليها ، حتى أنه يعمد أحيانا إلى عكس معنى المثل ، من  
ذلك قوله : " فلو غرست الشوك أثمر العنباء أنى أرادها " (٤) وعكس هذا  
المعنى ، الذي ورد المثل بعدة صيغ منها : " من يزرع الشوك لا يحصد به  
العنباء " (٥) " وأعجز من جاني العنب، من الشوك " (٦) و " إنك لا تجني  
من الشوك العنب " (٧) .

(١) المصدر السابق ، ج ١١ ، ص ١٩٠  
(٢) الميداني : مجمع الأمثال حققه وعلق حواشيه محمد محي الدين عبد الحميد مطبعة السنة المحمدية ١٩٥٥  
م ج ٢ ، ص ١٩  
(٣) الفلقسندي : صيغ الأسماء ، ج ١ ، ص ٣٠٢

(٤) المصدر نفسه ، ج ١٤ ، ص ١٩٦  
(٥) الميداني : مجمع الأمثال ج ٢ ، ص ٥٣  
(٦) المرجع نفسه ، ج ٢ ، ص ٥٣  
(٧) المرجع نفسه ، ج ١ ، ص ٥٢



ولاحظ الباحث أن القلقشندي يعمل فكره في طريقة توظيف المثل حتى أن متلقي لا يستشعر بأن المثل غريب عن كلام المتكلم، ويحاول الكاتب في سبيل غام المثل فيما يكتبه على محورين : الأول أن يكون المثل مدعما للمعنى الذي تصده ، فيصب في عمق الفكرة التي يبتغيها ، ومن جهة أخرى ، يعمل على حور الصياغة اللفظية ، فيكون التناسق مع سجعات الكاتب ، يدخل من خلالها مثل لجسد النص المراد تضمين المثل فيه ، من ذلك قوله في المفاخرة بين علوم ، حين يتحدث عن السياسة قال : " أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب ، سائسها الكافي وحاكمها المهذب .. " (١) والمثال الوارد في النص هو قوله : " ما جذيلها المحكك وعذيقها المرجب " (٢) ويتضح المقام الذي يختاره فيه الكاتب إذ هو في مقام المفاخرة ، ولو رجعنا للمقام الذي قيل فيه المثل ، لوجدنا أن آله الحباب بن منذر الأنصاري يوم السقيفة ، حين أراد الخلافة لنفسه . ومن لك قوله أيضا في رد علوم المعاني والبيان والبديع علي علم الندو : " وحملت عليه بصدق العزم في اللقاء حملة ، وقالت : " جعجة رحي من غير طحن ، تصويت رعد من غير مزن " (٣) .

فيفهم من العبارة أنها تأتي ردا على كلام سابق ، والمثل الوارد قوله : " جعجة ولا أرى طحنا " (٤) . على أن توظيف الأمثال ، تعدى رسائل المفاخرات

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١٤ ، ص ٢٢٤

(٢) الميداني : مجمع الأمثال ، ج ١ ، ص ٣١

(٣) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١٤ ، ص ٢٠٨

(٤) الميداني : مجمع الأمثال ، ج ١ ، ص ٦٦٠

إلى رسائل التقريظ والمدح، وكما تخير في السابقة ما يناسب المواقف من أمثال ووضع لها ما يناسبها ، من حسن البداية والإتباع بالسجع ، كذلك نجده قد فعل في الرسائل الإخوانية ، من ذلك قوله في تقريظ المقر الفتحي ، صاحب دواوين الإنشاء : " ومن ثم عز المطلب بهذه الوظيفة ، حتى أنه لأعز من الجوهر الفرد... ولا تظفر به إلا ظفرك ببيض الأنوق إن كان يظفر به ظافر ، على أنه ربما سمح الدهر فأتى بالفذ من هذا النوع في الزمن المتباعد ، أو أسعد الدهر فأسعف بالواحد بعد ألف واحد " (١) .

ولما أراد من حديثه تفرد صفات صاحب هذه الوظيفة أي صاحب الديوان وندرة من تنطبق عليه الشروط ، فقد جاء بالمثل الذي يفيد ندرة الشيء ، فكان المثل قوله : " إلا ظفرك ببيض الأنوق " وهو من المثل القائل " أعز من بيض الأنوق " (٢) .

وله صيغة أخرى " ودونه بيض الأنوق " (٣) وكلتاها تدلان على التفرد والندرة . ومن خلال استقراء النصوص الإبداعية للقلقشندي ، يجد الباحث أن التناسخ مع المثل أخذ حيزا واسعا ، يكاد يكون أكثر التناسخات ورودا ، حتى أن الفقرة الواحدة تأخذ أكثر من مثال ، ولعل ذلك يدل على ما تحتويه جعبته من الأمثلة ، ومقدرته الواضحة على توظيفها ، توظيفا لا يخل بالنص الذي تدخل فيه

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١٤ ، ١٩٣

(٢) الميداني : مجمع الأمثال ، ج ٢ ، ص ٤٤

(٣) المرجع نفسه ، ج ١ ، ص ٢٦٤

، ومن ذلك ما ضمنه المفاخرة بين العلوم " فعندما غضب علم النحو واكفره ،  
وزمجر واشمخر ، وقال : يا لله استنتت الفصال حتى القرعا واستنسر البغاث ،  
فكان أشد ثلثة وأعظم صدعا لقد ادعيت ما ليس لك ففاتك الحبور ، ومن تشبع  
بما لم ينل فهو كلابس ثوبي الزور وهل أنت إلا بضعة منى تستند إلي وتثقل  
عني ... " (١) . وهذا النص المجتزأ ، والذي يرد فيه علم النحو على علم  
التصريف ، ويحاول التقليل من شأنه ، فيجلب الكاتب من أجل ذلك أربعة أمثلة ،  
في نص لا يتجاوز ثلاثة أسطر ، وكلها تفيد تبجح الضعيف الذي لا حول له ولا  
قوة فالمثال الأول قوله : " استنتت الفصال حتى القرعا " (٢) والثاني قوله : "  
استنسر البغاث " وهو من المثل القائل : " إن البغاث بأرضنا يستنسر " (٣)  
والمثل الثالث قوله : " من تشبع بما لم ينل كلابس ثوب الزور " . و الرابع قوله  
: " ادعيت ما ليس لك ففاتك الحبور " .

ومن الأمثلة ما أوردها الكاتب للاستدلال سداد الرأي قوله : " أصبت سواء  
الثغرة ، وجئت بالرأي الأكمل ، وعرفت من أين تؤكل الكتف ، فطبقت الفصل  
بالمفصل ... " (٤) وهذا من المثل القائل إنه ليعلم من أين تؤكل الكتف (٥)  
وبموضع آخر : " أعلم من أين تؤكل الكتف " (٦) ومثل هذا التوظيف ، قوله في

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١٤ ، ص ٢٠٧

(٢) الميداني : مجمع الأمثال ، ج ١ ، ص ٣٣٣

(٣) المرجع نفسه ، ج ١ ، ص ١٠

(٤) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١٤ ، ص ٢٢٨

(٥) الميداني مجمع الأمثال ، ج ١ ، ص ٤٢

(٦) المرجع نفسه ، ج ٢ ، ص ٥٢

خطبة صدّاق ، كتبها لسيف الدين صدقة سيفي ازدمر ، على بنت أمير المؤمنين المتوكل على الله ، فلما كان الفارق الطبقي بين الخاطب سيف الدين والمخطوبة ابنة أمير المؤمنين ، وانعدام التكافؤ الاجتماعي والتكافؤ في النسب ، فلا بد للكاتب من البحث عن صفات أخرى ، تخرج الصدّاق المخرج المناسب ، فنعت ابنة أمير المؤمنين بالعلم والدين ، وجعل هاتين الصفتين من صفات الخاطب ، ويدعم الفكرة بمثل حمل قصة قديمة تشي بالمعنى المراد ، يقول الكاتب : " ومقدما لهم بالمصاهرة على أبناء الملوك والخلفاء ، فوافق الفضل شن طبقة ، وحاول سارة النعم منها خير خاطب فتلقى بقبول : أن الله تصدق عليكم صدقة " (١) والمثال الذي حدث فيه التناص " وافق شن طبقة " (٢) ولا يخفى ما فيه من مناسبة للقصة .

على أن القلقشندي قسم الأمثلة من حيث سهولة الفهم ، وقرب التناول إلى قسمين : الأول ، قريب الفهم ، كقول خالد بن الوليد : " عند الصباح يحمّد القوم السرى " (٣) وبعيد الفهم كقول بعضهم : " أن يبغى عليك قومك لا يبغى عليك القمر " (٤) ويضرب لمن ينكر الأمر الظاهر عنادا (٥) .

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١٤ ، ص ٣٢٠ - ٣٢١

(٢) الميداني : مجمع الأمثال ، ج ٢ ، ص ٣٥٩

(٣) المرجع نفسه ، ج ٢ ، ص ٣

(٤) المرجع نفسه ، ج ١ ، ص ٢١

(٥) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١ ، ص ٢٩٧

وقد أفرد القلقشندي قسما من الجزء الأول في كتابه صبح الأعشى للأمثال ، وتحدث فيه عما يحتاجه الكاتب في الأمثال ؛ منشورها ومنظومها ، وما ورد في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، والكتب المصنفة في ذلك ، وتحدث عن قديمها وحديثها ، وتحدث عن كيفية استعمال الأمثال ، وما استعمله أهل الصناعة من هذه الأمثال ، وضرب أمثلة على ذلك ولم يتوقف القلقشندي عند ذلك ، بل أورد الكثير من القصص المتعلقة بولادة الأمثال (١) .

### التناص التاريخي :

وهو اختيار الكاتب لنصوص تاريخية مختارة ، ودمجها مع النص الأصلي (٢) ، وقد يتعدى ذلك ، لاستخدام أسلوب التلميح من خلال إدخال أسماء أعلام ، أو الإشارة لحوادث معينة ، يوظفها الكاتب لتخدم غرضه من الناحية الفكرية ، أو الفنية .

وتظهر التناصات التاريخية في إنشاء القلقشندي على اختلاف أنواعه ؛ الديواني والاخواني والمقامي ، وكذلك في المفخرات والكتابة العلمية .

ومما جاء في الكتابة الديوانية ، قوله في بيعة مرتبة على موت خليفة : "خصوصا من جاء بالصدق وصدق به فكان له قرابة وصفوة الصفا، والمرجع إليه في البيعة يوم السقيفة ، بعدما اشربت نحوها نفوس كادت تذوب عليها أسفا

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١ ، ص ٢٩٥ \_ ٣٠٥

(٢) أحمد الزعبي ، التناص نظريا وتطبيقيا ، ص ٢٥

، والقائم في قتال أهل الردة من بني حنيفة ،حتى استقاموا على الحنفية السمحة  
حنفا ، وعمت فتوحة الأمصار وحملت إليه أموالها فلم يمسكها إقتارا ولم يبذر  
فيها سرفا ،ومن كان فضله لسهم الاختيار من بين الصحابة الشورى هدفا ،  
وجمع الناس في القرآن على صحيفة واحدة وكانت قبل ذلك صحفا " (١).

والناظر في هذا النص القصير ، المجتزأ من البيعة ، يجد فيه إشارات  
لحوادث تاريخية ، كان لها الدور الفاعل في كيان الأمة الإسلامية في الوقت  
اللاحق ، حاول الكاتب توظيفها إظهارا لأهمية الخلافة ، والإمامة ودورها  
الرئيس في استقامة الحياة للرعية ، كل ذلك خدمة للفكرة التي يحملها النص  
الكامل في البيعة وهي جلب الطاعة للخليفة الجديد ، وما ضرب هذه الأمثلة إلا  
ليضع الناس على صورة ما ستكون عليه الرعية والبلاد ، لو أن أمرهم لم يستقم  
للخلافة والخليفة .

ومن هنا فقد جاء حديثه عن الخليفة الأول أبي بكر الصديق ، فتحدث عن  
مواقفه ، ولعل من أهمها يوم السقيفة ، وهو اليوم الذي كاد يدب فيه الخلاف بين  
الأنصار والمهاجرين ، كل يريد الخلافة ، وحديث سعد بن عباد ، ويخرج من  
هذا التناص لحدث ربما كان أكبر ؛ وهو حرب الردة ، وما يحمله هذا الحدث  
التاريخي من أسئلة ، يطرحها المتلقي حولها ، وماذا تكون الأسئلة زمن هذه  
البيعة في عصر الكاتب ؟ والنص الغائب فيها مقولة أبي بكر " والله لو منعوني

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٩ ، ص ٣٠٩

عقال بعير كانوا يؤدوه لرسول الله \_ صلى الله عليه وسلم \_ لقاتلتهم عليه ، هذه الأحداث التي يصدم بها الكاتب متلقي النص ، و يجعلها مرآة مجاورة ، لينتقل لها أفق التلقي لتكتمل الفكرة التي هي هدف البنية في النص ، فبعد المصاعب ؛ تكون تناصات الجذب كالانتصارات ، و ما عادت به من غنائم ، من الناحية المادية وتناص معنوي يفيد في أفق الحرية وهو إقرار الشورى، ثم الناحية الروحية للدنيا لما لها من آثار في نفس المسلم ، فيعرض لحادثة جمع المصحف .

ومن النصوص التي تحمل الصفات التاريخية ، وتدخل تناصا في البيعة ما يسمى بأيمان البيعة ، وهي أيمان مغلضه مطولة ، ليس فيها من الدين شيء و إنما بدأت تاريخيا ، أخذ الحجاج بن يوسف الثقفي البيعة على أهل العراق للخليفة الأموي عبد الملك بن مروان ، ومن بعده ولديه الوليد وسليمان ، ثم أخذها الكتاب يكتبونها في نسخ البيعات <sup>(1)</sup> ، وفي نسخة عهد أنشأها الكاتب ، يدخل تناصا تاريخيا يحاول من خلاله إظهار شرعية العهد لمن يختار الخليفة يقول : " ... ومن ثم اختلفت آراء الخلفاء الراشدين في العهد بالخلافة ، وتباينت مقاصدهم وتنوعت اختياراتهم ، بحسب الاجتهاد واختلفت مواردهم ، فعهد الصديق إلى عمر بن الخطاب \_ رضي الله عنه \_ متثبنا وتركها عمر شوري في ستة وقال : " أتحمل أمركم حيا وبيتا " وأتى \_ رضي الله عنه \_ لكل من المذهبين لما أذعن له الخصم وسلم ، فقال : " إن أعهد فقد عهد من هو خير مني أبو بكر ، وإن

(1) انظر القلقشندي :صبح الأعشى ج ٩ ص ٣١٢ \_ ٣١٣ / ج ٩ ص ٣١٨-٣١٩

أترك فقد ترك من هو خير مني ، رسول الله ﷺ فأخذ الخلفاء في ذلك بسنتهما " (١)  
يلاحظ الدارس أن الكاتب وظف هذا التناص ، كتعبير يقدم به للمتلقي لتهيئته  
ليقبل تعيين ولي العهد من قبل الخليفة .

والتناص التاريخي الآخر وهو التناص مع أسماء شخوص وأكثر ما يقع في  
الرسائل الإخوانية ، والعلمية فمن الرسائل الإخوانية قوله : " على إنبي استقبل  
عشرتي من التقصير في إثرائة ، والتعرض من مدحة لما لا أنهض بأعبائه ، فلو  
أن " الجاحظ " نصيري ، " وابن المقفع " ظهيري و " قس بن ساعدة "   
فيسعدني ، " وسحبان وائل " ينجدي ، لكان اعترافي بالعجز في مدحه أبلغ  
مما آتية " (٢) ، يلاحظ الدارس أن الكاتب اختار الأسماء بعناية ، وإنها ترمز  
لعلوم شتى وأساليب مختلفة ، فيها رؤوس علومهم وأساليبهم ، حاول الكاتب  
توظيفها لإخراج ممدوحه بصورة المتمكن من علمه وعمله ، وبذلك يظهره  
الكاتب كمثال للنموذج لا يستطيع إفائه حقه .

---

(١) المصدر السابق ، ج ٩ ، ص ٣٧٢  
(٢) المصدر السابق نفسه ، ج ١٤ ، ص ١٩٧



## الفنون البديعة :

والبديع : "علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة " (١) وقريب من ذلك تعريف ابن خلدون حيث يقول : " هو النظر في تزيين الكلام وتحسينه بنوع من التنسيق " (٢) ولما كان هذا العلم يعود إلى علم أشمل ، وهو علم البلاغة ، فإن جذوره تضرب في أعماق الآداب العربية ، حتى تجد فنونه منتشرة في الأشعار والخطب الجاهلية ، ولعل مرد ذلك ما فيه من تحسين وتزيين للكلام ، وهذا ما يسعى له الكاتب أو الشاعر ، فعدم معرفتهم لتسميات فنونه ، لا يعني عدم استخدامه كما هي أوزان الشعر التي وضعها الخليلي ، والتي قعد لها من خلال أشعار الجاهليين الذين نظموا عليها دون إدراك أوزانها ومسمياتها .

وقد ظهرت أولياته عند الشاعر العباسي مسلم بن الأنصاري المتوفى سنة ( ٢٠٨ هـ ) ، ولربما كانت محاولة ابن المعتز (٣) أول محاولة علمية في علم البديع ، وهو شاعر مغرم بالبديع ، ترك عددا من المؤلفات وصل إلينا منها ديوانه الشعري ، وطبقات الشعراء ، وكتاب البديع . (٤) أما الجاحظ فقد حصر

(١) القزويني ، جلال الدين محمد بن عبدالرحمن : الايضاح في علوم البلاغة ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان

ص ١٩٢

(٢) عبد العزيز عتيق : علم البديع ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨٥ ، ص ٧ نقلا عن

ابن خلدون : المقدمة ص ١٠٦٦

(٣) هو الخليفة ابو العباس بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد (٢٤٧\_٢٩٦هـ)

(٤) عبدالعزیز عتيق : علم البديع ، ص ١٢٥

البديع في العرب ،ويرى أنه بسببه فاقت لغتهم باقي اللغات ،وفازت باهتمامها عليه على كل لسان .<sup>(١)</sup>

وما أن نصل العصر المملوكي حتى نجد البديع وقد طغى على كل المذاهب الفنية فيه حتى يصفه بعض الباحثين بعصر البديع<sup>(٢)</sup>

وهكذا انتشر فن البديع في العصر المملوكي انتشارا واسعا ، وكذلك امتاز حسنا في إبداعه ، فيصفه صلاح الدين الصفدي بقوله : " فلما كان البديع في الزمن المتأخر أحسن بدعه ، وأوضح لمعة ، وأملح طلعة ، وأكثر رواية واسعة ولا أقول رياء وسمعة به تبنى بيوت الشعر في أشرف بقعة ، وتبرز أبكار الأفكار منه في خلعة بعد خلعة ، وإذا كان الشعر بحرا فهو منه أعذب جرعة والمكاتبات حلة مرموقة فهو طراز كل رقعة " .<sup>(٣)</sup>

أما حول فنون البديع التي تشاهد في أدب القلقشندي فهي كثيرة منها :

السجع : مشتق من سجع ، فلعله من سجع الحمام حيث يقال : سجعت الحمامة سجعا إذا رجعت في صوتها على حد واحد ، أو أنه مأخوذ من الساجع أي المستقيم لاستقامته في الكلام واستواء أوزانه ، والأصلان يشتركان في معنى التوازن والاعتدال ، وتتابع مقاطع الفصول في ذلك<sup>(٤)</sup> ومن هنا جاء السجع في

<sup>(١)</sup> الجاحظ:ابوعثمان عمرو بن بحر الجاحظ:البيان والتبيين،تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون،دار جيل،بيروت،١٩٩٠،ج٤،ص٥٥

<sup>(٢)</sup> عمر موسى باشا:ادب الدول المتتابعة،دار الفكر الحديث،ط١،١٩٦٧ص٦٣٦

<sup>(٣)</sup> الصفدي ، صلاح الدين بن خليل بن ابيك (٧٦٤هـ-١٣٢٨م) : جنان الجناس ، تحقيق سمير حسين حلبي دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٧ ، ص ١٤-١٥

<sup>(٤)</sup> القلقشندي : صبح الأعشى ج ٢ ص ٢٨٠

الاصطلاح على أنه " تقفية مقاطع الكلام من غير وزن " (١) فيصبح الكلام بفواصل كفواصل الشعر (٢) ، ولعل هذا ما قصده السكاكي بقوله " السجع في النثر كالقوافي في الشعر " (٣) ، وليس بعيد من ذلك ما ذهب إليه آخرون ، بقولهم : " تواطؤ أو توافق الفواصل من الكلام المنثور على حرف واحد " (٤) .

ويرى شهاب الدين محمود الحلبي ، أنه لا بد وأن تكون كلمات الأسجاع ساكنة الإعجاز موقوفاً عليها ، ويعلل ذلك بقوله : " لأن الغرض أن يجانس بين القرائن ويزاوج بينها ، ولا يتم ذلك إلا بالوقوف ، فلو ذهبت تصل لم يكن بد من إعطاء أواخر القرائن ما يقتضيه الإعراب ، فتختلف علينا القرائن ويفوت الساجع غرضه " (٥) والسجع من أوائل فنون البديع ، التي عرفت باسمها منذ العصر الجاهلي ، واستقل منه نوع عرف بسجع الكهان ، أن السجع كثر وروده في القرآن الكريم ، والأحاديث النبوية ، أما حول جواب الرسول على أحدهم بقوله : " أسجعا كسجع الكهان " (٦) فذلك يفسر بوجوه عدة ، منها : أنه ربما كره حكم الكهان الوارد باللفظ المسجوع بإنكار إيجاب الديه، لا نفس السجع لذاته

فصاحب الصناعتين يعطي السجع المكانة العالية في النثر ، حتى أنه يرى أن

(١) المصدر السابق : ج ٢ ص ٢٨٠

(٢) الكلاعي الأندلسي ، محمد بن عبد الغفور : أحكام صنعة الكلام ص ٢٣٥

(٣) السكاكي أبو يعقوب يوسف بن ابي بكر محمد بن علي ، ت ٦٣٦ هـ : مفتاح العلوم

٣٢٨ ، ص ٣٢٨

(٤) انظر ابن الأثير ، ضياء الدين نصر الله بن الأثير ت (٦٣٧ هـ) : المثل السائر في أدب الكاتب

والشاعر ج ١ ص ١٩٣ / والقزويني : الايضاح ص ٢٢٢ / وعبد العزيز عتيق علم البديع ص ٢١٥

(٥) الحلبي : حسن التوسل الى صناعة الترسل ص ٢٠٦

(٦) القلقشندي صبح الأعشى ج ٢ ص ٢٨١

الكلام المنثور" لا يحلو حتى يكون مزدوجا ، ولا تكاد تجد لبليغ كلاما يخلو من الازدواج ، ولو استغنى كلام عن الازدواج لكان القرآن الكريم " (١) ويكاد السجع يسيطر على كتابات الكتاب في العصر المملوكي ومن بينهم القلقشندي .

ويرى القلقشندي أن السجع يعود في مجمله إلى صنفين .

الأول : ما أسماه بالسجع الحاني ، وهو الذي تكون فيه القرينتان متفتحتان في حرف الروي ، ويذكر الكاتب أن أكثر ما يكتبه كتاب عصره من هذا النوع ، وقد لاحظ الباحث أنه لا تكاد تخرج رسالة من رسائل القلقشندي ؛ سواء الديوانية أو الأخوانية أو العلمية عن هذا الصنف ، وقد رتب القلقشندي هذا الصنف ثلاث مراتب :

جعل أولاهما : التصريح ، وهو ما تكون فيه ألفاظ القرينتين مستوية الأقران ، متعادلة الأجزاء (٢) وأمثلة ذلك وافرة في كتابات القلقشندي ، ومنه ما أورده في كتبه على لسان الخليفة لولده ، يقول : " فلا يعزم أمرا إلا كان رشادا ، ولا يعتمد فعلا إلا ظهر سدادا " (٣) ، ومن العهد نفسه قوله : " ولا يليق بمنصبها الشريف من كان بمطلوبها مليا ، والأحرى بمكانها الرفيع من كان بمقصدها وفيها " (٤) ومن ذلك ما كتبه في بيعة مرتبة على موت خليفة ، قوله : " فلم تلف لها

(١) العسكري : الصناعتين ، ص ٢٨٥

(٢) القلقشندي: صبح الأعشى ج ٢ ص ٢٨٢

(٣) المصدر نفسه : ج ٩ ص ٣٧٢

(٤) المصدر نفسه : ج ٩ ص ٣٧٣

بعلا يكون لها قرينا ، ولا كفاء تخطبه يكون لديها مكينا " (١) ، ومن بيعة أخرى مرتبة على خلع خليفة : " وخلصه عن ولايته ، وخرجوا عن بيعته ، وانسلخوا عن طاعته وجرده من خلافته " ، وكذلك ما يورد في الإيمان المترتبة على نقض البيعة : " لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا ، ولا يؤجر على شيء من ذلك ، قولاً ولا فعلاً " (٢) ومن ذلك ما جاء أيضا في توقيع كتبه لنظر الصادر : " ويشغف الأسماع بوعظه ، ويشج القلوب بلفظه ، ويحيي العقول بتذكيره ، ويبيكي العيون بتحذيره " (٣) وقد وجد الباحث أنه وقع في شعر القلقشندي التصريح ، ومثال ذلك ما وجدته في رسالة تهنئه ، كتب فيها للمقر الأشرف الناصري محمد بن البازري ، يهنئه فيها بعيد الفطر يقول :

سألت نظام الملك كاتب سره أزاله ضناك أرهف الدهر حده

فمن بجاه زرع الأرض وقعه وجاء بمال لا يرى الفقر بعده " (٤)

المرتبة الثانية : أن يختص التوازن بالكلمتين الأخيرتين من الفقرتين ، دون ما عداهما من سائر الألفاظ ، وهذا مما يكثر في كتابات القلقشندي ، من ذلك ما جاء في صدر خبر يقول : " ... وحضرة الوزارة السامية في نعم مخصبة الأكناف ، بعيدة الأطراف ، سادرة الويل ، ساحبة الذيل وما انظر فيه من أمر

(١) المصدر السابق : ج ٩ ، ص ٣١٠  
(٢) المصدر السابق نفسه : ج ٩ ، ص ٣١٠  
(٣) المصدر السابق نفسه : ج ١١ ، ص ٤١٨  
(٤) المصدر السابق نفسه : ج ٩ ، ص ٤٥

دولته منتظم ، وما أراعيه من أحوال رعيته ملتئم " (١) ، ويظهر للناظر هذا التوازن في قوله : " مخصبة الأكناف بعيدة الأطراف " " سادرة الويل - ساحبة الذيل " و " دولته منتظم - وما رعيته ملتئم " ، ومثل ذلك ، نجده في نسخة عهد كتبه القلقشندي : " وسنة نبيه محمد \_ صلى الله عليه وسلم \_ عليك الاقتداء بأفعالها الواضحة والإصغاء لأقوالها الشارحة " (٢) ويظهر التوازن هنا بقول " بأفعالها الواضحة - لأقوالها الشارحة " ، ويطلق شهاب الدين الحلبي على هذا النوع اسم التوازي (٣) .

الرتبة الثالثة المطرف : وهو أن يقع الاتفاق في حرف الروي ، مع قطع النظر عن التوازن في شيء من أجزاء الفقرة (٤) ، ومثله كثير مما كتب القلقشندي ، كقوله : " سالكا من مناهج التقوى أحسن المسالك موردا من تحقيقات مذهبه ما إذا لمح اللامح ، لم يشك أنه لزام المذهب مالك " (٥) والاتفاق واضح في حرف الكاف في قوله ' المسالك - مالك " ومثاله أيضا قوله : " أن نخص أخص الأولياء بأسنى الولايات ، ونتحف أصغى الأصفياء بنهاية غيره في البدايات ، ونرفع قدر من لم يزل ظهره للملوك محرابا ، وننوه بذكر

---

(١) القلقشندي صبح الأعشى ج ٩ ص ٢٢١

(٢) المصدر نفسه ج ٩ ص ٣٧٥

(٣) الحلبي : حسن التوسل ص ٢٠٩

(٤) القلقشندي صبح الأعشى ج ٢ ص ٢٨٣

(٥) المصدر نفسه : ج ١١ ، ص ٢٢٤

من رغبة فيه الوظائف فعدلت إليه عن سواه إضرابا " (١) ويلحظ الدارس ،  
التوافق في حرف الروي ، التاء في السجعتين الأوليين " الولايات - البدايات "  
والأخيرتين في الباء " محرابا - إضرابا " أما الصنف الثاني من السجع ، فهو ما  
يسميه القلقشندي بالازدواج و الرماني يسميه بالعاطل ، وهو أن تختلف حرف  
الروي في آخر الفقرتين (٢) ولم يجد الباحث له من أمثلة فيما بين يديه من  
كتابات القلقشندي ، إذ أن القلقشندي يكاد يلتزم بحرف الروي في جميع كتاباته  
الإبداعية ، فحينما نجد الالتزام بين كل فقرتين كقوله في نسخة صداق ،

قال: "تحمده على أن صان عقائل الخلفاء بمعامل الحسب ، وحصر كفاءتها  
في العلم والدين ، حيث لم يكافأ بحرفة ولا نسب ، ونشهد أن لا اله إلا الله وحده  
لا شريك له الذي سن النكاح وشرعه ، وأرغم بالحل أنف الغيرة لدى الآباء  
وقمعه ، شهادة يستشق من ربا عبيرها كل شذى أريج ، وتجنى ثمار ينعها  
بشريف النتائج من كل زوج بهيج (٣) ويظهر التوافق في حرف الروي بين كل  
فقرتين في الأوليين الباء في " الحسب والنسب " والثانيتين حرف الهاء في "  
شرعه وقمعه " والأخيرتين حرف الجيم في " أريج وبهيج " ومن مثال التوافق  
بين ثلاث فقرات قوله فيما كتبه في عراضة الكتب : " الحمد لله الذي أطلع من  
دراري الأفاضل في أفق النجابة شمسا ، وأظهر من أفضل الدراري ما يغض به

(١) المصدر السابق : ج ١١ ، ص ٤١٧

(٢) المصدر السابق نفسه : ج ٢ ، ص ٢٨٣

(٣) المصدر السابق نفسه : ج ١٤ ، ص ٣١٩

المخالف طرفا ، ويرفع به المحالف رأسا ، وألحق بالأصل الكريم فرعه في النجابة فطاب جنى وأعرق أصلا وزكا غرسا " (١) والتوافق واضح على حرف السين في الفقرات الثلاثة " شمسا - غرسا - رأسا " وقد قسم الفلقشندي السجع من حيث الطول والقصر إلى قسمين ، السجعات القصار ، والسجعات الطوال ، والقسمان متوفران فيما كتبه الفلقشندي فمن السجعات القصار ؛ قوله في صدر أخبار : " ومولانا أمير المؤمنين من توطن في خلافته ، وتمهد من دولته ، وعلو من رأيه ونفاذ من كلمته ، وعز من سلطانه ، وارتفاع من شأنه ، ونعم سابعة عليه وعلى أهل طاعته ، قالصة عن أعدائه وأهل مخالفته ، واستقامة من أطرافه وثغوره وانتباب من أحواله وأموره " (٢) والمقصود بالسجعات القصار ما نقص عن عشرة ألفاظ (٣) وفيها يقول شهاب الدين الحلبي : " قصر الفقرات تدل على قوة التمكن وإحكام الصنعة وأقل ما يكون من كلمتين " (٤) أما ابن الأثير فقد وصفها بصعوبة المسلك ، وبعد المنال ، وندرة الاستعمال ، وإنها كلما قلت كلماتها زادت حسنا (٥) ولكن الباحث وجد منها الشيء الكثير في إنشاء الفلقشندي ، ومن ذلك قوله : " قد نور الله عين بصيرته ، وخصه بطهارة سره وصفاء سريرته أما ما ورد على سجعيتين فإن الباحث لم يعدمه في نثر الكاتب كقوله في

(١) المصدر السابق : ج ١٤ ، ص ٣٣١

(٢) المصدر السابق نفسه : ج ٩ ، ص ٢٢١

(٣) المصدر السابق نفسه : ج ٢ ، ص ٢٨٦

(٤) الحلبي : حسن التوسل ، ص ٢١٣

(٥) ابن الأثير : المثل السائر ، ج ١ ، ص ٣٧٢



نسخة عهد : " من عهد ووصاية ، وعزل وولاية ، وتفويض وتقليد ، وانتراع  
وتخليد ، وتفريق وجمع ، وإعطاء ومنع ، ووصل وقطع وصلة وإدرار وتقليل  
واكثار ، جزئها وكليها ، وخفيها وجليها ودانيها وقاصيها وطائعها وعاصيها ،  
... " (١) وآتاه الله الملك والحكمة ، وإقامة لمصالح الرعية وصالح أمر الأمة (٢)  
أما السجع الطويل ، فيرى الحلبي أنه ؛ أذ لسمع السامع لما فيه من تشويق لما  
يريد السامع سماعه (٣) وهذا مما كثر وروده في نثر القلقشندي ، فمن بيعة مرتبة  
على خلع خليفة قوله: " وأغاث الخلق بامام هدى حسن سيرة وصفاء سريرة ،  
فراق صورة ورقى معنى ، وجمع قلوبهم عليه فلم يستكف عن الانقياد إليه أعلى  
ولا أدنى ، ونزع جلبابها عن انشغل بغيرها ، فلم يعيرها نظرا ، ولم يصغي لها  
أذنا ، وصرف وجهها عن أساء فيها تصرفا ، فلم يرفع بها رأسا ولم يعير لها  
معنى " (٤) ويرى القلقشندي أنه على الكاتب أن لا تتعدى سجعته الأولى عشرين  
لفظة ، والثانية تسع عشرة لفظة ، ذلك لأن هذا العدد أقصى ما وصلت إليه  
فواصل القرآن الكريم ، غير أن ابن الأثير والحلي يريان غير ذلك ، وأنه لا  
ضابط لطول السجعات " (٥)

---

(١) القلقشندي صبح الأعشى ج ٩ ص ٣٧٤-٣٧٥

(٢) المصدر نفسه ج ٩ ص ٣٧٢

(٣) الحلبي : حسن التوسل ص ٢١٣

(٤) القلقشندي صبح الأعشى ج ٩ ص ٣١٣

(٥) المصدر نفسه : ج ٢ ، ص ٢٨٧

أما من حيث ترتيب السجعات طولا وقصرا ، فيذكر الفلقشندي أن أفضل السجع ما يكون فيه توازن بين السجعتين ، وإذا طالت احدهما فيفضل أن تكون الثانية لما يذكره ابن الأثير من أن السامع يشعر بالبتير إذا ما طالت الأولى وقصرت الثانية ، ويشير الحلبي إلى أنه ينبغي عدم طول الثانية حتى تخرج عن الاعتدال ، وأنه يستقبح حينئذ لأنه يبعد القافية على السامع ، فيقل الالتذاذ لسماعها (١).

وينبه الكاتب على أنه يجب أن يكون السجع بريئا من التكلف ، خاليا من التعسف ، محمولا على ما يأتي به الطبع ، وتبريه الغريزة ، وأن يكون اللفظ فيه تابعا للمعنى بأن يقتصر من اللفظ على ما يحتاج إليه المعنى دون الاتيان بزيادة أو نقص ، تدعو إليه ضرورة السجع ، حتى لو خرجت زيادة أو نقص ، بسبب السجع دون المعنى ، خرج السجع عن حيز المدح إلى حيز الذم (٢)

---

(١) المصدر السابق : ج ٢ ، ص ٢٨٨  
(٢) المصدر السابق نفسه : ج ٢ ، ص ٢٩٠

## الجناس :

وهو أحد الفنون البديعية ، وقد اختلف في حد تعريفه ، فالصفي يقول : " إنه سمي جناسا لمجيء حروف ألفاظه من جنس واحد ومادة واحدة ، ولا يشترط تماثل جميع الحروف بل يكفي في التماثل ما يقرب به في المجانسة ، وتظهر هذه الفائدة في ذكر حدوده ، وكشف ماهيته " (١) أما الرماني فيعرفه بأنه : " بيان المعاني بأنواع من الكلام يجمعها أصل واحد من اللغة " (٢) وأما ابن الأثير فيقول : " الجناس فهو : أن يكون اللفظ واحدا والمعنى مختلفا " (٣) ومن هنا يظهر الاختلاف بين تعريف ابن الأثير ، والتعريفات السابقة ، إذ يشترط الاختلاف في المعنى مع توحيد اللفظ ، ولكن هنالك من لم يتطرق لقضية المعنى اختلافا و اتفاقا كصاحب الصناعتين بقوله : " التجنيس أن يورد المتكلم كلمتين ، تجانس كل واحدة منهما صاحبيتها في تأليف حروفها " (٤) ويأتي الحلبي بتعريف يرافق فيه تعريف ابن الأثير ، إلا أنه يدخل فيه تقسيمات الجناس : " التجنيس يتشعب شعبا كثيرة فمنه المستوفي التام وهو أن يجيء المتكلم بكلمتين متفقتين لفظا مختلفتين معنى ، لا تفاوت في تركيبهما ولا اختلاف في حركاتهما ، ومنه المختلف ويسمى التجنيس الناقص وهو مثل الأول في اتفاق حروف الكلمتين ، إلا

(١) الصدي ، جنان الجناس ص ٢٥-٢٦

(٢) الرماني ، ابو الحسن بن عيسى الرماني ( ٢٩٦-٣٨٤هـ ) : النكت في اعجاز القرآن تحقيق محمد

خلف الله و محمد زغلول سلام ، دار المعارف بمصر ط ٣ ، ١٩٧٦ ص ٩٩

(٣) ابن الأثير المثل السائد ، ج ١ ص ٢٤٦

(٤) العسكري : الصناعتين ص ٣٥٣

أنه يخالفه إمّا في هيئة الحركة أو بالحركة والسكون ، ومنه المذيل ، فيقال له التجنيس الزائد والناقص ، وهو أن تجيء بكلمتين متجانستي اللفظ متفقتي الحركات ، غير أنهما يختلفان بحرف إما من آخرهما أو أولهما " (١)

وينقسم الجنس إلى قسمين تام وغير تام ، والجناس التام ما اتفق فيه اللفظان في أربعة أمور : أنواع الحروف ، وأعدادها ، وهيئتها الحاصلة من الحركات والسكنات ، وترتيبها وهو أكمل أنواع الجنس إبداعاً وأسماءها رتبة " (٢)

### والجناس التام ينقسم إلى ثلاثة أضرب :

الأول الجنس المماثل : وهو ما كان ركناه من نوع واحد ، من أنواع الكلمة كأن يكونا اسمين أو فعلين أو حرفين : (٣)

ومن الجنس المماثل المرتب على اسمين فيما جاء بإنشاء القلقشندي ، قوله : " لا زال يظهر في مشاهد الملوك أتم المصالح ، ويخص الصالح منهم بمزيد النظر حتى يقال ما أحسن نظر الناصر في مصالح الصالح " (٤) والجناس واضح بين " الصالح " الأولى بمعنى صاحب الاستقامة والخير ، و " الصالح " الثانية اسم العلم وكذلك " النظر \_ نظر " فالنظر الأولى بمعنى الإحسان والاهتمام ، والثانية بمعنى الرعاية والعناية ، وفي النص نفسه نجد الجنس بين "

(١) الحلبي : حسن التوسل ، ص ١٨٣-١٨٨

(٢) عبد العزيز عتيق : علم البديع ، ص ١٩٧

(٣) المرجع نفسه ، ص ١٩٧

(٤) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١١ ، ص ٢٤٣

المصالح \_ مصالح " الأولى بمعنى الاستقامة والتهديب والحسن من الشيء ، " ومصالح " الثانية ؛ بمعنى التولية ، إدارة مرفقا ، أو عملا يدير شؤونه . وفي التوقيع نفسه يجد الباحث جناسا بين اسمين : " وبسوق مناظرته يتميز النظار عن الشَّبه ، وبمحك مطارحته تبين الحقائق من الشُّبه ، وبمعرفة فرسانه تعرف من الفضل من المفضول " (١) فنجد جناسين الأول بين " الشَّبه الشُّبه " ، " الشَّبه " من التَّشَبُّه والتَّشَابُه التماثل " الشُّبه " ، جمع شُبُهَة وهو الأمر الملتبس الصعب الوصول لحقيقته ، والجناس الثاني بين الفاضل والمفضول والفاضل ، اسم فاعل من " فضل " والمفضول اسم مفعول منه ، فهي على وزن فاعل ومفعول . ونلاحظ أن القلقشندي اعتمد على الصيغة الصرفية في إخراج هذا الجناس ، وعلى الحركات في الكلمتين السابقتين . ومثل ذلك في توقيع آخر للتدريس يقول : " وجعل صدقتها الجارية بُرا فكانت أعظم بُرا وأعظم منفعة " (٢) .

فجانس بين " بُرا " وهو اسم للقمح ، إذ كان صلاح الدين يعطي المدرسين بالمدرسة الصلاحية أجورهم قمحا ، والثانية " بُرا " بمعنى إحسان ومنفعة مودة . ومثل ذلك كثير قوله في المقامة : " لولا قلم الحساب ، لأودت ثمرة الاكتساب ، ولا تصل التغبان ليوم الحساب " (٣) جاء الجناس بين " الحساب " أي كتاب الحساب ، و " الحساب " يوم الحساب ؛ يوم القيامة ، وكذلك قوله في المقامة نفسها

(١) المصدر السابق ، ج ١١ ، ص ٣٤٢

(٢) المصدر السابق نفسه ، ج ١١ ، ص ٢٣٧

(٣) المصدر السابق نفسه ، ج ١٤ ، ص ١١٧

: " فعند ذلك ذهب رُوْعِي ، وقوي رُوْعِي " (١) " رُوْعِي " بمعنى خوفي وفزعِي  
أما الثانية " رُوْعِي " بمعنى ثبت قلبي ونفسي (٢) وكذلك قوله : " طابَقَ الخُبْرُ  
الخَبَرَ " (٣) والخُبْرُ بمعنى المعرفة المسبقة والإدراك المسبق ، أما الخَبَرَ فهو ما  
ينقل ويحدث به قولاً أو كتابة (٤) .

وهذا الضرب من الجناس التام يسمى " المحرف " ، للاتفاق في عدد  
الأحرف وترتيبها ، والاختلاف في الحركات (٥) . ومن الجناس التام بين فعلين  
قوله : " نحمده على نعم حلت النفوس حين حَلَّتْ ، ومنن جلت الخطوب حين  
جَلَّتْ ، ومسار سرت إلى القلوب فسَرَّتْ ، ومبار أقرت العيون فقَرَّتْ ، وعوارف  
أمت الخليفة فتوالت ومالت وما وَلَّتْ ، وقدم صدق ثبتت إنشاء الله في الخلافة فما  
تزلزلت وما زَلَّتْ " (٦) ، والجناس في المثال وافر بين الأفعال مثل " جَلَّتْ \_  
جَلَّتْ " و " سَرَّتْ \_ فسَرَّتْ " " أقرت \_ فقَرَّتْ " ومنه الجناس التام المستوفى  
ويقع الجناس فيه بين اسم وفعل أو اسم وحرف أو حرف وفعل (٧) ، مثال ذلك  
قول الكاتب في المقامة : " هذا وقد جعلنا الله أمة وَسَطًا ، ووعظنا بمن سلف من  
الأمم ممن تمرد و على أو تجبر وَسَطًا " (٨) ، والجناس بين " وَسَطًا \_ وَسَطًا "

(١) المصدر السابق ، ج ١٤ ، ص ١٢٦

(٢) انظر ابراهيم مصطفى وآخرون : المعجم الوسيط ، مادة راع

(٣) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١٤ ، ١٢٧

(٤) انظر ابراهيم مصطفى وآخرون : المعجم الوسيط ، مادة خبر

(٥) عبد العزيز عتيق : علم البديع ، ص ٢٠٨

(٦) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٩ ، ص ٣١٥

(٧) عبد العزيز عتيق : علم البديع ، ص ٢٠٠

(٨) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٩ ، ص ٣١٥

" وَسَطَ الأولى اسم من الوسطية بمعنى الاعتدال ، و " سَطَا " الثانية ، فعل السطو البطش والقهر ، ومثل ذلك أيضا في قوله من المفاخرة بين العلوم : " وأمت بالمنافرة فتنافرت ، وتسابقت في ميدان الافتخار فتفاخرت " (١)

وننتقل إلى القسم الثاني من الجناس ، وهو الجناس غير التام ، وفيه يقع اختلاف اللفظين في أنواع الحروف أو عددها أو ترتيبها . فإن كان الاختلاف في أنواع الحروف اشترط فيه عدم الاختلاف في أكثر من حرف واحد ، وهو على ضربين (٢) : الجناس المضارع ؛ وهو ما كان فيه الحرفان اللذان وقع فيهما الاختلاف متقاربين في المخرج ، ومما جاء في إنشاء القلقشندي على هذا الضرب ، قوله : " هيهات فاتك الحزم وأخطأك العزم " (٣) ، الجناس في الحزم والعزم ، والحرفان المختلفان ، هما الحاء من الأولى والعين من الثانية ، وكليهما من حروف الحلق وكذلك قوله : " إلى أن أحل بناديهم ، وأنزل بواديهم " (٤) ، الجناس في الكلمتين بناديهم \_ بواديهم ، والاختلاف في النون من الأولى والواو من الثانية ، والنون حرف لثوي أسناني ، والواو حرف شفوي ، وهنالك بعض القرب في المخرج بين اللثوي والشفوي ، أما الضرب الثاني ؛ فهو أن يأتي الحرفان مختلفان ومتباعدان في المخرج ، يسمى " الجناس اللاحق " كقول الكاتب " مقبلا منه على ما يستجلي النظر ، يستجلي ذكره السمع منتخبا من

(١) المصدر السابق ، ج ١٤ ، ص ٢٠٦

(٢) عبدالعزيز عتيق ، علم البديع ، ٢٠٥

(٣) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١٤ ، ص ١١٥

(٤) المصدر نفسه ، ج ١٤ ، ص ١١٥

أشياخ الإفادة أوسعهم علما وأكثرهم تحقيقا ، ومن أقران المذاكرة ، أروضهم بحثا وألطفهم تدقيقا " (١) الجنس الأولى بين " يستجلي \_ ويسـتـحلي " ، والحرفان المختلفان ؛ الجيم وهو حرف لثوي أسناني انفجاري والحرف الآخر الحاء وهو حرف حلقي رخو ، والبعد في المخرج واضح ، والجناس الثاني في النص قوله : " تحقيقا \_ تدقيقا " والاختلاف في حرف الحاء في تحقيقا ، وهو حرف حلقي رخو ، والبدال في تدقيقا وهو حرف لثوي أسناني والبعد واضح أيضا . والأمثلة على هذا الضرب كثيرة في إبداع الكاتب منه : " تذكر العشاق أحوال النوى فيسلمها الهوى إلى الهوان " (٢) والاختلاف في " النون والهاء " ، في قوله : " النوى والهوى ، ومثله أيضا " بينما أنا أسير في معاهدها ، وأردد الطرق في مشاهدها " (٣) الاختلاف في " العين " في " معاهدها " والشين في " مشاهدها " ، وأما من الضرب الأول ، المتقارب في مخارج الحروف ، قوله : " إنك وإن تألق برق مباسمك ، وطابت أيام مواسمك " (٤) ، " الباء " في مباسمك " والواو " في مواسمك ، وقوله في موقع آخر : " فاشتق لها مني علم البيطرة ... واستنبط لها من أجزائي علم البيطرة " (٥) الاختلاف في " الطاء " في البيطرة و" الزين " في بيطرة .

(١) المصدر السابق : ج ١٤ ، ص ١١٢

(٢) المصدر السابق نفسه : ج ١٤ ، ص ٢١١

(٣) المصدر السابق نفسه : ج ١٤ ، ص ١١٣

(٤) المصدر السابق نفسه : ج ١٤ ، ص ٢٠٩

(٥) المصدر السابق نفسه : ج ١٤ ، ص ٢١١



أما إن خالف اللفظان في إعداد الأحرف فيسمى الجناس ناقصا ، وذلك  
لنقصان أحد الحرفين عن الآخر <sup>(١)</sup> ومثال الزيادة بحرف واحد قول الكاتب : (   
ولا أقوى حجة وأوضح محجة ) <sup>(٢)</sup> ، والجناس في قوله ( حجة - ومحجة )  
حيث زيدت الميم . وكذلك قوله : ( ووصله به من نعم أثرت نفاعا ، وآثرت  
نفاعا ) <sup>(٣)</sup> والجناس في ( نفاعا ونفاعا ) ، وتظهر الزيادة هنا حرفان في كلمة نفاعا  
، وهما الفاء في التشديد والألف ، ومثال ذلك قوله في المفارقة بين العلوم :  
وأنها اجتمعت يوما اجتماع معنى لا صورة وقامت لها سوق بالبحث معروفة  
وعلى الجدل مقصورة <sup>(٤)</sup> الزيادة هنا حرف (الميم والقاف) في (مقصورة) إذ  
تجانست مع " صورة .

وهناك نوع آخر من الجناس غير التام وهو الاختلاف في ترتيب الحروف  
وهو ما يسمى جناس القلب <sup>(٥)</sup> ومن ذلك قول الكاتب في نسخة عهد : " وترجح  
عنده جانب العهد على جانب الإهمال والرأي المبادرة إليه أولى من الإمهال " <sup>(٦)</sup>  
( جاء الجناس في " الإهمال \_ والإمهال " ، ونلاحظ القلب بين حرفي الميم والهاء  
، ونلاحظ هنا الإفادة من المفردتين في المعنى ، إلا أن القارئ يلاحظ أيضا  
الموسيقى داخلية في النص ، والتناسق بين الحروف . ومن ذلك قوله في نسخة

(١) عبد العزيز عتيق ، علم البديع ، ص ٢٠٦

(٢) القلقشندي : صبح الأعشى ج ١٤ ص ٢٢٢ .

(٣) المصدر نفسه ج ١٤ ص ٣٧١ .

(٤) المصدر نفسه ج ١٤ ص ٢٠٥ .

(٥) عبد العزيز عتيق : علم البديع ، ص ٢١١

(٦) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٩ ، ص ٣٧٢

توقيع : " الحمد لله الذي زين معاني المدارس من أعلام العلماء بجمالها ، وميز مراتب الكلمة بإجراء في ميادين الدروس وفسيح مجالها " (١) وهنا يكون الجناس بين " أعلام \_ والعلماء " ونلاحظ مدى الاختلاف في ترتيب الحروف في الكلمتين ، وثمة جناس آخر في العبارة بين " جمالها \_ ومجالها " وهذا الأخير الذي يجري فيه اختلاف بسيط في ترتيب الحروف يسمى " قلب بعض " .

---

(١) المصدر السابق ، ج ١١ ، ص ٢٣٦

## الطباق :

ويسمى التطبيق والمطابقة والتضاد ، والطباق والمطابقة في موضعتهما اللغوية تعني أن تضع ذوات الأربع أرجلها موضع أيديها في المسير ، وعند ذلك يقال ضابقت الدابة (١) .

وهو يخالف ما ذهب إليه في الإصطلاح إذ جمع القدماء على أن المطابقة في الكلام ، هو الجمع بين الشيء وضده في جزء من أجزاء الرسالة ، أو الخطبة أو البيت من بيوت القصيدة ، مثل الجمع بين البياض والسواد .. والنهار والليل .. والبر والبحر .(٢)

ولكن الباحث يظفر برأي آخر يطلقه قدامة بن جعفر ، يرى فيه أن المطابقة تكون في اللفظ الواحد الذي يحمل معنيين مختلفين ويستشهد على ذلك ببيت من الشعر لزياد الأعجم :

ونبيتهم يستتصرون بكاهل\* وللؤم فيهم كاهل وسنام (٣)

ويرى الحلبي أن هذا هو الجنس بعينه ، ومن ادعى أنه طباق فقد خالف الأصمعي والخليل (٤) ، أما القزويني ، فيرى أنها الجمع بين المتضادين أي المعنيين المتقابلين في الجملة ، ويكون ذلك إما بلفظين من نوع واحد ، اسمين

(١) العزيز عتيق : علم البديع ص ٧٦ .

(٢) العسكري : الصناعتين ص ٣٣٩ .

\* وردت لفظة ( كاهل ) في الشطر الأول بالضم في كتاب الصناعتين ص ٣٣٩ . وهو من الخطأ

(٣) انظر العسكري الصناعتين ص ٣٣٩ / والحلي حسن التوسل ص ١٩٩ .

(٤) الحلبي حسن التوسل ص ١٩٩ .

كقوله تعالى : ﴿ وتحسبهم أيقاظا وهم رقود ﴾ <sup>(١)</sup> أو فعليْن كقوله تعالى :  
﴿ تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء ﴾ <sup>(٢)</sup> ، وأما بلفظين من نوعين  
، كقوله تعالى : ﴿ أو من كان ميتا فأحييناه ﴾ <sup>(٣)</sup> ، وينقسم الطباق إلى طباق  
الإيجاب كما تقدم ، وطباق سلب ، وهو : الجمع بين فعلي مصدر واحد مثبت  
ومنفي أو أمر ونهي <sup>(٤)</sup> .

ولما كان الطباق من أعلى أضرب البديع رفعة ، حتى أسماء بعضهم البديع  
<sup>(٥)</sup> ، فقد أكثر القلقشندي في كتابته الديوانية والوصفية والعلمية من هذا الفن ،  
حتى لتكاد تكون ظاهرة في ابداعه بشكل عام .

ومما جاء طباق موجب بين اسمين قوله في نسخة عهد : " ... وانتزاع  
وتخليد ، وتفريق وجمع ، وإعطاء ومنع ، ووصل وقطع ، وصالة وادرار ،  
وتقليل وإكثار ، جزئها وكليها ، وخفيها وجليها ، ودانيها وقاصيها ، وطائعيها  
وعاصيها .. " <sup>(٦)</sup> ويلاحظ الدارس أن هذه الطباقات والتضادات لم يأت بها الكاتب  
للزخرفة اللفظية فقط ؛ وإنما جاءت تدعيما للمعنى الذي يرمي إليه الكاتب ، من  
إظهار لمدى الصلاحيات والحرية التي منحها الخليفة العاهد للمعهود له ، في

(١) سورة الكيف آية ١٨

(٢) سورة آل عمران آية ٢٦

(٣) سورة الأنعام آية ١٢٢

(٤) القزويني: الايضاح ص ١٩٢ - ١٩٣ .

(٥) ابن الأثير : المثل السائر ج ٢ ص ٢٧٩ . وانظر عمر موسى باشا : أدب الدول المتتابعة ص ٨٥١ .

(٦) القلقشندي : صبح الأعشى ج ٩ ص ٣٧٤ - ٣٧٥ .

التصرف في شؤون البلاد ، وكل هذا الاتساع في الأفق ، يجعل المعهود له مهيناً لاستلام زمام الأمور في حالة موت الخليفة العاهد .

وكذلك نجد من الطبايق بين اسمين ما ورد في توقيع بقضاء قوله : " وجرت بقضايا الخير في البدء والعود " <sup>(١)</sup> ومنه أيضا : " تكفي نتائج أفضالها عن الإجمال والتفصيل " <sup>(٢)</sup> وكذلك قوله " ونتبع ذلك بالتلويح إلى الإحتياط في المسائل التي تفرد بها مذهبه الشريف ضيقا وسعة " <sup>(٣)</sup> .

ومما جاء على هذا الضرب في المقامة ، قوله : " وإليه المآب في السلم والهرج، وعليه المدار في الدخل والخرج، وبه المناط في الضر والنفع وفي يده رباط العطاء والمنع " <sup>(٤)</sup> .

ومما جاء في الطبايق الموجب بين فعلين ، قوله : " مقدما تقوى الله تعالى فيما خفي من مقاصده وظهر " <sup>(٥)</sup> فقد طابق بين الفعلين ( خفي/ وظهر) ومثل هذا أيضا قوله : " وأكرم رسول فصل الأحكام إذ شرع وندب وأوجب وحل وحرم " <sup>(٦)</sup> وربما جاء بين جملتين كقوله " علي تردون وعني تصدرون " <sup>(٧)</sup>

---

(١) المصدر السابق : ج ١١ ، ص ١٩١ .  
(٢) المصدر السابق نفسه : ج ١١ ، ص ١٩١ .  
(٣) المصدر السابق نفسه : ج ١١ ، ص ١٩٢ .  
(٤) المصدر السابق نفسه : ج ١٤ ، ص ١١٧ .  
(٥) المصدر السابق نفسه : ج ١١ ، ص ١٥٦ .  
(٦) المصدر السابق نفسه : ج ١١ ، ص ٢٣٧ .

(٧) المصدر السابق نفسه : ج ١٤ ، ص ٢٠٨ .

فيلحظ الباحث التطابق بين حرفي الجر ( على وعن ) ، وبين الجملتين الفعليتين  
(تردون / تصدرون ) .

ومما جاء على الضرب الثالث من الطباق الموجب وهو المطابقة بين  
لفظين مختلفين ( فعل واسم ) قوله : " وألبسه الخلعة السوداء ، فابيض من  
سوادها وجه الشرق والغرب " <sup>(١)</sup> فطابق بين الفعل "يبيض" والإسم " سوادها" .  
وهناك نوع آخر من الطباق ، ويسمى ايهام التضاد وهو أن يوهم لفظ الضد  
، أنه ضد ، مع أنه ليس بضد ، كقول دعبل الخزاعي :

لا تعجبي يا سلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكي

( فضحك ) هنا ليس ضد ( البكاء ) لأنه كناية عن كثرة الشيب ولكنه من  
جهة اللفظ يوهم المطابقة <sup>(٢)</sup> . ومما ورد في إنشاء الكاتب على هذا الضرب ،  
قوله : " وأضحك الخلافة العباسية بوجود عباسها " <sup>(٣)</sup> فلفظ (أضحك) ليس ضد  
(عباسها) لأن عباسها المقصود فيه اسم الخليفة (العباس) والخلافة لاتضحك ،  
وإنما المقصود من المعنى ؛ أن الخلافة أصبحت في حبوحة من أمرها ، ولكنه  
من ناحية اللفظ يوهم بالمطابقة بين (أضحك وعباس) .

أما الطباق السلبي والذي سبق تعريفه ، فإنه قليل الوجود في كتابات  
القلقشندي ، إلا أن الباحث لا يعدم التمثيل عليه ، كقوله : " وما يكتب من الهدية

(١) المصدر السابق ج ٩ ص ٣١٢ .

(٢) عبد العزيز عتيق : علم البديع ص ٨٠ - ٨١ .

(٣) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٩ ص ٣٧٠ .

يجاب عنها من المجازي وغير المجازي " (١) فجاء الطباق بين لفظة ( المجازي )  
( ونفيها بقوله ( غير المجازي ) .

وهناك من الطباق السلبي ما يقع فيه ايهام التضاد ، كقوله : " وصحبه  
الذين تقبلوا مساحب أذياله في العدل فعدلوا ولزموا منهج سننه الواضح فما حادوا  
عن سواء السبيل ولا عدلوا" (٢) فيبدو لقارئ النص ، أن الكاتب قد طابق بين (   
عدلوا ) و ( ولا عدلوا ) ، إلا أن المعنى في النص يظهر خلاف ذلك ، إذ أن (   
عدلوا ) من العدل ، بمعنى إقامة العدل والإنصاف ، أما ( ولا عدلوا ) من ( عدل  
( بمعنى غير النية والمنهج الذي كانوا عليه ، ولكنها تبقى في اللفظ توحى  
بالمطابقة .

---

(١) المصدر السابق : ج ١٤ ، ص ١٢٣ .

(٢) المصدر السابق نفسه : ج ١١ ، ص ١٥٤ .

## التورية :

وقد عرفت التورية بأسماء شتى كالإيهام ، والتوجيه والتخيير ، وتبقى لفظة التورية أقرب التسميات لما فيها من مطابقة للمعنى ، إذ أن مصدر وري بتضعيف الراء توزية ، فوريت الخبر أخفيته وجعلته ورائي وأظهرت سواه ، فكأنك وضعته ورائك بحيث لا يظهر <sup>(١)</sup> ومنه الحديث كان الرسول -صلى الله عليه وسلم- إذا نوى سفرا وري بغيره <sup>(٢)</sup> أما في الاصطلاح فهي : " أن يطلق لفظ له معنيان قريب وبعيد ويراد به البعيد منهما " <sup>(٣)</sup> .

وتعتبر التورية من أهم الفنون البديعية ، حتى قال فيها ابن حجة الحموي : " أنها من أعلى فنون الأدب ، وأعلاها رتبة ، وسحرها ينفث في القلوب ، ويفتح بها أبواب عطف ومحبة " <sup>(٤)</sup> وكما اهتم الفلقسندي بترصيع كلامه بالنتاصات المختلفة ، والفنون البديعية المتنوعة والتورية أحدها ، فقد وجد الباحث أمثلة كثيرة على ذلك ، ومما يجلب الانتباه تلك الكثرة في التورية ، مع اسم من يكتب له الكتب ، ومثال ذلك من النظم حين كتب لقاضي القضاة جمال الدين محمود القيسراني :

---

<sup>(١)</sup> صلاح الدين الصفدي : فض الختام في التورية و الاستخدام ، دراسة وتحقيق عبد العزيز النواوي المحمدي ، دار الطباعة المحمدية على درب الأتراك بالأزهر ، ط ١ ، ١٩٧٩ ، ص ١٥٥ .

<sup>(٢)</sup> الكلاعي : أحكام صنعة الكلام ص ١٨٨ .

<sup>(٣)</sup> انقرويني : الإيضاح ، ص ٢٠١ .

<sup>(٤)</sup> ابن حجة ، تقي الدين أبو بكر ، مشهور بابن حجة الحموي توفي سنة ٨٣٧ هـ ، خزنة الأدب وغاية الأرب ، شرح عصام شعيتو ، منشورات دار مكتبة الهلال ، بيروت لبنان ، ط ٢ ، ١٩٩١ ، ج ٢ ، ص ٤٠ .



ولكن محمود العواقب أرجي ومن يحمد العقبي على القصد قد حصل (١)  
فإنه يفهم من الشطر الأول ، أن المقصود بلفظة ( محمود ) اسم المفعول  
من حمد ، أي الذي تحمد عواقبه ، ولكن المعنى المراد هو ( محمود ) اسم  
المكتوب له .

وقد يستخدم كنية الممدوح في التورية ، كتلك التي كتب فيها للخليفة  
المستعين أبي الفضل العباس حيث يقول نظما :

أبي الفضل إلا أن يكون لأهله دواما وأن يدعى أبا الفضل في الناس (٢)  
فجاءت التورية بقوله : ( أبي الفضل ) في الشطر الأول ، وإن كان الرسم  
يفضحها ، فهي تشي بكنية الممدوح ، ويدعم ذلك بالقرينة في قوله : ( إلا أن  
يكون لأهله ) ، وكذلك يدعمه الشطر الثاني من البيت في المعنى نفسه ، ولكن  
الدارس يلحظ أن المقصود الفعل الماضي ( أبقى ) ، بمعنى رفض الفضل أي  
الخير إلا ملازمة من هو أهل له .

وأكثر ما جاء به من تورية ، مما يتعلق بالمكتوب لهم ، هو ما وري به في  
الألقاب ، فمنه ما جاء في تقليد بالإشارة ، كتبه للأمير جمال الدين يوسف  
البنشاسي : " الحمد لله الذي جدد الديار المصرية بالمحاسن اليوسفية رونق جمالها  
، وأعز جانبها بأجل عزيز فمألت هييته الوافرة فسيح مجالها " (٣) فقوله :

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٩ ، ص ١٨١ .

(٢) المصدر نفسه ج ٩ ، ص ١٨٠ .

(٣) المصدر نفسه : ج ١١ ، ص ١٥٣ .

رونق جمالها ) يأتي المعنى القريب ، الجمال والحسن ، و الكاتب يرمي إلى لقب المكتوب له ( جمال الدين ) ، و كذلك نجد في النص تورية أخرى مع اسم المكتوب له ( يوسف ) ، بقوله المحاسن اليوسفية ، إذ تشي باسم النبي يوسف \_ ( عليه السلام ) \_ ويدعم ذلك بالقرينة ( بأجل عزيز ) ، هو اللقب الذي كان يطلق على ملوك مصر في زمن سيدنا يوسف عليه السلام - وقد وردت تورية مع لقب ( جمال الدين ) في أكثر من موقع في رسائل الكاتب (١)

وهناك تورية للقب ( جلال الدين ) ، حين كتب تقليدا لجمال الدين البسطامي في عودته للقضاء ، وقد واكب ذلك عودة شيخ الإسلام جلال الدين البلقيني إلى قضاء قضاة الشافعية ، يقول : " الحمد لله الذي أعاد لرتبة القضاء رونق جمالها ، وأسعد جدها بأسعد قران ، ظهرت آثار يمنه بما آثرته من ظهور جلالها ، وأجاب سؤالها بأجل حاكم ، لم تعدل عنه يوما في سؤلها " (٢) ، فجاء قوله ( رونق جمالها ) مع كنية جمال الدين البسطامي ، وقوله بظهور جلالها ، مع اسم المكتوب له الثاني جلال الدين البلقيني ، وهناك تورية أخرى في قوله ( وأسعد جدها بأسعد قران ) ، فالمعنى قريب من ( القران ) هو : عقد الزواج ، ولكن الكاتب أراد من ذلك إقتران عودة القاضي جمال الدين والقاضي جلال الدين . وهناك تورية أخرى مع لقب ( شهاب ) جاء فيه في توقيع خطابه للشيخ شهاب .

(١) المصدر السابق : ج ١١ ص ١٨١ . ص ٢٣٦ ، ج ١٤ ص ٢٤١ .

(٢) المصدر السابق نفسه : ج ١١ ص ١٩٠ .

الدين ابن حجي : "الحمد لله الذي أطلع شهاب الفضائل في سماء معاليها" (١)  
ويلاحظ الباحث أن هذه التوريات السابقة من النوع البسيط ، الذي يسهل  
على القارئ التوصل إليه لقرب القرينة ووضوح المراد .على أن الباحث وجد  
من التوريات مع القاب ما جاء أكثر عمقا مما سبق ، من ذلك ما جاء في تقريض  
كتبه القلقشندي على قصيدة ، نضمها شرف الدين عيسى بن حجاج الشاعر  
المعروف ( بالعالية ) : "وحمى نفس الفضل في رقعة المساجلة أن تصل إليها  
فرازنة الدعاوي ، ولا غرو أن حماها العالية " (٢) فعبارة ( حماها العالية ) تفيد  
للهولة الأولى ، الحمى المصون المنيع العالي على الأعداء ، ولكننا عند التدقيق  
في لقب الشاعر ، نجد أن الكاتب ما رمى من هذه اللفظة إلا الإشادة بالشاعر من  
خلال التقريض .

ومما جاء من قبيل التورية في التقريض نفسه قول الكاتب : " لاجرم أضحت  
أم القصائد وكعبة القصاد ومحط الرحال ، ومنهل الورد فأربت في الشهرة على  
المثل السائر واعترف بفظلها .. " (٣) .

فقوله ( المثل السائر ) يشي بالمثل الذي يقول : " أسير من مثل " أو "  
أسرع من مثل " ، أي أنه قارن القصيدة بالمثل الذي يتلاقفه الناس ، ويدور في

(١) المصدر السابق : ج ١٢ ، ص ٧٤ .

(٢) المصدر السابق نفسه : ج ١٤ ، ص ٣٣٧ .

(٣) المصدر السابق نفسه : ج ١٤ ، ص ٣٣٨ .

حديثهم . ولكن المراد ؛ هو كتاب ابن الأثير الذي يحمل عنوان : " المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر " .

ولكن الباحث يجد توريثات أخرى أكثر عمقا مثل قوله : " ... وسد باب التوبة على منتقصه فلم تكن لتقبل توبة مثله ، وكان إلى مالك مصيره فلا جرم قضى بإهدار دمه وتحتم قتله " (١) فقد يفهم القارىء من قول الكاتب : " وكان إلى مالك مصيره " أن مالك اسم حاكم يحكم ويأمر بالقتل ، ولكن المعنى البعيد الذي رمى إليه الكاتب ، هو : مذهب مالك بن أنس الذي امتاز بتشدده على من انتقص الرسول حقه ، ويشير الكاتب إلى ذلك بقوله : " لاسيما مذهب مالك الذي لم يزل للدين من أهل الإلحاد مئثرا " (٢) .

ومن طريف التورية ، ما أوردها الكاتب في نسخة اجازة في عارضة الكتب : كتبها لطفل دون العاشرة : " ... وأبرز من ذوي الفطر السليمه من فاق بذكائه الأقران فأدرك العربية في لمحة ، وسما بفهمه الثاقب على الأمثال ، فأمسى وفهم الورقات لديه كالصفحة ، وخرق بكرم بدايته العادة فجاز الأربعين دون العاشرة وأتى على ذلك بما يشهد له بالصحة " (٣) فالتورية الاولى : " فأدرك العربية في لمحة " والظاهر أنه أراد بلفظ ( لمحة ) المفردة الزمنية أي الجزء اليسير من

(١) المصدر السابق : ج ١١ ، ص ١٨٢ .

(٢) المصدر السابق نفسه : ج ١١ ، ص ١٨٢ .

(٣) المصدر السابق نفسه : ج ١٤ ، ص ٣٣١ .

الزمن في حين أراد الكاتب المعنى البعيد وهو " اللمة البدرية " للشيخ ابن الأثير  
أبي حيان ، أما التورية الثانية ففي قوله : " فجاز الأربعين لدون العاشرة " فأول  
ما يتبادر لذهن القارئ أنه تجاوز سن الأربعين أي الزمن ، ولكن مرمى الكاتب  
من ذلك هو " الأربعين حديث " لشيخ الدين النووي .

ويلاحظ الباحث أن التورية جاءت في جميع الموضوعات التي كتب فيها  
سواء الإخوانية أو الديوانية وكذلك الوصفية والمناظرات . وكذلك وجد الباحث  
التورية في المقامه البدرية التي كتبها القلقشندي في قوله : " أنصب لاقتناص العلم  
أشراك التحصيل ، وأنزه توحيد الإشتغال عن اشراك التعطيل " (١) ، والتورية في  
قوله : " أنزه توحيد الإشتغال عن اشترك التعطيل " والتعطيل رفض التوحيد  
والشريعة ، وهو المعنى القريب لسبق التعطيل بالإشراك والتوحيد ، وهو لا يريد  
وإنما يريد الشركة والمشاركة ، وأيضا لا يريد بالتوحيد توحيد الله لاقتترانه  
بالتنزيه ، وإنما يريد الوحدة والتعبير لذلك كله مليء بتوريات متعاقبة " (٢) .

ومن ذلك قوله في المقامة نفسها : " إلى أن أتيح لي الفتح ما افاضته النعمة  
، وحصلت منه الغنيمة على ما اقتضته القسمة " (٣) " فالفتح وقد تلاه بالغنيمة  
والقسمة موريا بذلك عن الفتح العلمية لا كما نطن من السياق ، الفتح الحربي ،  
وبالمثل قوله القسمة فهو لا يريد بها المعنى القريب الملائم للغنيمة وهو القسمة

(١) المصدر السابق : ج ١٤ ، ص ١١٢ .

(٢) شوقي ضيف: عصر الدول والإمارات ، مصر والشام ، دار المعارف القاهرة - مصر ، ١٩٨٤ . ص  
٤٥٣ .

(٣) القلقشندي : صبح الأعشى ج ١٤ ص ١١٣ .

في الحرب وإنما يريد بها المعنى البعيد وهو الحظ من قولهم قسمة ونصيب " (١)  
ومن هنا يظهر للباحث أن الكاتب لم يقصد من وراء التورية الزخرفة الفنية ، بل  
أنه وظفها التوظيف المناسب لها ، إذ أن خفاء المعنى المراد يكون دافعا للدارس  
على إعادة القراءة والدرس ، حتى يتوصل للمعنى البعيد ، وبذلك يكون الكاتب قد  
وظف التورية كأداة تأكيد ، ترسخ ما يرمي إليه في ذهن القارئ .

على أن المتقدمين لم يكن لهم كثير الإهتمام بالتورية ، وإن ما وقع منها في  
كتباتهم جاء عفواً الخاطر ، وربما كان المتنبئ من أوائل المهتمين بالتورية حتى  
إذا ما وصلنا إلى العصر المملوكي نلاحظ طغيانها على الشعر والكتابة بشتى  
أصنافها ؛ فهي من أنواع البديع الذي عرف العصر به ، حتى قيل عن العصر  
المملوكي هو عصر البديع (٢) .

---

(١) شوقي ضيف : عصر الدول والإمارات مصر والشام ٤٥٣ .

(٢) عبد العزيز عتيق : علم البديع ص ١٣٣ - ١٣٤ .

## العكس :

" العكس أن تعكس الكلام فتجعل في الجزء الأخير منه ، ما جعلته في الجزء الأول .. وبعضهم يسميه التبديل " (١) ، وهذا لا يخالف تعريف شهاب الدين الحلبي حين يقول : " وهو أن يقوم في الكلام أحد جزئيه ثم يؤخر " (٢) ، وقد أسماه الحلبي بالعكس والتبديل (٣) ، ولم يتطرق القلقشندي لتسميته أو الشرح عنه ، و إن ورد في شتى فنون الكتابة التي طرقها ؛ من اخوانية و ديوانية وعلمية ، ولعل السبب في عدم الحديث عنه باسمه ، والشرح فيه لاعتباره من فنون البديع التي فيها يقول : " أما المتممات التي يكمل بها الكاتب من المعرفة بعلوم البلاغة ، ووجوه تحسين الكلام من المعاني والبيان والبديع ، فإن فيها كتباً مفردة تكاد تخرج عن الحصر والاحصاء .... فاليلطلب ذلك من مظانه من هذه الكتب وغيرها " (٤)

ومما جاء من العكس والتبديل في كتابات القلقشندي الإخوانية ، قوله في

تهنئه بالصوم :

تهن بهذا الصوم والعيد بعده ومن بعده بالعيد والعام فالعام . (٥)

---

(١) العسكري :الصناعتين ص٤١١ .

(٢) الحلبي :حسن التوسل ص٢٦٨ .

(٣) المرجع نفسه ص٢٦٨

(٤) القلقشندي : صبح الاعشى ،ج٢، ص٣٣٨

(٥) المصدر نفسه ج٩ ص٤٢

فجاء قوله : " والعيد بعده ومن بعده بالعيد " ، إذ عاد تقديم ظرف الزمان  
"بعد" على العيد في حين جاءت في الشطر الأول من البيت تالية له . ويدرك  
الدارس أن الكاتب رمى من ذلك ، الطلب والدعاء للمكتوب له بطول الهناء  
والعيش الرغد ، وهذا ما يدل على أن الكاتب يوظف العكس والتبديل لخدمة  
المعنى ، إضافة للحس والرونق الذي يظفيه العكس على صياغة الكلام ،  
والتماسك في سبكه .

كما أن الرسائل الديوانية لا تخلو من هذا الضرب البديعي ، مثال ذلك ما  
جاء في بيعة مرتبة على خلع خليفة ، قوله : " صلى الله عليه وسلم وعلى آله  
أمة الخير ، وخير الأئمة ، ورضي عن أصحابه أولياء العدل وعدول الأمة " (١)  
وقد أفاد المعنى هنا منزلة العترة المحمدية ، فهم لا يثمنون إلا الخير ، حتى أن  
الخير يأتهم بهم ، فهم صفوة الأمة الإسلامية وخيرها ، وكذلك صحابته عليه  
السلام يعرفهم الكاتب بأنهم أولياء للعدل قائمين به حتى غدوا عدول للأمة  
جمعاء .

وهناك مثال آخر جاء في عهد أنشأه الكاتب عن الإمام المتوكل على الله  
أبي عبد الله محمد بن المعتضد أبي الفتح لولده العباس ، جاء فيه : " وخفقت  
الرايات السود على عساكر المواكب ومواكب العساكر وسلم تسليماً كثيراً " (٢)  
والرايات السود هي رايات الدولة العباسية ورمزهم ، وعكسه (عساكر المواكب)

(١) انصدر السابق : ج ٩ ، ص ٣١٤

(٢) انصدر السابق نفسه : ج ٩ ، ص ٣٧١



وخفقات الرايات السود عليها ، يشي بالتفاف العساكر حول هذه الراية وحملها  
وحمايتها .

وثمة مثال على العكس جاء في توقيع بالتدريس ، يقول : " باذلا في  
استمالتهم طاقة جهده ، محسنا إليهم جهد طاقته " (١) .

ولا يخفى على الدارس ما يرمي إليه الكاتب وراء هذا العكس ، إذ يحاول  
إظهار مدى اهتمام المدرس بتلاميذه ومريديه ، فهو يبذل كل ما أوتي من قوة  
في سبيل تربيتهم وتوفيتهم حقوقهم .

وفي سبيل إظهار مكانة الكتاب ، وعظيم صفاتهم في المقامة التي أنشأها  
القلقشندي ، يقول : " هذه و أبيك صفات الملوك بل ملوك الصفات ، وأكرم  
الفضائل بل أفضل المكرمات " ( ٢ ) .

ولا يعدم الباحث أمثلة أخرى مما جاء في المفاخرات ، كذلك التي وردت  
في المفاخرة بين العلوم ، قوله : " أن الذاهب قادم والقادم ذاهب " (٣) وقوله كذلك  
في المفاخرة نفسها : " وأقل وجودا من بيض الأنوق بل بيض الأنوق في الوجود  
أكثر " (٤) .

---

(١) المصدر السابق : ج ١١ ، ص ٢٤٣

(٢) المصدر السابق نفسه : ج ١٤ ، ص ١١٤

(٣) المصدر السابق نفسه : ج ١٤ ، ص ٢١٢

(٤) المصدر السابق نفسه : ج ١٤ ، ص ٢٢٥

وكان هدف الباحث من وراء شرحه لمعاني الأمثلة السابقة ، محاولة إظهار دواعي العكس ، و أن ألفاظ الكاتب كانت في هذا الضرب من البديع تابعة لمعانيه ، فهي لم تجلب لزخرفة البديعية تصنعاً ، و إنما حاول الكاتب فيها التأكيد على بعض المعاني ، التي أراد لها أن تبلغ المتلقي بشيء من التمييز في إظهار أهميتها.

### اللغة والأسلوب :

تناول الفلقشندي موضوع اللغة في كتابه ( صبح الأعشى في كتابة الإنشاء ( <sup>(١)</sup> ، و جعل اللغة رأس مال الكاتب ، وهي الأساس في كلامه ، والكنز الذي ينفق منه ، فاعتبر الألفاظ قوالباً للمعاني التي يتصرف فيها الكاتب ، ومن هنا فقد طلب من الكتاب التبحر في اللغة ، ومعرفة مختلف علومها ودقائقها ، من غريب ومترادف و متباين ، والحقيقة والمجاز وما إلى ذلك ، كما نبه لتعلم الفصيح من اللغة ، وهو ما نطق به من أهل أواسط بلاد العرب ، وأشار لما على الكاتب معرفته مما تلحن به العامة وتغيره عن مواضعه <sup>(٢)</sup> ، وقد خص نوعاً من اللغة أسماء الألفاظ الكتابية ، ويعرفها بقوله : " وهي ألفاظ انتخبها الكتاب ، وانتقوها

(١) المصدر السابق : ج ١ ، ص ١٤٨ - ١٨٠ / ج ٢ ، ص ١٩٢ - ٣٣٨

(٢) المصدر السابق نفسه : ج ١ ، ص ١٥٠ - ١٦٢ .

من اللغة ، استحسانا لها وتمييزا لها في الطلاوة والحلاوة " (١) ويستشهد لذلك بقول للجاحظ مفاده : " ما رأيت أمثل طريقة من هؤلاء الكتاب ، فإنهم التمسوا من الألفاظ ما لم يكن متوعرا وحشيا ، ولا ساقطا سوقيا " ، وقول آخر لابن الأثير : " إن الكتاب غربلوا اللغة وانتقوا منها ألفاظا رائقة استعملوها " (٢) ، وأما حول المعاني التي تستخدم ، فقد جعلها من الألفاظ بمنزلة الأبدان من الثياب ، فالألفاظ عنده تابعة والمعاني متبوعة ، فما حسنت الألفاظ إلا لتحسين المعاني فالمعاني أرواح الألفاظ ومن أجلها وضعت وعليها بنيت (٣) .

ومن هذه الرسوم انطلق القلقشندي في إنشائه فجاءت ألفاظه سهلة الفهم ، قريبة التداول مبتعدا عن الوعورة والتعقر في الاختيار ؛ إذ يرى أن الهدف من الكلام هو : " الإيضاح والإبانة وإفهام المعنى ، فإذا ذهب الوصف المقصود من الكلام ذهب المراد به " (٤) وربما جاز للباحث القول : إن هذه الرسوم والمعايير تكاد تنسحب على شتى فنون الكتابة ، أتت طرقها القلقشندي ، فمن ذلك قوله في بيعة مرتبة على خلع خليفة : " الحمد لله الذي جعل بيت الخلافة مثابة للناس وأمانا وأقام سور الإمامة وقاية للأنام وحصنا وشد لها بالعصابة القرشية أزرا وشاد منها بالعصبة العباسية ركنا وأغاث الخلق بإمام هدى ، حسن سيرة ، وصفي سريرة ، فراق صورة ورق معنى ، وجمع قلوبهم عليه فلم يستكف عن الانقياد

(١) المصدر السابق : ج ١ ، ص ١٦٢ .

(٢) المصدر السابق نفسه : ج ١ ، ص ١٦٢ .

(٣) المصدر السابق نفسه : ج ٢ ، ص ١٩٢ .

(٤) المصدر السابق نفسه : ج ٢ ، ص ٢٠٠ ، والعبارة من كلام لابن الأثير .

إليه أعلى ولا أدنى ... " (١) فالمستقرىء للنص السابق يدرك مدى سهولة الألفاظ المستخدمة في التعبير .

ومن أمثلة ما جاء في رسائله الأخوانية قوله في رسالة تقريض المقر الفتحى أبي المعالي فتح الله : " هذا ، وهو واسطة بين الملك ورعيته ، والمتكفل لقصبيهم يدرك قصده وبلوغ بغيته ، والمسعد للمظلوم من عزائم توقيعاته بما يقضي بنصرته... " (٢) ومثل هذا الوضوح نجده في الكتابة المقامية حيث يقول : " ... لقد ذكرت قوما راقني وصفهم وشاقتني لطفهم ، ودعاني طيب حديثهم وحسن أوصافهم ، وجميل نعوتهم إلى أن أحل بناديبهم وأنزل بواديهم ، فاجعل حرفتهم كسبي وصنعتهم دأبي ، ليجتمع بالعلم شملي ويتصل بالإشتغال حبلي ، فأكون قد ظفرت بمنيتي وفزت ببغيتي " (٣) فيلاحظ القارىء أن هذه الألفاظ من السهولة بحيث يفهم معانيها كل من اطلع عليها بسهولة ويسر ، والكاتب يحرص على ذلك كل الحرص ، فبالإضافة لما يظهر لنا من السهولة في ألفاظه المستخدمة في كتاباته ، فإنه يكثر الترجيع حول الموضوع ذاته في تنظيراته ؛ من ذلك ، ما أورده من وصايا بشر بن المعتمر للكتاب قوله : " اياك والتوعر ، فإنه يسلمك إلى التعقيد والقييد ، وهو الذي يستهلك معانيك ويمنعك مراميك " (٤) ونستشف حد الفصاحة عنده من قوله : " المقصود من الكلام إنما هو الإفهام لا

(١) المصدر السابق : ج ٩ ، ص ٣١٣ .

(٢) المصدر السابق نفسه : ج ١٤ ، ص ١٩٣ .

(٣) المصدر السابق نفسه : ج ١٤ ، ص ١١٥ .

(٤) المصدر السابق نفسه : ج ٢ ، ص ٢٤٠ .

غير، فيخاطب كل واحد بما يفهمه ولا يكلف بما لا يعلمه وخير الكلام ما جاد وأفاد " (١) وينقل عن ابن الأثير قوله : " فإن أحسن الكلام ما عرف الخاصة فضله ، وفهم العامة معناه وهكذا فلتكن الألفاظ المستعملة في سهولة فهمها وقرب تناولها والمقتدي بألفاظ القرآن الكريم يكتفي بها عن غيرها " (٢) ويرى القلقشندي أن سهولة الألفاظ وما تمتاز به من سلاسة وعذوبة ، لا يتعارض مع كونها الفاظاً جزلة ، ويمثل على ذلك من كلام العرب وأشعارهم (٣) ، وهذا ما ألفاه الباحث في كتابات القلقشندي ، فهي تجمع مع سهولة الألفاظ جزالتها دون أن تكون فضة غليظة ، فمن ذلك قوله في بيعة : " فهي الملكة الداعية إلى ترك الكبائر واجتتابها ، والزاجرة عن الإصرار على الصغائر وارتكابها والباعثة على مخالفة النفس ونهيبها عن الشهوات والصارفة عن انتهاك حرمة الله التي هي أعظم الحرمات ، الموجبة للتعفف عن المحارم والشجاعة التي بها حماية البيضة والذب عنها ، والإستظهار بالغزو على نكاية الطائفة الكافرة والفض منها " (٤) والمتتبع لألفاظ هذا النص من البيعة ، يلحظ الجمع بين الجزالة لتتناسب جو البيعة المرتبة على خلع خليفة ، فتوجب الإتيان بألفاظ فيها من الجزالة والشدة ما يشي

(١) المصدر السابق : ج ٢ ، ص ٢٤ .

(٢) المصدر السابق نفسه : ج ٢ ، ص ٢١٦ .

(٣) المصدر السابق نفسه : ج ٢ ، ص ٢١٨ .

(٤) المصدر السابق نفسه : ج ٩ ، ص ٣١٥ .

بأهمية الخلافة ، وما يجب أن يكون عليه الخليفة ليناسب رتبته ، وعلى الرغم من ذلك كله ؛ فإن ألفاظه حافظت على سهولة الفهم وقرب التناول .

أما من حيث الأسلوب في التركيب وصياغة الكتابة فقد امتاز بحرية التعبير في الأسلوب ، إذ أنه يجمع بين مذهب النثر المطلق ، ومذهب النثر المسجع ، وهي ظاهرة تكاد تعم على أدباء العصر المملوكي <sup>(١)</sup> فإذا نظر الباحث إلى كتاباته النقدية يجده يبتعد عن السجع حتى يكاد لا يجد له في هذه الكتابات أثرا ، كقوله : " ولما كانت الألفاظ عنوان المعاني ، وطريقها إلى إظهار أغراضها أصلحها ، وزينوها وبالغوا في تحسينها ليكون ذلك أوقع في النفس ، وأذهب بها في الدلالة على القصد ... " <sup>(٢)</sup> وأكثر ما نجد هذا الأسلوب في كتاباته التي تأتي بعد لفظة ( قلت ) أما الأسلوب المسجوع فهذا ما اتبعه الكاتب في انشائه الابداعي ، حتى لا تكاد تجد عبارة تزل عن السجع ، وما ذكرناه في دراسة السجع يغني عن التمثيل . على أن الكاتب رضخ في بعض المواضع لاسجع متكلفا إياه حتى ولو أوقعه في الخطأ كقوله : " وتتطلع به سعادة الجد من ملوك العدل في كل أفق نجما ، وترقص من فرحها الأنهار فتتنقظها شمس النهار بذهب الأصيل على صفحات الماء " <sup>(٣)</sup> يلاحظ الدارس أن حرف الروي في السجعة الأولى هو الميم المتبوعة بالالف غير أنها في السجعة الثانية ، جاءت الهمزة في كلمة ( الماء )

(١) عمر موسى باشا : تاريخ الأدب في العصر المملوكي ، ٥٧٧ .

(٢) القلقشندي : صبح الأعشى ج ٢ ص ١٩٣ .

(٣) المصدر نفسه ج ٩ ص ٣٦٩ .

ويؤكد ذلك القرينة السابقة لها من قوله ( فرحها الأنهار ) وليناسب بين السجعتين في حرف الروي نجده يحذف الهمزة لتصبح ( الما ) . وثمة ميزة امتاز بها القلقشندي وهي الجنوح إلى الاستطراد أحيانا ، اذ يخرج عن الموضوع المتحدث فيه ثم يعود إليه ، كأن ترد قصة ليست لها كبير علاقة في صلب الموضوع ، ولكنه يدخلها فيه لينتهي عند الانتهاء منها لموضوعه الأصلي ، من ذلك في حديثه عن كيفية انتفاع الكاتب بعلوم البلاغة ، فيأخذ في الحديث عما يحتاجه الكاتب من معرفة أسماء من يضرب بهم المثل في البلاغة ، فيقول : " .... ونحوه من المحدثين وكما قيل في عي باقل - فيسرد القصة ثم يعود قائلا - " وكما عرفت أئمة الصناعة ويذكرهم " (١) .

وإضافة لما امتاز به أسلوبه من فنون بديعية باختلاف أنواعها ، فإنه يلجأ أيضا إلى توظيف مفردات وعلوم اللغة المختلفة ، على سبيل المقارنة والتورية بها وغير ذلك ، من سبل التوظيف ، ويقول القلقشندي في هذا : " غير خاف أنه إذا مهر فيها وعرف طرقها ، أتى بالسحر الحلال .... ثم كما يحتاج إلى هذه بطريق الذات ، كذلك يحتاج إليها بطريق العرض من جهة المعرفة بالبلغاء ، أن يضرب بهم المثل في البلاغة ... وأما ما يحتاجه من ألفاظ أهل الصناعة ، فلأنه ربما ورى بها في تفاصيل كلامه ونحو ذلك " (٢) ، لقد سخر القلقشندي ألفاظ مختلف فروع اللغة من نحو وصرف وعروض وغيره ، كما وأن التوظيف جاء

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ج ١ ص ١٨٦ .

(٢) المصدر نفسه ج ١ ص ١٨٥-١٨٧ .

في مختلف أنواع الرسائل ، التي كتبها ومما جاء في الرسائل الاخوانية ، قوله  
في مقطوعة نظمها لجمال الدين محمود القيسراني :

لم يغف عن حاجتي حتى انبهه      وكيف يغفو وفي المعروف كم سهرا  
جعلته مبتدأ في رفعه خبري      وعادة المبتدأ أن يرفع الخبرا (١)  
يلاحظ الدارس للبيت الأخير أن الكاتب استطاع أن يوظف قضية رفع  
المبتدأ للخبر بمهارة وسلاسة ، يشعر معه أن الكاتب لم يعمل جهده في الصناعة  
وجلب المفردات ، بل إنها جاءت عفو الخاطر ، ومما جاء في باب الأخوانيات  
نثرا قوله في تقرير صاحب الديوان : " هذه الرتبة بالمحل الأرفع ، والمنزلة  
التي لا تدافع ولا تدفع ، والمكان الذي تفرد في صدارته فكانت كالمصدر لا يثنى  
ولا يجمع " (٢) فيلاحظ توظيفه لصفة من صفات المصدر ، وهي أنه لا يثنى ولا  
يجمع ، وقارن بها صاحب الديوان في مكانته ، إذ هو المركز الذي لا يشغله أكثر  
من فرد واحد في ذات الوقت .

وثمة طريقة أخرى عمد إليها الكاتب في استخدام الألفاظ ، وهي طريقة  
التورية وكان ذلك في المفاخرة التي كتبها بين العلوم : " و أتيت من طويل الكلام  
بما لا طائل تحته فنقل قولاً ، وجئت من بسيط القول بما لو اقتصرت منه على

---

(١) المصدر السابق : ج ٩ ، ص ١٨١  
(٢) المصدر السابق نفسه : ج ١٤ ، ص ١٩٢



المتقارب لكان بك أولى " (١) ، وواضح استخدامه لأسماء البحور ( الطويل ، والبسيط والمتدارك ) ، والمعنى القريب أنه يتحدث عن هذه البحور الشعرية التي وضعها الخليل بن أحمد الفراهيدي ، ولكن المعنى البعيد : هو الإنقاص من قمية علم العروض ، الذي يتهمه علم القافية أنه وصف نفسه بصفات هي أكثر مما يستحق .

ومن الإستخدامات التي وردت في الكتب الرسمية قوله في توقيع : " اقتضى حسن الرأي الشريف أن نفرده بهذه الوظيفة التي يقوم أفرادها فيها مقام الجمع (٢) فاستخدم لفظة المفرد والجمع وهي من ألفاظ علم الصرف ، ليكني بها عن مكانة الوظيفة والقدرة وعزم المولى بها . ومن توقيع آخر قوله : " ونقدمه على غيره ممن رام إبرام الباطل فنقض ، وحاول رفع نفسه بغير أداة رفع فخفض " (٣) فالناظر يرى أن الكاتب يتحدث بأمر نحوية من (أداة رفع) و( خفض ) ، ولكن المعنى البعيد من التورية هو أن هنالك من حاول الوصول لهذه الوظيفة فلم يستطع ، لعدم امتلاكه المؤهلات المناسبة لها ، ومما وظف من ألفاظ الصرف قوله في تصدير : " والماهر الذي استحق بمهارته التصدير ، والجامع لفنونه المتنوعة جمع سلامة لا جمع تكسير " (٤) فكارن بين مقدرة صاحب التصدير ، وجمعه لمختلف الفنون، وبين الجمع السالم وجمع التكسير .

(١) المصدر السابق : ج١٤ ، ص ٢٠٩ - ٢١٠

(٢) المصدر السابق نفسه : ج١١ ، ص ٢٤٠

(٣) المصدر السابق نفسه : ج١٢ ، ص ٧٧

(٤) المصدر السابق نفسه : ج١١ ، ص ٢٥١ - ٢٥٢

ومن هنا فإن الباحث يرى أن القلقشندي استطاع بطبعه وموهبته ،  
 واجتهاده في الصنعة ، وما هذه الصنعة التي سلكها الكاتب إلا لمجاراته أدباء  
 عصره الذين أوغلوا في الصنعة ، وجعلوها ميزانهم الذي توزن به الكتابات  
 الفنية .

ويرى عمر موسى باشا أن القلقشندي " مثل عصره خير تمثيل وأن صنعة  
 الإنشاء عنده ، إنما كانت علما قائما بذاته له أصوله وأحكامه والتزاماته ، ولاشك  
 أن موسوعته النثرية الديوانية الكبرى هي خير ما خلف لنا هذا العصر من  
 الموسوعات العلمية <sup>(١)</sup> وقريب من ذلك قول مصطفى الشكعة " نستطيع أن نصفه  
 بأنه أديب صانع مجتهد ، فهو صاحب قلم مطاوع ساندته ثقافة واسعة في شتى  
 العلوم والفنون وهو أيضا ذو فكرة رائعة عميقة وأسلوب مشرق الديباجة سلس  
 المأخذ والعطاء " <sup>(٢)</sup> على أن الباحث يرى أن الطبع لا يخالف الصنعة ، وأن  
 صاحب الصنعة في الأدب لا بد له موهبة وقريحة وطبع " وذلك أن الطبع يخص  
 الله تعالى به المطبوع دون المتطبع ، والمناسب بغريزته للصناعة دون التصنع ،  
 ولا سبيل إلى اكتساب سهولة الطبع ولا كرازته ، بل هو موهبة تخص ولا تعم"  
 <sup>(٣)</sup> ولعل القلقشندي امتلك هذا الطبع ، وظهرت كتاباته الرسمية والأخوانية ، وفي

(١) عمر موسى باشا : تاريخ الأدب العربي العصر المملوكي ص ٥٧٨ .

(٢) مصطفى الشكعة : الاصول الأدبية في صبح الأعشى ص ٩٩ .

(٣) القلقشندي : صبح الأعشى ج ٢ ص ٣١٧ .

المقامة وهذا لا يعني أن الباحث ينفي عن الكاتب الصنعة ، وإنما وكما سلف كانت بابا لا بد من ولوجه في ذلك العصر .

والصنعة لا تعيب الكاتب في حد ذاتها ، إلا إذا استكرهت وتكلفها الكاتب تكلفا يخرج عن حد الإبانة ويدخل إما في الركاكة أو الغموض ، ولما كان القلقشندي ممن نظر للمعاني على أنها من الألفاظ كالروح من البدن ، فإنه حرص على الاعتدال في الصنعة ، وعدم تنكبه وعورة الاغراب فيها .

ومن هنا انطلق شوقي ضيف بقوله ، بعد عرضه لجزء من مقامة القلقشندي : " ولعل خصائص صوت القلقشندي ولغته قد اتضحت لنا تماما فهو كمعاصريه يستخدم السجع ويوشيه بمحسنات البديع وفي مقدمتها ، الجناس والطباق والتورية ، ونحس عنده بطواعية العبارات المسجوعة ، ومرانه على استخدام ألوان البديع دون أن تشعر بأي ثقل أو أي عبارة أو كلمة مستكرهة " (١) .

---

(١) شوقي ضيف : عصر الدول والإمارات ( مصر والشام ) ص ٤٥٣ .

## الخيال والصورة :

يفيد المعنى المعجمي لكلمة الخيال : الشخص - والطيف - وما يشبه ذلك في اليقظة والنام من صورة ، و صورة تمثال الشيء في المرآة . ومن كل شيء : ما تراه كالظل ، و خشبة ينصب عليها كساء أسود في المزروعات ليفزع بها الطير ، وفي مراض الغنم يفزع بها الذئب . وإحدى قوى العقل التي يتخيل بها الأشياء <sup>(١)</sup> ، والمعنى الأخير قوى العقل التي يتخيل بها الأشياء ، قريب مما أسماه القلقشندي ( الإيهام ) حين تحدث عن أمور الكتابة أو الإبداع فقال : " فمادتها ، الألفاظ التي يتخيلها الكاتب في أوهامه وتصور من ضم بعضها إلى بعض صورة باطنة تامة في نفسه بالقوة ، والخط الذي يخطه القلم ويقيد به تلك الصور ، و تصير بعد أن كانت صورة معقولة باطنة صورة محسوسة ظاهرة ... " <sup>(٢)</sup> فالخيال أو الإيهام هو مصدر التخيل ، وطاقة تصنيع الألفاظ وتوليد الصور ، أو بتعبير آخر هو ما يوكل إليه البحث في العلاقات القائمة أو ما يمكن تصور قيامها بين المحسوسات ، ثم الخروج من هذه العلاقات الحسية إلى تصورات معنوية تبقى في الباطن (الخيال أو الإيهام) ، ومن ثم تظهر في الأعمال الإبداعية نثرا أو شعرا ، ولما كان المبدع عاجزا عن التخلص من سلطة المتلقي ، وهي السلطة الكامنة داخل المبدع ذاته ، والتي تولد مع ولادة العمل الإبداعي أو قد تعقبه بعد الخروج من لحظة التنوير أو التجلي .

(١) ابراهيم مصطفى وآخرون : المعجم الوسيط ، مادة : خال .

(٢) القلقشندي : صبح الأعشى ج ١ ص ٣٦ .

فقد سعى المبدع على حشد طاقته الخيالية لتقديم إبداع قد يعتقد أنه يرضي المتلقي ، ولذا يجد الدارس أن الأنواع الأدبية يتراوح الاهتمام بها من عصر إلى عصر ، كما أن مضامينها في تغير مستمر والشئ نفسه حصل للناحية الفنية ، وعلى وجه الخصوص في تلك العصور التي أخذ الاهتمام بالصنعة اللفظية يزداد ، والمبدع الباحث دوما عن الصور الجديدة في إعادة صياغة العلاقات القائمة ، أمله في ذلك إيقاف المتلقي ما استطاع أمام كتاباته الإبداعية ، ليحقق بذلك إرضاء الذات المبدعة في داخله ، ولذلك تجاوز الكتاب والشعراء في العصر المملوكي (عصر الصنعة ) المحسنات البديعية من سجع وجناس وطباق وتورية وغير ذلك الى شحذ الخيال لانتاج الصور التي هي " أداة الخيال ، ووسيلته ، و مادته الهامة التي يمارس بها ومن خلالها ،فاعليته ونشاطه " (١) . والقلقشندي أحد الأدباء الذين عاشوا عصر الصنعة البديعية ، وقد مر في الدارس احتفال القلقشندي بالفنون البديعية على مختلف أضرابها ، ولم يقل اهتمامه بالصورة الأدبية عن ذلك . ومما جاء في مقامته من الصور قوله : " فأجوب فيافي الفنون لتظهر لي طلائع الفوائد فاشهدها عيانا ، و أجول في ميدان الأفكار لتلوح لي كمائن المعاني فلا أثنى لها عنانا ، وأشن غارات المطالعة على كتائب الكتب فأرجع بالغنيمة ، وأهجم على حصون الدفاتر ثم لا أولي عن هزيمة ، بل كلما لاحت لي فئة من

(١) جابر عصفور : الصورة الفنية في التراث النقدي عند العرب ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط ٣ ، ١٩٩٢ . ص ١٤ .

البحث تحيزت إليها ، أوضحت لي كتيبة من المعاني حملت عليها ، إلى أن أتيت لي من الفتح ما أفاضته النعمة وحصلت من الغنيمة ما اقتضته القسمة " (١) .

ويلاحظ الدارس كيف استطاع الكاتب صياغة هذه الصور من خلال بناء سلسلة من العلاقات بين ما هو حسي ومعنوي فجعل للفنون فيافي واسعة وللمعاني كمائن يعمل على اكتشافها ، وللكتب كتائب كالجنود ، واجتهاده بالمطالعة كالغارات يشنها . فقد أدخلنا الكاتب أجواء المعركة التي يخرج منها بغنيمة العلم و الغنيمة التي يحصل عليها المحارب بعد إنجلاء الحرب ، وتتابع الصور في المقامة على هذه الشاكلة ، مصوراً فيها الكاتب ما عانى في سبيل تحصيل العلم ، وما ألمّ به من حيرة بين طلب العلم والعمل لتوفير العيش ، ومما جاء في الكتب الرسمية تصويره للخلافة كفتاة تطلب خطبة المبايع ، ويصور ما به من صفات جعلتها تقدمه على غيره يقول : " فلم تلف لها بعلا يكون لها قريناً ، ولا كفتاً تخطبه يكون لديها مكنياً إلا الإمام الفلاني المشار إليه .. إذ هو شبلها الناشء بها ، وغيثها المستمطر من سحابها بل هو أسدها الهصور ، وقطب فلکها الذي عليه تدور " (٢) ، ويلاحظ الباحث أن هذه الصور مستوحاة من التراث الديني ، إذ هو يورد الآية الكريمة " فراودته الذي هو في بيتها عن نفسه " وكذلك من التراث العربي القديم كتصويره للمبايع بالأسد والشبل ، ويزهو التصوير جمالاً في قوله : " وغيثها المستمطر من سحابها " فالخلافة سحاب

(١) الفلقشندي : صبح الأعشى ج ١٤ ص ١١٢-١١٣ .

(٢) المصدر نفسه ج ٩ ص ٣١٠ .

ترتجيه الرعية وخير ما يرتجى من السحاب ، هو الغيث فجعل هذا الغيث الخليفة  
المبايع ، وبهذا يقدمه كالخير المنتظر ، وثمة تصوير آخر يعمد فيه الكاتب إلى  
التشخيص وإضفاء صفة الحياة على الجمادات ، يقول في نسخة عهد : " .. تشهد  
به حضرات الأملاك ، وترقمه كف الثريا بأقلام القبول في صحائف الأفلاك ...  
وترقص من فرحها الأنهار فتتقطها شمس النهار بذهب الأصيل على صفحات  
الما " (١) فجعل للثريا كفا وللأفلاك صحائف ، ويدرك الناظر أن هذه الصورة  
استخدمها الكاتب من طبيعة عمله في الديوان والكتابة ، ويلاحظ أيضا أن خيال  
الكاتب يكون أكثر عمقا ، عندما يتحدث عن فرح الأنهار وأنها ترقص فتدب  
الحياة في الصورة ، ويستشعر المتلقي أنها قطعة مجتزأة من الحياة ، يكمل  
الصورة عندما يدخل الشمس في هذه المشاركة الإنتقالية ، لتكون أشعتها كالذهب  
الذي تزين صفحات النهر .

ومما جاء في نظمه من الصور قوله :

أيا كاتب السر الشريف ومن به      تميم نواحي مصرتيها مع الشام  
ومن جلت الجلى كتائب كتبه      ومن ناب عن وقع السيوف بأقلام (٢)  
ومنه أيضا :

إمام به ثغر الخلافة باسم      وعرينها يسمو على قمة الراس (٣)

(١) المصدر السابق : ج ٩ ، ص ٣٦٩ .

(٢) المصدر السابق نفسه : ج ٩ ، ص ٤٢ .

(٣) المصدر السابق نفسه : ج ٩ ، ص ١٨٠ .

على أن المتتبع لكتابات القلقشندي يجد أن الخيال عنده قريب المدى ، فما هي إلا تشبيهات يجريها بين محتويات ومعنويات خاضها قبله الكتاب والشعراء . ولعل طبيعة عمل القلقشندي في ديوان الإنشاء والكتابات الرسمية التي لا تحتاج ولا تحتمل الامعان في الخيال ، جعل صورة قريبة المنال ، كما أن الخيال مادة الشعر أكثر من النثر ، والمطلع يعلم أن القلقشندي لم يمتلك موهبة وقريحة شعرية ، وما كتبه من الشعر لم يتجاوز النظم لضعف الخيال وقرب الصورة فيه.



# الخاتمة

## الخاتمة :

منذ أن تولى المماليك الحكم في مصر وجدوا أنفسهم في مواجهة خطرين ، يهددان كيان الأمة الإسلامية ، وهما الخطر المغولي في الشرق ؛ والذي قضى على الخلافة الإسلامية في بغداد ، والخطر الصليبي الذي زرع جذوره في بلاد الشام وحاول اقتحام مصر .

وقد خاض المماليك عدة معارك مع المغول في بلاد الشام وكان أهمها معركة عين جالوت (٦٥٨هـ) والتي انتصر فيها السلطان قطز ، وأخرى في العراق بقيادة الظاهر بيبرس ، وكان من نتائج هذه المعارك أن ارتأى الظاهر بيبرس نقل الخلافة العباسية إلى القاهرة .

أما على صعيد الجبهة الثانية مع الصليبيين ، فقد أحرز المماليك عدة انتصارات ، كان أهمها اقتحام حصن عكا ، وإعادتها للحضيرة الإسلامية على يد الأشرف خليل قلاوون (٦٩٠هـ) .

وثمة خطر ثالث كان ينخر في عظم الأمة ، وهو الخلافات والاضطرابات المستمرة داخل الحكم المملوكي ، فلا يتسلط سلطان إلا على أنقاض سلطان سابق يكون مصيره العزل أو القتل .

في ظل هذه الظروف تنبه أبطال القلم ، لما يحيط بفكر الأمة من خطر يهدد بضياعه واندثاره ، فبادروا إلى حفظه في موسوعات أدبية ، شملت شتى

مناحي الحياة السياسية والاقتصادية والتاريخية والجغرافية ، وقد امتازت هذه الموسوعات بدقة التنظيم وشيء من المنهجية العلمية .

وقد ساعد على انجاح هذا العمل عدة عوامل : كراعية السلاطين للعلماء ، وانتشار المدارس والمساجد ، مما أدى إلى وفود العلماء والأدباء من المشرق الإسلامي ومغربه ، طلباً للأمن والاستقرار النسبي في مصر ؛ إذ كانت أكثر أمناً من الشرق الذي دمره المغول ، والغرب الإسلامي الذي توزع إلى دويلات متناثرة .

على أن عاملاً آخر كان له أكبر الأثر ساهم في ظهور هذه الأعمال الأدبية ؛ وهو ديوان الإنشاء ، الذي بلغ أوج ازدهاره في هذه الفترة ، حيث كان يمثل أرشيفاً لكثير من المواد التي يحتاجها الكاتب ، ولما كان أبو العباس أحمد بن عبد الله القلقشندي ، أحد كتّاب الإنشاء فيه فقد أفاد منه إفادة جلية فيما كتب من مؤلفات ، كما أن عمله في هذا الديوان جعله على مقربة من الأمراء والسلاطين ، الذين لم يألوا جهداً في تشجيعه على التأليف في مختلف أضرب الفنون ، فظهر له العديد من المؤلفات في التاريخ والأنساب والسياسة ، وكان على رأسها موسوعته الأدبية التاريخية الجغرافية السياسية ؛ " صبح الأعشى في كتابة الإنشا" وفي هذه الموسوعة أفاد كثيراً ممن سبقه ، كعلي بن خلف في كتابه " مواد البيهقان " ، وابن الأثير في كتابه " المثل السائر " ، وشهاب الدين الحلبي في كتابه " حسن التوسل إلى صناعة الترسل " ، وكذلك من الحريري في مقاماته ، كما ويبدو تأثيره واضحاً بعبد الحميد الكاتب في رسالته للكتاب ، وقد تباين منهجه في

تعامله مع مصادره ، فحيناً يشير إلى المصدر ومؤلفه وحيناً يشير إلى المصدر وحده ، أو المؤلف وأحياناً لا تجد إشارة لمصدره .

كما أن عمله في ديوان الإنشاء ؛ جعله مشاركاً فيما يستجد من أحداث ، والتي تستلزم الكتابة فيها ، فكانت الرسائل الرسمية والتي كتب في معظم أصنافها .

ولما كانت صداقاته متنوعة مع رؤوسيه ورؤسائه وأصدقائه ، فقد كتب الرسائل الإخوانية المختلفة نثراً ونظماً وإن كان ميالاً للنثر .

وكتب القلقشندي في غير هذه المواضيع كالمقامة و المفاخرات و المناظرات وإجازات عراضة الكتب و تقرير القوائد .

ولعل ما يفسر هذا العطاء الكبير ، تلك النشأة العلمية التي نشأها القلقشندي ، حيث بدأ حياته العلمية في بلدة قلقشندة ثم ارتحل إلى الإسكندرية ، حيث واصل تعليمه و اختلط بالعلماء والفقهاء ، فأجازه الشيخ سراج الدين أبو حفص عمر بن أبي الحسن " ابن الملقن " بالتدريس ، ثم أنه مارس الأعمال المختلفة ، والتي ساعدت على سعة اطلاعه في شؤون الدولة ، والإفادة من التجارب في الحياة ، ثم عمله في ديوان الإنشاء منذ عام ٧٩١ هـ وحتى عام ٨١٦ هـ على أقل تقدير . ومن الناحية الفنية يكاد القلقشندي لا يخرج عن أدباء عصره ؛ من حيث الاهتمام بالفنون البديعية فدبج رسائله الرسمية والإخوانية ، وكذلك العلمية والمقامية ، بمختلف أضرب البديع من جناس وطباق وتورية وعكس ، ولاحظ الباحث كثرة ورود التناص في كتابات القلقشندي ، كالتناص الديني مع القرآن

الكريم بمختلف صورته ؛ الاستشهاد والتضمين والتلميح ، وكذلك مع الحديث الشريف ، والتناص الأدبي ، موظفاً الأشعار وقد أحسن توظيفها فجاء بها استشهاداً وتضميناً ، وكذلك مع الأمثال التي أدرجها في سياق كتاباته بشكل متجانس مع مضمون النص وصياغته ، كما عمد إلى التناص التاريخي فوظف الحوادث التاريخية وأسماء الأعلام لتدل بدلالات أراد الإفادة منها في مضامين رسائله .

وكانت لغة القلقشندي سهلة الفهم بعيدة عن الغريب ، وهي في الوقت ذاته ترتفع عن الابتذال لتجاري المضامين التي تحملها ، فهي جزلة قوية في رسائل البيعات والعهود ، حيث تحمل المعاني الشديدة ، وهي رقيقة في الإخوانيات ، وهذا الازدواج في اللغة يظهر أيضاً حيث لا تكاد تخلو رسالة من رسائله الديوانية أو الإخوانية من السجع ، مع توافق حروف الروي في سجتين أو ثلاث سجات وأحياناً أكثر من ذلك ، في حين يظهر الأسلوب المطلق في كتاباته النقدية والتاريخية ، وقد جاء خياله قريباً ؛ ولعل ذلك ما جعل شعره نظماً لا يحتمل التأويل وتعدد الأبعاد . والصورة عنده بسيطة ، اعتمد فيها على التراث الديني والأدبي ، ويميل القلقشندي في تصويره إلى التشخيص وإضفاء الحياة على الجمادات والكائنات الحية غير البشرية .

# المصادر و المراجع

المصادر والمراجع :

\_ القرآن الكريم .

\_ إبراهيم ، عبد الله إبراهيم .

٥ السردية العربية بحث في السردية للمورث الحكائي ، مركز الثقافة العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٢ .

\_ ابن الأثير ، ضياء الدين نصر الله بن محمد بن الأثير ( ٦٣٧ هـ —  
\_ ١٢٣٩ م )

٥ المثل السائر في أدب الكتاب والشاعر ، تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة ، طباعة دار النهضة ، مصر القاهرة ، ط ١٩٥٩ .

\_ أمين ، فوزي محمد أمين .

٥ أدب العصر المملوكي الأول قضايا المجتمع والفن ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٩٣ .

\_ أمين ، محمد محمد أمين .

٥ الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر ، دار النهضة العربية القاهرة ، ط ١ ، ١٩٨٠ .

\_ ابن إياس ، محمد بن أحمد ( ٩٣٠ هـ - ١٥٢٣ م ) .

٥ سبائك الزهور في وقائع الدهور : تحقيق محمد مصطفى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ط ٢ ، ١٩٩٢ .

\_ باشا ، عمر موسى .

٤ أدب الدول المتتابعة ، دار الفكر الحديث ، ط ١ ، ١٩٦٧ .

٥ تاريخ الأدب العربي ( العصر المملوكي ) ، دار الفكر المعاصر ، بيروت

لبنان ، دار الفكر ، دمشق سوريا ، ط ١ ، ١٩٨٩ .

\_ البخاري . محمد بن اسماعيل ( ٢٥٦ هـ - ٨٦٩ م ) .

٦ صحيح البخاري ، دار الكتب العلمية ، بيروت

\_ بروكلمان ، كارل بروكلمان .

٧ تاريخ الأدب العربي ، نقله إلى العربية عبد الحليم النجار ، دار المعارف

القاهرة ، ط ٥ ، ١٩٨٣ .

\_ بشار بن برد ، ( ١٦٨ هـ - ٧٦٨ م ) .

٨ الديوان جمعه وشرحه وعلق عليه محمد عاشور ، الشركة التونسية والشركة

الجزائرية للنشر والتوزيع ١٩٧٦ .

\_ البغدادي ، اسماعيل بن محمد البغدادي ( ١٣٣٩ هـ - ١٩٢٠ م ) .

٩ هدية النارفين وأثار المصنفين من كشف الظنون ، دار الكتب العلمية ،

بيروت ، لبنان ١٩٩٢ .

\_ ابن بطوطة ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتسي ( ٧٧٩

هـ - ١٣٧٧ م ) .

١٠ تحفة الأنظار في عجائب الأمصار وغرائب الأسفار ، المعروف بـ:

رحلة ابن بطوطة : تحقيق عبد الهادي التازي ، مطبوعات أكاديمية

المملكة المغربية ، سلسلة التراث ١٩٩٧ .



\_ البهاء زهير بن محمد ( ٦٥٦ هـ - ١٢٥٨ م ) .

الديوان : شرح وتحقيق الجبلاوي ومحمد أبو الفضل ، دار المعارف القاهرة  
ط ١ ، ١٩٨٢ .

\_ البوصيري ، شرف الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد البوصيري  
ت ( ٦٦٩ هـ )

الديوان : تحقيق محمد سيد كيلاني ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي ، ط ٢ ،  
١٩٧٣ .

\_ ابن تغري بردي ، جمال الدين أبو المحاسن يوسف ( ٤٧٨ هـ - ١٤٦٩ م )

المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي ، تحقيق محمد أحمد أمين ، الهيئة  
المصرية العامة للكتاب ١٩٨٤ .

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، وزارة الثقافة ، القاهرة ١٩٧٢ م

\_ أبو تمام : حبيب بن أوس الطائي ( ٢٣١ هـ - ٨٤٥ م ) .

الديوان ، شرح الخطيب التبريزي ، قدم له ووضع هوامشه راجي الأسمر ،  
دار الكتاب العربي \_ بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٢ .

\_ الثعالبي ، عبد الملك بن محمد ( ٤٢٩ هـ - ١٠٣٧ م ) .

خاص الخاص ، شرحه وعلق عليه مأمون بن تقي الدين ، دار الكتب العلمية  
بيروت ١٩٩٤ .

\_ الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ( ٢٥٥ هـ - ٨٦٨ م ) .

البيان والتبيين : تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل بيروت  
١٩٩٠ .

\_ الجويني ، مصطفى الصاوي .

▣ ملامح الشخصية المصرية في الدراسات البيانية ، في القرن السابع الهجري ، الهيئة المصرية العامة ، القاهرة ١٩٧٠ م .

\_ حافظ ، صبري .

▣ أفق الخطاب النقدي ، دار شرقيات للتوزيع والنشر ، باب لسوق القاهرة ، ط ١ ، ١٩٩٦ .

\_ ابن حجر العسقلاني ، شهاب الدين أحمد بن علي ( ٨٥٢ هـ -

. ( ١٤٤٨ م ) .

▣ إنباء الغمر بأنباء العمر في التاريخ ، دار الباز ، مكة المكرمة ، دار الكتب العلمية بيروت \_ لبنان ط ٢ ، ١٩٨٦ .

▣ المجمع المؤسس للمعجم المفهرس / تحقيق محمد شكور ، مؤسسة الرسالة بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٦ .

\_ ابن حجة ، تقي الدين أبو بكر المشهور بابن حجة الحموي ( ٨٣٧ هـ -

. ( ١٤٣٣ م ) .

▣ خزائن الأدب وغاية الأرب ، المطبعة الخيرية بالقاهرة ، ط ١ ( ١٣٠٤ هـ )

\_ الحجي ، حياة ناصر الحجي .

▣ أحوال العامة في حكم الممالك ، شركة كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع ، الكويت ، ط ١ ، ١٩٨٤ .

\_ حسن ، علي إبراهيم .

▣ تاريخ الممالك البحرية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، بلا طبعة ، بلا تاريخ .

...  
\_ الحلبى ، شهاب الدين محمود الحلبى ( ٧٢٥ هـ - ١٣٢٤ م ) .  
☞ حسن التوصل إلى صناعة الترسل ، تحقيق ودراسة أكرم عثمان يوسف ،  
وزارة الثقافة والإعلام بغداد ١٩٨٠ .

\_ حمزة ، عبد اللطيف .  
☞ القلقشندي في كتابه صبح الأعشى عرض وتحليل ، المؤسسة المصرية  
العامة للتأليف والطباعة والنشر ، ط ١ ، ١٩٦١ .

\_ الحنبلى ، عبد الحى بن العماد ( ١٠٨٩ - ١٦٧٨ م ) .  
☞ شذرات الذهب في أخبار من الذهب ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت ،  
بلا تاريخ .

\_ الخفاجى ، محمد عبد المنعم .  
☞ الحياة الأدبية بعد سقوط بغداد حتى العصر الحديث ، دار الجيل بيروت ،  
ط ١ ، ١٩٩٠ .

\_ خلف ، على بن خلف الكاتب .  
☞ مواد البيان ، تحقيق حسين عبد اللطيف ، منشورات جامعة الفاتح ، طرابلس ،  
١٩٨٢ .

\_ الخنساء ، تماضر بنت عمرو بن الحارث ( ٧٠٤ هـ - ٦٤٤ م ) .  
☞ الديوان، تحقيق أنور أبو سويلم ، دار عمار الأردن ، ط ١ ، ١٩٨٨ .

\_ الدروبي ، محمد محمود .  
☞ الرسائل الغنية في العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، دار  
الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، عمان ، ط ١ ، ١٩٩٩ .

\_ ابن أبي ربيعة ، عمر ( ٩٣ هـ - ٧١٢ م ) .

☞ الديوان ، دار القلم ، بيروت لبنان .

\_ رشيد ، ناظم .

☞ في أدب العصور المتأخرة ، مكتبة بسام الموصل العراق ، ١٩٨٥ .

\_ الرّماني ، أبو الحسن بن عيسى الرّماني ( ٢٩٦ هـ - ٩٠٥ م ) .

☞ النكت في إعجاز القرآن الكريم ، تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول

سلام ، دار المعارف بمصر ، ط ٣ ، ١٩٧٦ .

\_ ابن الرومي ، أبو الحسن علي بن العباس ( ٢٨٣ هـ - ٨٩٦ م ) .

☞ الديوان : تحقيق حسين نصار ، مطبعة دار الكتب القاهرة ١٩٧٦ .

\_ الزركلي ، خير الدين .

☞ الأعلام ، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين

والمستشرقين ، دار العلم للملايين ، بيروت لبنان ، ط ٨ ، ١٩٨٩ .

\_ الزعبي ، أحمد .

☞ التناص نظرياً وتطبيقياً مكتبة الكتاني اربد ط ١ ١٩٩٠ .

\_ زيدان ، جرجي .

☞ تاريخ آداب اللغة العربية ، دار مكتبة الحياة ، بيروت \_ لبنان ١٩٨٣ .

\_ السخاوي ، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن ( ٩٠٢ هـ - ١٤٩٤ م ) .

☞ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت.

☞ انذيل على رفع الأصر ، تحقيق عودة هلال ، محمد محمد صبح ، الدار

المصرية للتأليف والنشر ، بلا تاريخ .

\_ سرور ، محمد جمال الدين .

☐ دولة الظاهر بيبرس في مصر ، دار الفكر العربي ، بلا تاريخ ، بلا طبعة .

\_ السكاكي ، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي ( ٦٣٦ هـ —

١٢٣٦ م ) .

☐ كتاب مفتاح العلوم ، المطبعة اليمنية لصاحبها مصطفى البابي الحلبي ،

مصر .

\_ سلام ، محمد زغلول .

☐ الأدب في العصر المملوكي ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٨٥ .

\_ سليم ، محمود رزق .

☐ عصر السلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي ، مكتبة الآداب بالجاميز

، المطبعة النموذجية ، بلا تاريخ .

\_ السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ( ٩١١ هـ - ١٥٠٥ م ) .

☐ حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، تحقيق محمد أبي الفضل

إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، ط ١ ، ١٩٦٨ .

☐ تاريخ الخلفاء ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ، دار النهضة مصر

القاهرة ١٩٧٦ .

☐ شرح مقامات جلال الدين السيوطي ، تحقيق وشرح سمير الدروبي ، مؤسسة

الرسالة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨٩ .

\_ ابن شاکر ، محمد بن شاکر الکتبی ( ٧٦٤ هـ - ١٣٦٢ م ) .

☐ فوات الوفيات والذيل عليها ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر بيروت

١٩٧٣ .

\_ أبو شامة المقدسي ، شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل  
( ٦٦٥ هـ - ١٢٦٦ م ) .

☞ الذيل على الروضتين : عني بنشره محمد الكوثري ، دار الجيل بيروت  
ط ٢ ، ١٩٧٢ .

\_ الشكعة ، مصطفى .

☞ الأصول الأدبية في صبح الأعشى ، دار الأحد البحري ، أفوان ، بيروت ،  
بلا تاريخ .

\_ الصفدي ، صلاح الدين خليل بن أيبك ( ٧٢٣ هـ - ١٣٢٣ م ) .

☞ مقامة رشف الرحيق في وصف الحريق ، دراسة وتحقيق وشرح سمير  
الدروبي ، مجلة البلقاء للبحوث والدراسات ، المجلد ٣ ، العدد ١ ،  
نيسان ١٩٩٥ .

☞ جنان الجناس ، تحقيق سمير حسين حليبي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،  
ط ١ ، ١٩٨٧ .

☞ فض الختام عن التورية والاستخدام ، دراسة وتحقيق عبد العزيز حناوي ،  
دار الطباعة المحمدية الأزهر .

\_ الصولي ، أبو بكر محمد بن يحيى ( ٣٣٦ هـ - ٩٤٥ م ) .

☞ أدب الكتاب نسخه وعني بتصحيحه وتعليق حواشيه محمد بهجت الأثري ،  
دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، بلا تاريخ .

\_ الصيرفي ، علي بن داود الخطيب ( ٩٠٠ هـ - ١٤٩٠ م ) .

☞ نزهة النفوس والأبدان في تاريخ الزمان ، تحقيق حسين الحبشي ، مطبعة  
دار الكتب ١٩٧١ .

\_ ضيف ، شوقي .

❏ عصر الدول والإمارات ( مصر والشام ) ، دار المعارف القاهرة ، مصر  
١٩٨٤ .

\_ ابن طقاطقا ، محمد بن علي طباطبا ( ٧٠٩ هـ - ١٣٠٩ م ) .

❏ الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، دار صادر بيروت  
١٩٦٦ م .

\_ ظومط ، انطون خليل .

❏ الدولة المملوكية ، دار الحداثة ، ط ١ ، ١٩٨٢ .

\_ عاشور ، سعيد .

❏ المجتمع المصري في عصر السلاطين المماليك ، دار النهضة العربية ،  
ط ١ ، ١٩٦٢ .

❏ العصر المماليكي في مصر والشام ، دار النهضة العربية ، القاهرة  
ط ٢ ، ١٩٧٦ .

\_ العبادي ، أحمد مختار .

❏ في تاريخ الأيوبيين والمماليك ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ،  
بيروت ١٩٩٥ .

\_ العباسي ، أحمد عبد الرحيم العباسي ( ٩٦٣ هـ - ١٥٥٥ م ) .

❏ معاهد التنصيص على شواهد التلخيص ، تحقيق محمد محي الدين ، عالم  
الكتب ، بيروت ، بلا طبعة ، ١٩٤٧ .

\_ عتيق ، عبد العزيز .

☐ علم البديع ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨٥ .

\_ العريني ، السيد الباز .

☐ المماليك ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، بلا طبعة ، بلا

تاريخ .

\_ العسكري ، أبو هلال الحسن بن عبد الله ( ٣٩٥ هـ - ١٠٠٤ م ) .

☐ الصناعتين : الكتابة والشعر ، حققه مفيد قميحة ، دار الباز للطباعة والنشر

المكتبة العلمية ، بيروت لبنان ، ط ١ ، ١٩٨١ .

☐ جمهرة الأمثال ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطاش ،

المؤسسة العربية الحديثة القاهرة ، ط ١ ، ١٩٦٤ .

\_ عصفور ، جابر .

☐ الصورة الفنية في التراث الفني عند العرب ، المركز الثقافي العربي ،

بيروت ، ط ٣ ، ١٩٩٢ .

\_ علي ، محمد كمال الدين عز الدين .

☐ الحركة العلمية في مصر في دولة المماليك الجراكسة ، دراسة عن التاريخ

والمؤرخين \_ رسالة دكتوراه جامعة .

\_ العمري ، أحمد بن يحيى ( ٧٤٩ هـ - ١٣٤٩ ) .

☐ التعريف بالمصطلح الشريف ، تحقيق ودراسة سمير الدروبي ، منشورات

جامعة مؤتة ، ط ١ ، ١٩٩٢ م .

\_ العيني ، بدر الدين محمود ( ٨٢٥ هـ - ١٤٥١ م ) .

☐ عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، تحقيق وتقديم عبد الرزاق الطنطاوي

القرموط ، مطبعة علاء ٣ حزيران بدران ، القاهرة ١٩٨٥ .



- \_ الفرزدق ، همام بن غالب .  
الديوان ، شرحه وضبطه علي فاعور ، دار الكتب العلمية \_ بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٧ .
- \_ الفقي ، محمد كامل .  
الأدب في العصر المملوكي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٦ .
- \_ أبو القاسم ، الحسن بن بشر بن يحيى الأمدي ( ٣٧٠ هـ - ٩٧٩ م ) .  
المؤتلف والمختلف ، تحقيق عبد الستار أحمد الفراج مطبعة عيسى البسابي الحلبي بمصر ط ١ ، ١٩٦١ .
- \_ الفرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد ( ٦٧١ هـ - ١٢٧٢ م ) .  
تفسير القرطبي ، تحقيق أحمد عبد الحلیم البردوني ، دار الشعب القاهرة ، ط ٢ ، ١٣٧٢ هـ ، ١٩ .
- \_ القزويني ، جلال الدين أبو عبد الله بن سعد الدين الخطيب القزويني .  
( ٧٣٩ هـ \_ ١٣٤٠ م ) .  
الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبدیع ، دار الجيل ، بيروت لبنان ، بلا تاريخ .
- \_ القلقشندي ، أبو العباس أحمد بن علي ( ٨٢١ هـ - ١٤١٨ م ) .  
صبح الأعشى في صناعة الإنشاء : مصورة المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر عن المطبعة الأميرية ، ١٩٦٣ .  
مآثر الأناقة في معالم الخلافة ، تحقيق عبد الستار فراج مصورة ، ط ٢ مطبعة حكومة الكويت .
- نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط ١ ، ١٩٨٧ .

\_ القيسي ، فايز عبد النبي .

▣ أدب الرسائل في الأندلس ، دار البشير للنشر والتوزيع ، ط ١ ، ١٩٨٩ .

\_ الكلاعي الأندلسي ، أبو القاسم محمد بن عبد الغفور ( من أعلام القرن السادس ) .

▣ أحكام صنعة الكلام ، تحقيق محمد رضوان الداية ، دار الثقافة ، بيروت لبنان بلا تاريخ .

\_ الكندي ، محمد بن يوسف ( ٣٥٠ هـ - ٩٥٩ م ) .

▣ كتاب الولاية والقضاء ، نشره رفن كست مطبعة الأباء اليسوعيين ، بيروت ١٩٠٨ م

\_ محمد ، علي بن محمد .

▣ النثر الأدبي الأندلسي في القرن الخامس ، دار المغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٩٩٠ .

\_ مرزوق ، محمد عبد العزيز .

▣ الذاصر محمد قلاوون ، المؤسسة المصرية العامة ، ط ١ ، ١٩٦٤ .

\_ مسلم ، الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج ( ٢٦١ هـ - ٨٦٩ م ) .

▣ صحيح مسلم ، بشرح النووي ، دار أحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، بلا تاريخ .

\_ مصطفى ، إبراهيم مصطفى وآخرون .

▣ المعجم الوسيط : دار العودة ، استانبول \_ تركيا ، جمهورية مصر العربية مجمع اللغة العربية .

\_ مفتاح ، محمد .

تحليل الخطاب الشعري ( استراتيجية التناص ) المركز الثقافي العربي ،  
الدار البيضاء ، المغرب ، ط ١ ، ١٩٨٥ .

\_ المقريري ، أحمد بن علي ( ٨٤٦ هـ - ١٤٤٢ م ) .

درر العقود المفيدة في تراجم الأعيان الفريدة ، تحقيق عدنان درويش ،  
محمد المصري ، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية السورية ،  
مكتبة الأسد ، دمشق ، ١٩٩٥ .

المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، المعروف بـ ( الخطط  
المقريرية ) دار صادر بيروت .

السلوك لمعرفة دول الملوك ، تصحيح محمد مصطفى لجنة التأليف والنشر  
والترجمة ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٥٦ .

إغاثة الأمة بكشف الغمة ، دار الهلال ، ١٩٩٠ .

\_ الملطي ، عبد الباسط خليل بن شاهين ( ٩٢٠ هـ - ١٥١٠ م ) .

نزهة الأساطين فيما ولي مصر من السلاطين ، تحقيق محمد كمال الدين ،  
مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٨٧ .

\_ ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم المصري ( ٧١١ هـ -

١٣١١ م ) .

لسان العرب : دار صادر بيروت \_ لبنان .

\_ الميداني ، أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري الميداني ( ٥١٨ هـ -

١١٢٤ م ) .

مجمع الأمثال ، حققه وعلق حواشيه محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة  
السنة المحمدية ١٩٥٥ .

\_ نخبة من الأساتذة تقديم أحمد عزت .

▣ أبو العباس القلقشندي وكتابه صبح الأعشى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٣ .

\_ النووي ، أبو زكريا يحيى بن شرف الدين ( ٦٧٦ هـ ) .

▣ الأذكار المنتخبة من كلام سيد البررة ، دار الفكر ، بيروت لبنان ، ط ٦ ، ١٩٨٦ .

\_ ابن واصل ، جمال الدين محمد بن سالم بن واصل الحموي ( ٦٩٧ هـ )

- ( ١٢٩٧ م ) .

▣ مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، تحقيق جمال الدين الشيال ، المطبعة الأميرية القاهرة ١٩٥٧ .

\_ ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله ( ٦٢٦ هـ - ١٢٢٩ م ) .

▣ معجم الأدباء ، تحقيق : إحسان عباس ، ط ١ ، دار المغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٩٣ م .

▣ معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٧ م .